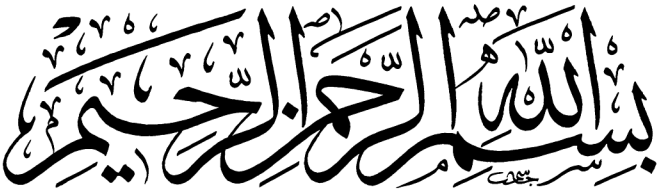
بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة العلامة الأوردبادي

الجزء السادس

علي عليه السلام
وليد الكعبة

تأليف

العلامة الشيخ محمد علي الغروي الأوردبادي

١٣١٢ - ١٣٨٠ هـ

جمع وتحقيق سبط المؤلف

السيد مهدي آل المجدد الشيرازي

بنظر ومتابعة

مركز إحياء التراث

التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ شعبة المكتبة

كربلاء المقدسة/ ص.ب. (٢٣٣)/ هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ٢٥١

www.alkafeel.net
library@alkafeel.net
tahqiq@alkafeel.net

آل المجدد الشيرازى، محمّدمهدى محمّد جعفر، ١٣٦٠ هـ-

موسوعة العلّامة الأوردبادي = The Scholar Al-Aurdaba'di's Encyclopedia/ جمع وتحقيق السيّد مهدي آل المجدد الشيرازي ؛ بنظر ومتابَعة مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة .- الطبعة الأولى.- كربلاء: مكتبة العتبة العباسية المقدّسة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥.

٢٥ مجلد. - (مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة؛ ٣٩ - ٥٩).

يتضمن مصادر وكشافات.

١. الأوردبادي، محمّد علي بن أبي القاسم بن محمّد تقي، ١٣١٢- ١٣٨٠ هـ.-- الآثار ٢. الشيعة -- تراجم. ٣. دوائر معارف. ٤. الشِّعر العربي-- القرن ١٤ هـ. ألف. مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة. ب. العنوان. ج. العنوان: The Scholar Al-Aurdaba'di's Encyclopedia.

BP80. A7 A5 2015

الفهرسة والتصنيف في مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد لسنة ٢٠١٥م: ٦٢٢.

موسوعة العلّامة الأوردبادي الجزء السادس

الكتاب: علي عليه السلام وليد الكعبة.

المؤلّف: الشيخ محمّد علي الأوردبادي (ت ١٣٨٠ هـ).

المحقق: سبط المؤلّف السيّد مهدي آل المجدد الشّيرازي.

بنظر ومتابعة: مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.

المدقق اللغوي: علي حبيب العيداني.

المطبعة: دار الكفيل - العراق - كربلاء المقدّسة.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

التاريخ: ١٥ جمادى الأُولى ١٤٣٦هـ - ٣ آذار ٢٠١٥م.

مقدّمة الطبعة الأولى
سنة ١٣٨٠

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه والصلاة والسلام على محمّد وآله.

في هذا الكتاب لا يحاول مؤلّفه العلّامة الخبير الأُوردبادي قدّس سرّه أن يثبت ـ بحقّ أو بباطل ـ شيئاً يمكن أن يوضع موضع الشكّ، ولا أن يتمسّك برأي لم يذهب إليه أحد من قبل، يبتغي بذلك شهرة أو بدعة أو أحدوثة تُحْدِثُ في أَوساط الناس وعامّتهم وخاصّتهم أمواجاً متراكمة من التساؤل والحيرة والاستفهام، كلّ ما في الأمر أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وُلد في الكعبة ولم يولد في الكعبة أَحد قبله ولا بعده سواه.

وليس هذا ما يقول المؤلّف وحده، وإنّما يقوله معه رواة ثقات من الشيعة ومحدّثون من أعيان غيرهم لا يسهل حصرهم.

وليس هذا الكتاب موضوعاً لرواية قصّة الولادة وتقديمها إلى قراء القصص والروايات، كبعض الكتب الموضوعة في العقائد ممّا لم يقم عليها دليل، ويراد بها إغواء الناس أو التغلّب على عواطفهم وإحساسهم وشعورهم، بل يعتمد على

الحديث الذي يكون سنده سليماً من أيّ جرح، ومليئاً بكلّ ثقة واطمئنان، ويكون متنه ذا دلالة قويّة ناصعة لا يكاد يقع فيه خلاف.

وإذن فهذا الكتاب استدلالٌ قبل أن يكون قصصياً أو عاطفياً يراد به إثبات شيء ممكن أن يوضع موضع الشّكّ.

وفصول الكتاب كلّها تدلّ دلالة واضحة على ذلك، ويكاد بعض فصوله أن يؤدي ما يريد.

ففي البدء سنقضي أمداً غير قصير مع الرواة نستشف آراءَهم، ثمّ نشهد اتّفاق كلمتهم على شيء، هو ما يذهب إليه، ثمّ ننظر فنرى أنّ نبأ الولادة ليس ممّا انفرد به واحد أَو اثنان في الجيل الأول من الرواة ـ ولعلّ في الناس من لا يعتمد مثل هذه المتفرّدات في إثبات شيء أو نفيه ـ وإنّما يبلغ الرواة حداً لا يمكن معه أن نصدّق بتواطئهم على كذب أو افتراء.

وإذن فحديث الولادة متواتر أخبر به جماعة كثيرون لا سبيل لنا إلّا التصديق بما نقلوه إلينا، وأدّى هذا التواتر إلى شهرة الولادة وانتشار نبإِها بين الناس جميعاً أَيا كانت مللهم ونحلهم، حتّى دعا بعضهم إلى أن يقول: «إنّ حديث ولادته في البيت... مشهور كالشمس في رابعة النهار»، ودعا بعضهم إلى القول: «إنّ الولادة في البيت كانت مشهورة في الصدر الأول بحيث لم يمكن إنكارها»، ودعا بعضهم إلى أن يقول: «إنّه أمر مشهور في الدنيا، وذُكِرَ في كتب الفريقين السنة والشيعة».

وماذا بعد هذا التواتر والشّهرة والاتفاق؟! ها نحن ننظر فنرى الشعراء من المتشيّعين لأهل البيت عليهم السلام يقولون شعراً كثيراً في هذه المَأْثُرَة الجليلة، وما ذلك إلّا لأنّ شعورهم الدينيّ الخالص كان يغلي على أفواههم وشفاههم

فتنفثه النفس المؤمنة الصادقة في قالب شعري أنيق فيه وزن، وفيه موسيقى هادئة مطمئنة، تستمدّ هدوءها واطمئنانها من هدوء واطمئنان العقيدة واستلقائها عند ينبوغ العقل والفكر والضمير، ويتدفّق هذا الينبوع ويأبى إلَّا أن يَرْوِي مِنْ حوله القلوب الظماء، وإلَّا أن يجني من وراء ذلك ثمراً جنيّاً.

مع هؤلاء الشعراء المؤمنين نقضي مدّة أو صفحات ما أجملها وأَلَذَّها وألطفها في النفس والقلب، ويخاطبنا هؤلاء للشعراء باللغة الفارسيّة مرّة، وباللغة العربيّة أخرى، وفي هذه وتلك يعطوننا متعة وأُنْساً وأدباً ممزوجين بالعلم والمعرفة.

وفي نهاية المطاف نرى أنّنا قد انْسَقْنا مع الشاعر المسيحيّ المعروف «بولس سلامة» في قطعة من ملحمته التاريخيّة الكبرى «عيد الغدير» إذ يقول فيها:

كان فجران ذلك اليوم: فَجْرٌ لنـــهارٍ وآخـــرٌ للـــوليدِ
يَهْرَمُ الدهرُ وهو كالصُّبْح باق كُلَّ يومٍ يأتـي بـفجرٍ جَـديدِ

والآن فما هو الذي ينتظره القرّاء الكرام من أمر هذا الكتاب ومن أمـر التـنبؤ بفصوله قبل أن يقرؤوه؟

يذكر العلّامة المؤلّف في الكتاب فصلاً لا نظنّ أنّ فيه مفاجأة أو مباغتة بعد ما ثبت من التواتر والشهرة والاتّفاق..

في هذا الفصل نرى شيئاً أكثر من كلّ ما تقدّم، ويقع كنتيجة لكلّ ما تقدم من فصول للكتاب، نرى في هذا القسم أنّ حديث الولادة مجمعٌ عليه ومُعْتَرَفٌ به، وقد جاء هذا الحديث في أخبار غير محصورة ونُصَّ به في كلمات العلماء في ضمن الخطب والأشعار.

وماذا بعد هذا الإجماع؟ لا شيء... فعليٌّ عـليه السـلام وليـد الكـعبة حـقّاً،

ولم يولد في الكعبة أحد قبله ولا بعده سواه، وليس هذا ما يقوله المؤلّف وحده، بل يصافقه عليه رواة من الشيعة ومحدّثون من غيرهم لا يسهل حصرهم. وفي هذا الكتاب نصوص مترجمة من الفارسيّة والتركيّة والهنديّة.

فإليك قصّة الولادة مفصّلة في هذا الكتاب الذي بين يديك.

٢٥ شوال المكرّم ١٣٨٠

السيّد مهدي آل المجدّد الشيرازي

مقدّمة الطبعة الثانية

إنّ طلب الكمال أصل في روح كل إنسان في جميع العصور، فعليه أن يكدح في هذه الدنيا وأن يسير نحو منهل النور ليقف على الكمال المطلوب.. إنّه ظاهرة متميّزة، فهو موضع عناية الله، وقد تعهدته يد الله ليكون في أحسن تقويم، وليتسامى بنفسه، وليكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[1].

إنّ الله الخالق يقول: «عبدي أطعني تكن مِثْلي أَو مَثَلي»، فقد أَراد تعالى للإنسان هذا المقام وهذه المرتبة، ليكون أَفضل المخلوقات وليكون مثلاً لله.. هذا هو المسير أو المنهج الذي اختاره الله سبحانه للبشر وأمره أن يسير في لاحِبِهِ[2]. وقد جعل لطي الطريق أمثلةً من الناس ليكونوا قادتهم وأدلّاءهم وأسوتهم في الأصالة.

إنّ الله أرسل أنبياءه وأَولياءَه لهدفين:

الأول: ليكونوا أدلّاء على الطريق، وليوجهوا الإنسان نحو أصالته.

والثاني: بما أنّ هؤلاءِ الأَدلّاء يمثّلون الكمال الواقعي وقد مزجوا أرواحهم

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) اللاحب: الطريق الواضح.

وأنفسهم بالنور الإلهي، فهم الأسوة المثلى والقُدوة التي تُحتذى، لتتجه أبصار الناس إلى ذواتهم المقدّسة، فيجدوا كلّ شيء في وجودهم، وليصلوا بهم إلى التكامل أو الكمال.. وبما أنّ رسالات الله قد خُتمت بوجود النبي محمّد صلّى الله عليه وآله المبارك ـ وأنّ دين الله قد كَمُل على يد هذا النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، وأنّ ما أراده الإنسان من ابتغاء مسيره التكامليّ نحو الله سيجده متوفراً لديه ـ كان من البديهي والواضح أنّ لا يجيء نبيّ بعد النبي محمّد صلّى الله عليه وآله؛ إذ لا حاجة إليه، لكنّه لمّا كان هذا الدين يقتضي بالضرورة أن يكون له قُدوات صالحة لبيان أحكامه في المجالات المختلفة من الحياة. وأنّ يمثّل هذه القُدوات أُناس أعاظم بمستوى ذلك النبيّ ودون مرحلة النبوّة ليكونوا أُسوة للآخرين، فلذا أُنيطت هذه المهمّة بعد النبيّ بالأَئمّة الاثني عشر، الذين هم أهل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنّ هؤلاء الأئمّة العظام هو عليّ بن أبي طالب الذي لم يشهد التاريخ البشري رجلاً مثله، إذ هو حصيلة الدهر وثمرته من جميع الجهات، وإنّ صفاته ومزاياه وكمالاته البارزة لا تُعدّ ولا تُحصى كما هو شأن صفات نبيّنا الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

إنّنا لو أردنا أن نَرِدَ البحرَ الخِضَمّ[1] لصفات هذا الموجود السماوي لَعَيِينا عن البيان، ولَكَلَّت الأقلام عن الإحاطة بصفاته الإلهيّة، ولكن كما يقال: ما لا يُدرك جُلّه لا يُترك كلّه.

فنحن واقفون على ساحل بحر وجود علي عليه السلام، لننظر فتى التاريخ البشري ولنلتفت إلى روحه العظيمة.

---

(١) الخِضمّ: الواسع.

فأيّ فتى هذا الإنسان الذي لو نظرت من أيّة جهة إلى مزاياه.. لوجدتها لا نهاية لها: إيمانه، جهاده، فناؤه في ذات الله، تعابير الرسول في شأنه، قربه من الرسول، علمه وعقله، عدله وحكمته، أخلاقه وتخلّقه، عبادته، تواضعه، إلى آخره.

فإلى أيّة مَزِيَّة نظرنا وجدناها لا تنتهي، لذا نُطأطئ رؤوسنا عنده، لنجهشَ بالبكاء على المظْلمة التي أصابت هذا الرجل العظيم في تاريخ البشر.

بل لنبكي على العدالة المقتولة، ولنبكي على سيطرة الجهل والظلمة، ولنبكي على ذهول جيلنا وإعراض أبنائنا عن الاقتداء في مسيرة حياتهم بهؤلاء الأطهار.

الطريف أنّه برغم كلّ الضغائن والأحقاد التي سعت لطمس فضائل أمير المؤمنين، فإنّنا نجد المصادر الإسلاميّة ملأى بفضائله وكمالاته، حتّى إنّه ينبغي الاعتقاد بأنّ تاريخ الإسلام هو تاريخ حياة الإمام عليّ عليه السلام؛ إذ نلمس حضوره في جميع المجالات، فنجده بائِتاً على فراش النبيّ صلّى الله عليه وآله ليخلّصه من خطر قريش تارةً، ونجده يضحّي بنفسه في الحروب فداءً للنبيّ تارةً أُخرى، وكان يقف بوجه المحرّفين ويحرس المعين المحمّدي الزلال من أن يكدّره شرك قريش، وكان يجلّي الحقائق حيثما كان الانحراف والكفر..

إنّ واحدة من مزاياه الخاصّة ـ المنحصرة به ـ التي لم يتّصف بها أيّ إنسان غيره على مدى التاريخ البشري، هي ولادته في بيت الله «الكعبة»، فبوجوده المبارك بقيت الكعبة ونالت الصفاء.

أَجلْ إنّه ولد في «أوّل بيت وضع للناس» وسيبقى ـ هو ـ الإنسان الأكمل الوحيد الذي وضع للناس، بعد النبي محمّد صلّى الله عليه وآله، إنّ عليّاً عليه السلام هو القُدوة المُثلى الوحيدة على طريق الهداية في جميع العصور لكلّ الناس، فمن

عرف عليّاً وعرف سيرته فقد عرف الله والإسلام والقرآن، فهو باب الله، وهو عين الله، وهو جنب الله، وهو العُروة الوثقى الحقّة، وهو قسيم الجنّة والنار، وهو الميزان، وهو الصراط المستقيم، وهو حبل الله المتين، وهو كلّ شيء للإنسان، وكلّ شيء للإسلام..

إنّ من عرف عليّاً وسَبَرَ أغوار وجوده وأبعاده فقد عرف القرآن الناطق، فكلّ لحظة منه إلهامٌ للإنسان من الأصالات والصفات الإلهيّة العليا، ليستطيع أن يُدرك واقع وجوده الإنسان وأن يبلغ كُنْه الإسلام وحقيقته.

إنّ البشريّة اليوم تفتقد «واحدها» من الناس وهو «عليّ» فينبغي أن نعثر على هذه الدّرّة الثمينة لنعرف ـ نحن الذين أضللنا أنفسنا وطريقنا ـ مَنْ نحن.

لكن مع جميع هذه الأحوال: فعليٌّ عبد من عبيد الله، وعليّ عبد الله الكامل، وعليّ أوّل مؤمن بالله، وعلي أوّل مطيع لأوامر محمّد صلّى الله عليه وآله، فأنّى لنا الجُرأة على وصفه والخوض في بحره الخِضَمّ المحيط الذي يغرق فيه كل مادح!

عليٌّ ولد في بيت الله، واستُشهد في بيت الله، مودّعاً هذه الدنيا، وقد أغمض عينيه عن مصائب الدهر! وغادر البشريّة محزونة عليه!

وولادته عليه السلام في الكعبة من الحقائق المُسَلَّمة تاريخيّاً رغم أنّ البعض حاول إنزال خدشة بها لصرف الأذهان عنها، إلّا أنّنا لا نجد أيّ دليل سوى النقل الضعيف الذي يكذّبه وجدان من يتصفّح التاريخ الإسلامي.

وممّا نقله الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» عن قصّة ولادة الإمام عليّ عليه السلام: فلمّا كانت الليلة التي ولد فيها عليّ عليه السلام أشرقت الأرض، فخرج

أبو طالب وهو يقول: «أَيها الناس، ولد في الكعبة وليّ الله عزّ وجلّ»[١].

فأَضاءَت الكعبة بمولده، وسُرّت القلوب جميعاً، وافتخرت الكعبة بأنّها احتضنت مثل هذا الوليد؛ ولو أردنا أن نتكلّم في هذا المجال أكثر ممّا ذكرنا لأصبحت مُقدمة هذا الكتاب مفصَّلة مسهبة، فما أحرى أن تقرؤُوا البيان التامّ في أصل هذا الكتاب الذي يُعَدّ من أَنفس الكتب التي صنّفت في موضوع ولادة علي عليه السلام في بيت الله بقلم رمز العلم والأدب والفضيلة والتقوى سماحة العلّامة الشيخ الأوردبادي قدّس سرّه.

كتاب علي وليد الكعبة

وهو كتاب فريد في بابه، عزيز في وجود نظائره، غزير في مادّته، ضمّنه مؤلّفه بحثاً استدلالياً لبيان حديث الولادة الميمونة، حديث ولادة الإمام عليّ عليه السلام في الكعبة، معتمداً في ذلك على ما ساقته كتب الفريقين المعتبرة بالأسانيد الصحيحة المصحَّحة التي تضمّ بين مبتداها إلى منتهاها شيوخ المحدّثين وثقات الرواة، والنسّابين الأَثبات، والمؤرّخين الأعلام، ومَهَرَة الفن، وصاغة القريض، والمحقّقين الخبراء، والشعراء المبدعين، وغيرهم ممّن لا يروق لهم رواية خبر دون التثبّت من إسناده والتروّي في متنه، فتصدّوا لرواية هذه المكرمة وإثبات هذه الفضيلة، حتّى بلغت من الشهرة والشيوع بحيث لا يسع أيّ عالم إلّا التصديق بها والإذعان بأنّها من الحقائق الناصعة.

وكان هذا الكتاب قد طُبع في النجف الأشرف عام وفاة المؤلّف قدّس سرّه

(١) كفاية الطالب: ٤٠٦.

(١٣٨٠هـ) مع مقدّمة لسبطه السيّد مهدي ابن الميرزا محمّد ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمّد ابن المجدّد الشيرازي، ثمّ أُعيد طبعه في قم، كما طبعت ترجمته الفارسيّة أيضاً.

ونظراً لأهميّة الكتاب وندرته ومنزلة مؤلّفه ارتأت مؤسَّستنا إعادة طبعه ونشره بحلّة جديدة بعد تحقيقه وفق قواعد فنّ التحقيق ومناهجه المعروفة، بمؤازرة ثُلّة من المحقّقين الأفاضل المجدّين، ممّن أوقفوا وجودهم لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، فلهم منّا كلّ شكر وتقدير.

ومن الجدير ذكره أنّ أصل الكتاب كان يحوي أشعاراً باللغة الفارسيّة حذفناها لعدم ترتّب فائدة عليها لدى القارئ العربي.

ندعوا الله العزيز أن يتقبّل هذا بأحسن قبول، وأن يجعله عنده من الباقيات الصالحات، وأن ينيلنا شفاعة وليد بيته الحرام أمير المؤمنين عليه السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قسم الدراسات الإسلاميّة

مؤسّسة البعثة ـ قم

مقدّمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

في هذا الكتاب دراسةٌ وافيةٌ، وبحوثٌ ضافيةٌ، عن حَدَثٍ تاريخيٍّ خالدٍ وواقعةٍ مهمّة في بابها، أَلا وهي ولادة الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام في جوف الكَعْبَةِ المشرّفة، ممّا أَطبق عليه رواةُ الشيعة الإماميّة الثِّقات، وشهد بصحّته كبارُ المحدّثين من أعلام الجمهور.

وقد فصّل جدّنا العلّامة الأُوردبادي قدّس سرّه القولَ في بيان تواتُر الأحاديث الواردة في ولادته عليه السلام في الكعبة، واستفرغَ الوسعَ في توضيح دلالتها على أَفضليّة وليد الكعبة، وانفراده بهذه المنقبةِ الجليلةِ، بما يقطعُ على المُكابر حُجّتَهُ، ولا يسعُ المنصفَ إلّا الإذعانُ والبُخُوعُ إلى شرفِ هذه المزيّة السامية.

وقد نقلَ العلّامة الأميني صاحبُ «الغدير» عن هذه الرسالة (١٧) صفحة في المجلّد السادس من «الغدير» ضمّنها باختصار أَسماء الرواة والمحدّثين، وأَسماء الشعراء الذين أَشادوا باختصاص أميرالمؤمنين بهذه المأثرة، وذكر أَنّ «العلّامة الأُوردبادي أَلّف في الموضوع كتاباً فخماً، وقد أَغرق نَزْعاً في التحقيق، ولم يُبْقِ في القوس مَنْزعاً»، ثمّ ذكر فصُول الكتاب.

وفي هذا الكتاب نصوصٌ مترجَمةٌ من الفارسيّة والتركيّة والهنديّة إلى اللغة العربيّة.

وقد طَبعتُهُ في سنة وفاة جدّنا العلّامة الأُوردبادي ١٣٨٠ في النجف الأشرف في مطبعة النجف مع ذكر مقدّمة أَوسع من هذه.

ثمّ تكرّر طبعه في «قُم المشرّفة» مع حذف الأَشعار الفارسيّة، وذِكْر ترجمة مفصّلة للعلّامة المؤلّف بتحقيق رصين، وإخراج جميل. فجزى الله القائمين على تحقيقه وإخراجه خير ما يجزي العاملين من عباده.

وقد اعتمدتُ في هذه الطبعة على النسخة المطبوعة في «قُم» مع مقابلتها بالنسخة المخطوطة عندنا، ودون حذف الأشعار الفارسيّة، لأنّ المؤلّف ذكرها لأنّ فيها ذكر ولادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة المشرّفة.

ثمّ عثرتُ على فصلٍ كاملٍ لم يورد في الطبعتين. فأَدخلته في هذه الطبعة، مع إضافة بعض التعليقات المناسبة في المقام. كما ذكرتُ قصيدةً للسّيّد اللكهنوي، وأبياتاً شعريّة كانت في مجاميع العلّامة الأوردبادي قدّس سرّه، إتماماً للفائدة.

وألحقتُ بالكتاب بحثاً قيّماً وافياً تناول كاتبه الأُستاذ شاكر شبع، اختصاص الولادة في الكعبة بالإمام علي عليه السلام، وفنَّد فيه مزاعم ولادة آخرين فيها.

رؤيا لطيفة حول هذا الكتاب

طبعتُ هذا الكتاب في سنة وفاة جدّنا العلّامة الأوردبادي سنة ١٣٨٠ في مطبعة النجف في النجف الأشرف وكانت هذه المطبعة في محلّة «الجديدة» في الشارع الرابع في النجف الأشرف لصاحبها الأستاذ هادي الأسدي، وفي أثناء الطبع نقل المطبعة إلى «حيّ السعد» خلف البريد، وأكمل طبعه هناك، عند ذلك أخبرني الشيخ الأسدي بإتمامه وطلب منّي أخذه.

فبادرت بالفور حمله إلى داري، وهي دار جدّنا العلّامة قدّس سرّه. وفي ذلك اليوم نفسه كانت إحدى أخواتي وهي في العاشرة من عمرها، لا تنام بعد الظهر، إلّا أنّها ذلك اليوم نامت، فرأت رؤيا كان مفاده: أنّ جدّنا المغفور له جالس في دار أوسع من داره على بساط وبكامل ملابسه وعمّته ونظّاراته، وبيده كتابٌ يقرأُ فيه. فقالت: قلت: يا جدّي ما هذا الكتاب الذي تقرأُه؟

فقال: هذا كتاب أُرسل إليَّ في هذا اليوم من «حي السعد».

هذا مع العلم: أنّ «حيَّ السَّعد» ما كان في زمان العلّامة جدّنا، وما كان قد تلفّظ به من قبلُ في حياته.

السيّد مهدي آل المجدّد الشيرازي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

حديثُ المولد الشريف وتواتره

إنَّ المُنقّبَ في التأريخ والحديث جِدّ عليم بأنَّ هذه الفضيلة من الحقائق التي تَطابق على إثباتها الرواةُ، وتطامَنَتْ[1] النفوسُ ـ على اختلاف نَزَعاتها ـ على الإخْبات[2] بها، حيثُ لا يجدُ الباحثُ قطُّ غَمِيزَةً[3] في إسنادها، ولا طَعْناً في أصْلها، ولا مُنتدَحا[4] للكلام على اعتبارها، وتضافرَ النقلُ لها، وتواترت الأسانيدُ إليها، وإنْ وَجَد حولَها صَخَباً من شُذّاذ الناس وَطِئَهُ بأخْمص حِجاه[5]، وأَهواه إلى هُوّة البطلان السحيقة.

قال الحافظ أبو عبدالله محمّد بن عبدالله، الحاكمُ النيسابوريّ، المتوفّىٰ سنة ٤٠٥ في «المستدرك» في باب مناقب حكيم بن حِزام[6]، عن مُصعب بن

---

(١) تطامنت: سَكَنَتْ.

(٢) الإخبات: الخضوع والتسليم.

(٣) الغميزة: العيب.

(٤) المنتدح: المتسع.

(٥) الحجا: العقل.

(٦) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعُزّىٰ القرشي الأسدي، أبو خالد المكّي، وعمّته

عبدالله[١]: أنّ أُمّ حكيم بن حزام[٢] ولدتْهُ في الكعبة، ضَرَبَها المخاضُ وهي في جوفها، ولم يولد قبلَه ولا بعدَه في الكعبة أحد.

قال الحاكم: وَهَمَ مصعبٌ في الحرف الأخير، وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدتْ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ في جوف الكعبة[٣].

والحاكم من أذعنَ الكلّ بثقته وحفظه وضبطه، وتقدّمه في العلم والحديث

➲ خديجة زوج النبيّ صلّى الله عليه وآله، قيل: ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ومات سنة خمسين، وقيل غير ذلك. انظر جمهرة أنساب العرب: ١٢١، وتهذيب الكمال ٧: ١٧٠/ ١٤٥٤. ولو راجعنا المصادر التي روت ولادة حكيم في الكعبة للفت انتباهنا فيها أُمور، منها الإرسال وانقطاع السند الذي لم يخل من ضَعْفٍ أو منكر الحديث، كمصعب بن عبدالله.
أقول: وقد استوعب الأُستاذ شاكر شبع هذا الجانب في مقال نشره في مجلّة «تراثنا» ورأينا من الجدير وضع ذلك في آخر هذه الرسالة لأهميّته كما سبق منّا القول، فراجع ثمّة إن شئت.

(١) أقول: كان مصعبُ بن عبدالله بن مصعب الزُّبيري منحرفاً عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وله في النّصب حكايات معروفة، لا يسع المقام بسطها، فلم يَطِبْ خاطره بانفراد أميرالمؤمنين عليه السلام بهذه المنقبة. فنسج خبرَ ولادة «حكيم بن حزام» في الكعبة.
وحكيم المذكور من بني أَسد بن عبدالعزّى بن قصي «أسد قريش»، وهم رهط مصعب هذا. فكان ذلك من دواعي جعل هذه القصّة الموضوعة، فلا تغفل.
وأبوه «عبدالله بن مصعب» هو صاحب القصّة مع يحيى بن عبدالله المحض الحسني، الذي يقول فيه الشاعر:

ذاق الزبيري غبّ الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتُّهَمُ

راجع: عمدة الطالب: ١٥١ وما بعدها.

(٢) قد تصحّفت لفظة «بنت» في بعض المصادر من «ابن» فقالوا: «أُمّ حكيم بنت حزام»، والصواب أنّها «أُمّ حكيم بن حزام»، وذكر أنّها أُسرت يوم بدر، ثمّ أسلمت وبايعت. انظر الإصابة ٤: ١٢٢٩/٤٤٤، وأُسد الغابة ٤: ٥٧٧.

(٣) المستدرك ٣: ٤٨٣.

والرجال. والمعاجمُ طافحةٌ بإطرائه والثناء عليه، والكتب مفعمةٌ بالاحتجاج به، والركون إليه، وتآليفهُ شاهدةٌ بنبوغه وتضلّعه، فناهيكَ به حاكماً بتواتر الحديث.

وقد وافقه على ذلك النصّ من أفذاذ عُلماء أهل السنّة: الشاه وليُّ الله أحمد بن عبدالرحيم المحدّث الدهلوي[١] ـ والد عبد العزيز الدهلوي مصنّف «التحفة الاثنا عشريّة» في الردّ على الشيعة[٢] ـ قال في كتابه «إزالة الخفاء»:

«قد تواترت الأخبارُ أنّ فاطمة بنت أسدٍ، ولدت أميرَالمؤمنين عليّاً في جوف الكعبة، فإنّه ولد في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، في الكعبة، ولم يُولد فيها أحدٌ سواهُ، قبلَه ولا بعدَه»[٣].

والحاكم في النقل السابق عنه، وإن لم يذكر وقتَ الولادة، ولا شهرَها ولا سنتَها، لكن حمل إلينا ذلك عنه الحافظُ أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الكنجي الشافعي، المتوفّى سنة ٦٥٨ في كتابه «كفاية الطالب» ـ الذي ذكره الجلبيّ في «كشف الظنون»[٤]، ونقل عنه ابن الصبّاغ المالكيّ في «فصوله المهمّة»[٥]، واحتجّ به ابن حجر ـ قال:

«أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمّد بن محمود النجّار بقراءتي عليه ببغداد، قلتُ

---

(١) أبو عبدالعزيز، وليّ الله أحمد بن مولوي عبدالرحيم، الدهلوي الهندي الحنفي، المتوفّىٰ سنة ١١٧٩ أو ١١٨٠. له تصانيف عديدة، منها إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء. انظر هديّة العارفين ١: ١٧٧، والأعلام للزركلي ١: ١٤٩.

(٢) انظر ترجمة عبد العزيز الدهلوي المتوفّى سنة ١٢٣٩ في هديّة العارفين ١: ٥٨٥، والأعلام للزركلي ٤: ١٥.

(٣) إزالة الخفاء عن سيرة الخلفاء ٢: ٢٥١ ط الهند.

(٤) انظر كشف الظنون ٢: ١٤٩٧.

(٥) انظر الفصول المهمّة ١: ٥٩٠، ٢: ١١٠٧ و١١١٩ و١١٢٠.

له: قرأت على الصفّار بنيسابور: أخبرتني عمّتي عائشة، أخبرنا ابن الشيرازي، أخبرنا الحاكم أبو عبدالله محمّد بن عبدالله الحافظ النيسابوريّ، قال:

وُلد أميرُالمؤمنين عليٌّ بن أبي طالب، بمكّة في بيت الله الحرام، ليلةَ الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يُولد قبلَه ولا بعدَه مولودٌ في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم»[١].

وقال شِهاب الدين أبو الثناء السيّد محمود الآلوسي المفسّر في «شرح عينيّة عبدالباقي أفندي العمري» عند قول الناظم:

[من البسيط]

أنتَ العليُّ الذي فوقَ العُلا رُفِعا بِبَطْنِ مكّةَ عندَ البيت إذ وُضِعا

ما لفظه: «وفي كون الأمير ـ كرّم الله وجهه ـ وُلِدَ في البيت، أمرٌ مشهورٌ في الدنيا، وذُكر في كتب الفريقين السنّة والشيعة» إلى قوله: «ولم يشتهرْ وضعُ غيرِه ـ كرّم الله وجهه ـ كما اشتهرَ وضعُه، بل لم تتّفق الكلمةُ عليه، وما أحرى بإمام الأئمّة أن يكون وضعُه فيما هو قِبْلةٌ للمؤمنين. وسبحانَ من يضعُ الأشياءَ في مواضعها وهو أحكمُ الحاكمين»[٢].

وإنّ اشتهار الحديث في الدنيا وتداوله في كتب الفريقين لا يعدوه أن يكون متواتراً على الأقلّ، وهو لا يُريد الشهرة والتداول في جيله فحسب، فهو لا يُجديه في تبجّحه بتلك المأثرة الكريمة بقوله: «وما أَحرىٰ..»، وقوله: «وسبحانَ..»

(١) كفاية الطالب: ٤٠٧.

(٢) سرح الخريدة الغيبيّة في شرح القصيدة العينيّة: ١٥.

وجزمه بذلك، لو كانت الشهرةُ منقطعاً أوّلُها، فلا مُحالَة أنّه يريد ذلك في كلّ جيلٍ، وهو الذي لا يُبارحه التواتر على الأقلّ. وأنتَ ترى أنّه في كلامه هذا لم يأْبَهْ بمولد حكيم بن حزام، وأوعزَ إليه بالوهن بقوله: «ولم يشتهرْ».

كما أنّ الحاكم ـ مع رواية ولادة حكيم في «المستدرك» ـ نفاها في كلامه الأخير، الذي أثبته عنه الحافظ الكنجي بقوله: «ولم يُولد..».

ولو كان يُقيم وزناً لتلك الرواية لما ساغَ له ذلك الجزم النهائيّ.

وممّا يؤكّد ما قاله أبو الثناء: كلمةٌ ثمينةٌ للعلّامة الشريف السيّد حيدر بن عليّ الحسيني العُبيدلي الآملي، المعاصر لفخر الدين ابن آية الله العلّامة الحلّيّ قدّس سرّه، في كتابه «الكشكول فيما جرى على آل الرسول»، قال:

«واحتجّ آلُ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وجماعةٌ من الأصحاب الذين ثبتوا على دين رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعلى عهده في ولاية عليّ عليه السلام بعدّةٍ من الفضائل جعلوها مُسْتَنداً لهم عند المفاضلة»[1]، وعدّ فضائلَ جمّةً مُسلّمةً عند الفريقين، والرابعة عشرة منها: ولادته في الكعبة.

وقال في أُخريات الكتاب: «خاتمةٌ، أذكر فيها شيئاً من مناقب أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكراماته التي اختصّه الله بها على أنّ جنسها لا يفتقر ناقلها إلى كتاب، ولا يحتاج الخصمُ فيها إلى جواب، وأرجو أن تكون حجّةً للمُؤالِف والمُخالِف، وللمستقيم على المتجانف».

ثمّ ذكر كراماتٍ كثيرةً من المُتسالم عليها. وثانيها:

---

(١) الكشكول فيما جرى على آل الرسول: ٨٦.

«أنّه وُلد في الكعبة بالحرم الشريف، فكانَ شرفَ مكّة وأصلَ بَكّة[١]، لامتيازه بولادته في ذلك المقام المنيف، فلم يسبقه أحدٌ، ولا يلحقه أحدٌ بهذه الكرامة، ولا بلغ أحدٌ ما بلغ من السيادة والنباهة عامّة، وهو بالأصالة صاحبُ الإمامة الإبراهيميّة»[٢].

وأنت تعلمَ أنّ آلَ محمّد صلّى الله عليه وآله ومن تبعهم من الصحابة والتابعين لم يحتجّوا بتلكم الفضائل، ولا جعلوها مستنداً لهم في الحِجاج على أمرٍ أصليٍّ في المذهب، إلّا وعلموا أنّها جمعاء ـ ومنها حديثُ الولادة ـ مسلّمةٌ عند خُصومهم، كما هي ثابتةٌ لديهم، فبينَ من شهدَ الموقفَ من الصحابة، ومن رواهُ عمّن حضرهُ، وكذلك التابعينَ.

ثمّ إنَّ الكراماتِ المذكورة إنّما صارت بحيث لا يَحتاج صاحبُها إلى كتابٍ، كما ذكره السيّد الشريفُ، لِتداولها في أيّ كتابٍ يحسبُه الخصمُ حجّةً عليه، ويراه الموالي مُعْتَمداً عندَه. ومثلُ هذا لا يُلجئُ صاحبَه إلى إسنادٍ أو ذكر كتابٍ، ولذلك كان السيّدُ يرجُو أن تكون حجّةً على المخالف والمتجانفِ، وهذا نفسُ ما مرّ عن أبي الثناء الآلُوسيّ من اطّراد الحديث في كتب الفريقين، واشتهاره في الدنيا، وقد قُلنا: إنّه لا ينفكُّ عن التواتر. ولذلك قال العلّامة السيّد هاشم التوبليّ البحرانيّ في «غاية المرام»:

«إنّ روايةَ أميرالمؤمنين عليه السلام ولد في الكعبة بلغتْ حدَّ التواتُر، معلومةٌ في كتبِ العامّة والخاصّة»[٣].

---

(١) في المصدر زيادة: وبناء عكّة.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول: ١٨٩، الكرامة الثانية.

(٣) غاية المرام: ١٣.

وبمقربةٍ من هذا القول ما قاله العالمُ البارع السيّدُ محمّد الهادي ابن اللـوحي الموسوي الحسيني في كتابه «أُصول العقائد وجامع الفوائد»، قال:

«كانَ مولدُه عليه السلام في جوف الكعبة، على ما روته الشيعةُ وأهل السنّة، ولم يشرّف المولى سبحانَه أحداً من الأنبياء والأوصياء بهذا الشرف، فهو مخصوصٌ به سلام الله عليه»[1]، انتهى مترجماً من الفارسيّة وملخّصاً.

فهو يريدُ أنّ الحديثَ ممّا تصافقت الأيدي على نقله، وتطامنت النفوسُ على روايته، وأَصفقتْ الجماهير من الفريقين على إثباته، وذلك الذي نُريد إثباته، وبه يثبتُ التواتر.

ولقد قال بعضُ العلماء في مؤلَّفٍ له: «إنّ حديثَ الولادة في البيت نقلَه جلُّ أصحاب التأريخ، والمشهورُ ما بين الخاصّة والعامّة: أنّه وُلِدَ بين العَمُودين على البَلاطةِ الحَمْراء».

وفي كتابٍ آخر لبعض الأعلام: «وخبرُ ولادته هناك ـ يعني في البيت ـ مشهورٌ، والكتبُ به مملوءةٌ، وروايتُه متواترةٌ عند الفريقين».

وفي عُلمائنا من لا يأبَهُ بغير المتواتر، حيثما تعملُ فيه العلماءُ بالآحاد، ولذلك رَفضوا أخباراً كثيرةً لأنّها لم تخرجْ مخرجَ التواتر. ومن أُولئك من أثبتَ حديثَ المولد المبارك، جازماً به من غير شكٍّ فيه، ولا إردافٍ له بنقد في مَتْنِه، أو ردٍّ لإسناده، وما ذلكَ إلّا لأَنّهم اعتقدوا فيه ما اعتقدَهُ غيرُهم ممّن وقفتَ على كلماتهم من التواتر.

فمنهم: أمينُ الإسلام شيخُ المفسّرين، الفضلُ بن الحسن بن الفضل، الطبرسيّ

(١) أُصول العقائد: ١٦٥.

صاحبُ «مجمع البيان»، المتوفّى سنة ٥٤٨ في كتابه «إعلام الوَرَىٰ»، فقد أثبتَ تأريخَ الولادة كما عرفته من اليوم والشهر والسنة، وأنّها بمكّة في البيت الحرام، وقال:

«ولم يُولَدْ قطُّ في بيت الله تعالى مولودٌ سواه، لا قبلَه ولا بعدَه، وهذه فضيلةٌ خَصَّهُ اللهُ تعالى بها، إجلالاً لمحلّهِ ومنزلتِه، وإعلاءً لِقَدْرِهِ»[١].

وأنتَ تعلم أنّ الإمام الطبرسيّ لم يكُ بالذي يشذُّ هاهنا عمّا أسّسهُ للعلم والعمل، في باب أخبار الآحاد، وجرىٰ عليه في غير موردٍ من خصوص هذا الكتاب، من ردّ أحاديثَ أُخرجتْ مخرَجَها، ولا كان يُثْبِتُ في كتاب ألّفه في الإمامة، وبيان الحجّة عليها ومواقف أصحابها من الفضيلة والشرف، إلّا ما تعترفُ به الأُمّة على بَكْرةِ أبيها، وتَرويها في أجيالها وأدوارها.

ومن أُولئك: علمُ الهدىٰ، ذُو المجدين، الشريفُ المرتضىٰ، المتوفّى سنة ٤٣٦، في «شرح القصيدة المُذْهَبَة» للسيّد الحميريّ، قال:

«ورُوِيَ أنّها ـ يعني فاطمةَ بنت أسد ـ وَلَدَتْهُ في الكعبة، ولا نظيرَ له في هذه الفضيلة»[٢].

ليسَ قصدُه من إيرادها بلفظ «رُوِيَ» إسنادها إلى روايةٍ مجهولةٍ، وإنّما جرىٰ فيها على دَيْدَنِهِ في هذا الكتاب من سَرْدِ الحقائق الراهنة مقطوعةً عن الأسانيد، لشُهرتِها، وتضافُرِ النقلِ لها، وتداولِها في الكتب، لَفْتاً للأنظار إليها، وإشادةً

(١) إعلام الورى ١: ٣٠٦.

(٢) شرح القصيدة المُذْهَبة: ٥١.

بذكرها على نحو الاختصار، وعلى ذِمّة الباحث إخراجُها من مظانِّها، ولذلك تراهُ يقول ـ بعد الرواية، غير مُتلَكّئٍ ولا مُتلعْثِم ـ: «ولا نظيرَ له..» كجازمٍ بحقيقتها، مؤمنٍ بِصحّتها وتواترها، وإلّا، للَفَظها، كما هو دَأْبُه في غير واحد من الأحاديث.

ولم يشذَّ عنهُ أخوه الشريفُ الرضيُّ، المتوفّى سنة ٤٠٦ في «خصائص الأئمّة»، قال:

«وُلِدَ [عليه السلام بمكّة] في البيت الحرام، لثلاث عشرة ليلةً خلتْ من رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهو أوّل هاشميٍّ في الإسلام وُلِدَ من هاشم مرّتين، ولا نَعْلَم مولُوداً في الكعبة غيرَه»[١].

ومن عرف الشريف ونفسيّته العالية، وأخذه الحذر عمّا يمسّ شرفه وكرامةَ نَفسِه في القول والعمل، يعلم أنّه لم يَتَلفّظ بهذه الكلمة، إلّا بعدَ أن وجدَها حقيقةً ناصعةً، يُذعنُ بها نُقّادُ فَنِّ الحديثِ، وناهيكَ بِهِ خَطراً لها واعتباراً.

ولقد حذا حَذْوَ الشريفينِ شيخُ الطائفة ـ الإمامُ المقدّمُ أبو جعفر، محمّدُ بن الحسن الطوسي، المتوفّى سنة ٤٦٠ في كتابه «التهذيب» الذي هو ثالثُ الكتب الأربعة المعوَّلِ عليها عند الشيعة جمعاء ـ قال في كتاب المزار من «التهذيب»:

«وُلِدَ بمكّةَ، في البيت الحرام، يوم الجمعة»[٢] وذكر التأريخَ، كما ذكره الشريف الرضيُّ.

---

(١) خصائص الأئمّة: ٣٩.

(٢) التهذيب ٦: ١٩.

ورَوى في «مصباح المتهجّد» تأريخ شهر الولادة ومحلّها، كذلك عن ابن عيّاش: «قبل النبوّة باثنتي عشرة سنة»[١].

وعن عتّاب[٢] بن أسيد: «وللنبيّ عليه السلام ثمان وعشرون سنة، قبل نبوّته باثني عشر عاماً، يومَ الجمعة»[٣].

ومن أُولئك العلماء الذين لم يُقيموا لأخبار الآحاد وَزْناً، شيخ الشيعة وأُستاذ عُلمائها، رئيسُ الأُمّة، الشيخ المفيدُ أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النُعمان، المتوفّى سنة ٤١٣، قال في «الإرشاد»:

«وُلِدَ بمكّة، في البيت الحرام، يوم الجمعة» وتاريخُ الشهر والسنة كما عرفت.

ثمّ قال: «ولم يُولَد قبلَه ولا بعدَه مولودٌ في بيت الله سواه، إكراماً من الله جلّ اسمه لهُ بذلكَ، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم»[٤].

وذكرَ ذلك في «المقنعة» أيضاً[٥].

وفي «مسارّ الشيعة» له: أرسلَ ولادتَه عليه السلام في البيت إرسالَ المُسلَّم، وذكرَ التاريخَ، غيرَ أنّه اختارَ فيه أنّها في الثاني والعشرين من شهر رَجَبٍ، قال: «وهو يومُ مسرّةٍ لأهل الإيمان»[٦].

---

(١) انظر مصباح المتهجّد: ٨٠٥، قال: وذكر [ابن عيّاش] أيضاً أنّ يوم الثالث عشر كان مولد أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة قبل النبوّة باثنتي عشرة سنة.

(٢) غياث ـ خ ل.

(٣) انظر مصباح المتهجّد: ٨١٩.

(٤) الإرشاد ١: ٥.

(٥) انظر المقنعة: ٤٦١، قال: ولد بمكّة في البيت الحرام يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة.

(٦) مسارّ الشيعة: ٥٩.

والشيخُ المفيدُ مَنْ عرفته الأُمّةُ بالنقد والتمحيص، وأنّه كيفَ كانَ يردُّ الأخبار لأدنى علّةٍ في أسانيدها أو متونها، ويتردّدُ في مفادها، يعرف ذلك كلّه من سَبر كتبه ورسائله ومسائله، أَوَ هَلْ تَراه مع ذلك يعدلُ عن خِطّته القويمة فيرمي القولَ على عَواهنه[١] بذكر الواهياتِ على سبيل الجزم بِها، لاسيّما في كتاب «الإرشاد» الذي قصدَ فيه إعلاءَ ذكر آلِ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، والتنويهِ بفضلهم، وإمامتهم وتقدّمهم فيهما، فهل يذكرُ فيه إلّا ما هوَ مسلّمٌ بينَ الفريقين، أو الملأ الشيعيّ على الأقلّ ؟!

وتبع الشيخَ الأجلّ معاصرُه النسّابةُ نجمُ الدين الشريف أبوالحسن عليّ بن أبي الغنائم محمّد ـ ويُعرفُ بابن الصُوفي ـ ابن عليّ بن محمّد بن أحمد بن عليّ بن محمّد الصوفيّ بن يحيى بن عبدالله بن محمّد بن عُمَر الأطْرف ابن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المنتقلُ من البصرة إلى الموصل سنة ٤٢٣، والموجود بعد سنة ٤٤١، قال في «المَجْدي»:

«وَوَلَدَتْ ـ يعني فاطمة بنت أسدٍ ـ عليّاً عليه السلام في الكعبة، وما وُلِدَ قبلَه أَحَدٌ فيها»[٢].

والنسّابةُ العُمَريُّ هذا، ذكرهُ رضي الدين السيّد ابن طاووس في «الإقبال» فقالَ: «إنّه أفضل علماء الأنساب في زمانه»[٣]، وهو يَروي عن الشيخ الصدوق، ويروي عنه غيرُ واحد. وكتاب «المَجدِي» لهُ معوّلٌ عليه لدى الأصحاب كافّةً، وسكنَ إليه عامّةُ النسّابين، فما يرويهِ فيه حجّةٌ في مفاده.

---

(١) ألقى الكلام على عواهنه: لم يتدبّره.

(٢) المجدي: ١١.

(٣) إقبال الأعمال ٣: ٢٤٠.

روى شيخنا المفيد، وشيخنا الشهيد في «مزارَيهما»، والسيّد ابن طاوس في «مصباح الزائر»، في لفظ الزيارة ـ الذي علّمهُ الإمامُ الصادق عليه السلام لمحمَّدِ بن مسلمٍ الثقةِ الجليلِ ـ لأميرالمؤمنين عليه السلام، في يوم مَوْلِدِ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل، ما نصّه:

«السلامُ عليك يا مَن وُلِدَ في الكعبة، وزُوِّجَ في السماء بسيّدةِ النساء..».

ثمّ قال بعدَ سَرْدِ فضائلَ جمّةٍ له عليه السلام: «السلامُ على المَخْصُوص بالطاهرةِ التقيّة ابنةِ المختار، المولود في البيت ذي الأستار..»[١].

وفي زيارة لأميرالمؤمنين عليه السلام أُخرى مطلقة، ذكرها السيّد ابن طاووس في «مصباح الزائر» أوّلها بعد التكبيرات الأربع والثلاثين: «سلامُ الله وسلامُ ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين» ما لفظه: «السلامُ على المولُودِ في الكعبةِ، المزوَّجِ في السماء»[٢].

لقد علمَ النياقدُ الباحثون أنّ المغزىٰ من إنشاء ألفاظ الزيارات المخصوصة منها والمطلَقة، وتلاوتِها في المشاهد المقدّسةِ حيثُ المحاشد والمجتمعات العامّة، ليسَ إلّا الإشادةُ بذِكْر أئمّة الدين، والتنويهُ بفضائلهم، والتذكيرُ بمزاياهم، وإشهارُ أمرهم، وإحياء ذِكْرهم.

وإنّما أنهوها إلى الشيعة لتتلوها آناءَ الليل وأطرافَ النهار في المواسم، وبينَ زُرافات المُزدلفين[٣] إلى مراقد أئمّة الدين عليهم السلام، فيقفُ من يَتلوها أو

(١) في البحار ١٠٠: ٣٧٤ عن مزار المفيد: ١٦٣، ومزار الشهيد: ٩١، والإقبال ٣: ٢٤٠. وانظر مصباح الزائر: ١٠٦، والمزار الكبير لابن المشهدي: ٢٠٧.

(٢) مصباح الزائر: ١٠٦ وعنه في والبحار ١٠٠: ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) المترادفين ـ خ ل.

يَسْمعها على مَقامهم الرفيع، ومحلّهم من الشرف، ومُتَبَوّئِهم من الخَطَر، فَتُخْبِتُ قلوبهُم، وتَثْلَجُ صدورُهم، ويلتفت النائي عنهم إلى ما حووه من المجد المؤثَّل[١]، والكرامة على الله، والزُّلفة منه، فتكون فيها دعايةً إلى ولائهم، واحتجاجاً لإمامتهم، وإصْحاراً[٢] بتقدّمهم للأمر، وهداية إليهم، وإرشاداً إلى سُلوك خُطّتهم.

فهل يكونُ ذلك كلُّه إلّا بِسَرْد ما هو المشهورُ الدائرُ بين حَمَلَة الحديث المقبول لدى الأُمّة جمعاء، المُطَّرِدُ عندَ أهل السِيَر والأَثريّين؟! ولو عَداهُ ذلك لكانَ غَميزة في أئمّة الهدىٰ بالتعليم بالسّفاسِفِ، وفي شيعتهم بالتبجُّح بالواهياتِ، وفي المذهبِ بابتنائه على شَفا جُرُفٍ هارٍ.

وممّا يقربُ من هذا نَظْمُ السيّد الحِمْيَري ـ المتوفّى سنة ١٧٩، كما نصّ به القاضي التُّستري في «المجالس»[٣] ـ ذلك على ما جاء في «المناقب» لابن شهرآشوب، وابن الفتّال الشهيد في «روضة الواعظين»، قال:

[من الكامل]

وَلَدَتْهُ في حَرَمِ الإلهِ وأَمْنِهِ ... والبيت حيثُ فناؤُه والمسجدُ
بَيْضاءُ طاهرةُ الثيابِ كريمةٌ ... طابَتْ وطابَ وَليدُها والمَوْلِدُ
في ليلةٍ غابَتْ نُحوسُ نُجُومِها ... وبدَتْ معَ القَمَرِ المُنيرِ الأَسْعُدُ
ما لُفَّ في خِرَقِ القَوابِلِ مثلُهُ ... إلّا ابنُ آمِنَة النبيُّ مُحمّدُ[٤]

(١) تأثّل الشيء: تأصّل وتعظّم.
(٢) أصحر بالأمر: أظهره.
(٣) انظر مجالس المؤمنين ٦: ٦٥.
(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٢٣، وروضة الواعظين: ٨١. وانظر ديوان السيّد الحميري: ١٥٥.

وله:

[من مجزوء الرمل]

طِـــبْتَ كَـهْلاً وغُـلاماً ورَضِـــــيعاً وجَـــنِينا
ولَـدَى المِـيثاقِ طِيناً[١] يـومَ كـانَ الخَـلْقُ طِـينا
وبِـــبَطْنِ البَـيْتِ مَـوْلُو داً وفـــي الرَّمْـلِ دَفِـينا
كُـــنْتَ مأْمُـوناً وَجـيهاً عـندَ ذِي العَـرْشِ مَكِـينا
في حجابِ النُّورِ طُهْراً[٢] طَـــــيِّباً للـــطاهِرِينا
عند ساق العرش مـن طـ ـــه تـؤمّ السـاجدينا[٣]

فلم يكن التنويهُ بمثل هذه المَأْثُرة الجليلة، في القرن الثاني، من مثل السيّد الحِمْيريّ الذي كانَ يسيرُ بشعره الرُكْبانُ، إلّا بعدَ ما نالَتْ من الشُـهْرة والثبوت حَظْوةً وافيةً، فإنّه في جهاده ونضاله ضِدَّ أعـداء أهـل بـيت الوحـي، بـحجاجه المُتواصل، ونظمه البديع، لم يكن بالذي يفضحُ نفسَه، ولا الذي كانَ يَصْبُو إلى وَلائهم بالتشبُّث بالواهيات، أو ما لا تعرفهُ الناسُ، أو تعترفُ به، فما كان يَصْحَرُ به يجبُ في شريعة المُناظرة أن يكونَ حقيقةً ثاقبةً لدى مُناوئيه فـي الانْـضواءِ إلى عترة الوحي وسُلالة النبوّة، وهم السوادُ الأعظمُ يومذاك، مَلَؤُوا الفـضاء صَـخَباً وطَنيناً في الانحياز عن أولئك الأئمّة، وكـانوا يُـنكرون مـا يَسَـعُهم إنكـاره مـن فضائلهم، غير ما تضافَر به النقلُ، وتواترتْ الأسانيدُ في نقله، فلمْ يَدَعْ بقوّته لهم

(١) في الصراط المستقيم: «طَيْباً» بدل «طيناً».
(٢) في المناقب: حيّاً.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٢٤، الصراط المستقيم ١: ١٨٧. وانظر ديوان السيّد الحميري: ٤٣٦ ـ ٤٣٧. والبيت الثالث لم أقف عليه في المصادر.

مُنتدحاً لِدَحْضِه، وما كانت الشيعةُ يومئذٍ تحتجُّ عليهم إلّا بما هذا سبيلُه.

ولذلك إنّا نعدّ نظم السيّد الحميريّ هذا أَثْبَتَ لمفاده من أسانيد مُتساندة، وسيُوافيك أنّ حديث الولادة هذا كانَ كما وصفناهُ في القُرون الأُولى، وإن لم يَعدُ أن يكون كذلك فيما بعدَها وإلى العصر الحاضر.

وممّن نظمَ القصّة محمّد بن منصور السرخسيُّ، كما في «مناقب ابن شهرآشوب» وفي شرح نهج البلاغة الموسوم بـ«منهاج البراعة» للعلّامة الكبير الحاج الميرزا حبيب الخوئي، قال:

[من الكامل]

وَلَدَتْهُ مُنْجِبَةٌ وكانَ وِلادُها ... في جَوْفِ كَعْبَةِ أَفْضَلِ الأَكْنانِ[1]

وسَقاهُ رِيقَتَهُ النبيُّ ويالَها ... من شَرْبةٍ تُغْني عن الأَلْبانِ

حتّىٰ تَرَعْرَعَ سَيّداً سَنَداً رِضاً ... أَسَداً شَدِيدَ القَلْبِ غيرَ جَبانِ

عَبَدَ الإلهَ مع النبيّ وإنّهُ ... قَدْ كانَ بعدُ يُعَدُّ في الصِّبْيانِ[2]

وهذا أحدُ الشعراء القُدماء من مادحي أهل البيت النبويّ الطاهر، قبلَ القرن السادس، والقولُ في نظمه هذه المنقبةَ الجليلةَ يقربُ ممّا أَسْمعناكَهُ في شعر السيّد الحِمْيريّ، فإنّ صاحبَ الحُجّة لا يستهينُ الغميزةَ فيما يقولُ مهما بَلَغَ من الخلاعة وعدم الاكْتراثِ، ورمي القول على عَواهنه، في المعاني الشعريّة، فإذا كان شعرُهُ قَصصيّاً يَرْبأ بنفسه عن القذف والرمْي بالإفْكِ، فهو لم يَصُغْ تلك المدحةَ

(١) الأكنان: جمع كِنّ، وهو ما كَنَّ وستر من الحرّ والبرد.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٢٤، منهاج البراعة ١: ٢١٨.

في قالب الشعر حتّى حَسِبَها ـ كما هي كذلك ـ متضافرةَ الإسناد، موصولَةَ الطرقِ، في كلِّ جيلٍ عند المُؤالف والمُخالف.

ويقربُ من هذا ما جاء في داليَّةٍ كبرىٰ علويّةٍ، كلُّها مديحٌ واحتجاجٌ، لشاعر أهل البيت عليهم السلام، الفاضل البارع علاءِ الدين الشيخ عليّ الشفهينيّ، المتوفّى في حدود السبعمائة[١] بالحلّة ودُفِنَ بها، قال:

أَمْ هل تَرى في العالَمين بأَسْرِهم بَشَراً سِواهُ ببيتِ مكّةَ يُوْلَدُ؟
في ليلةٍ جبريلُ جاءَ بها مَعَ الـ ـمَلَك[٢] المقدَّس حَوْلَهُ يتعبَّدُ
فَلَقَدْ علا شَرَفاً بِذاكَ كَما بِهِ شَرَفاً عَلا كلَّ البقاعِ المَسْجِدُ[٣]

وإنّك تراهُ كيفَ يترسّلُ في سَرْدِ الفَضيلة كما يترسّلُ الإنسانُ في أيّ حكمٍ ثابتٍ، ويجدُّ في القضاء كما يفعلهُ العالمُ بالقضيّة، المحيطُ بأطرافها وشؤونها، وقد دَحَرَ عنها أيّ وَصْمةٍ تَعتريها، أو شائنةٍ تضربُ على يده عندَ الحكم، وتصرفُ قلبَه عن الإخْباتِ بها، وهل يكونُ ذلك مع آحادِ الأخبار التي لا يعرفُها إلّا رُواتُها؟!

وممّا يدرأ عن الحديث إسفافه إلى صفّ الآحاد ما قالَه العلّامة الأكبرُ

---

(١) أقول: جاء في طبقات أعلام الشيعة، القرن الثامن ص١٣٧: أنّه كان في حدود ٧٠٠ وقد مدح الشهيدَ الأوّل المستشهد ٧٨٦ بقصيدةٍ. وانظر ترجمته في الغدير ٦: ٣٦٦.

(٢) في الغدير: مع الملأ.

(٣) في الغدير:

فَلَقَدْ سما مَجْداً عليٌّ كما عَلا شَرَفاً بِهِ دونَ البِقاعِ المَسْجِدُ

والقصيدةُ مذكورة كاملةً في الغدير ٦: ٣٥٥ ـ ٣٦٤ عن عدّة نسخ خَطيّة.

ثقةُ الإسلام النوريّ، راوية الأخبار، ونيقدُ «السِّيَر، وعَـلَمُ الإحـاطة فـي «اللـؤلؤ والمرجان»:

«إنّ هذه الفضيلةَ الباهرةَ جاءتْ في أخبارٍ غير محصورةٍ، ومنصوصٌ بها في كلمات العلماء، وفي ضمنِ الخطبِ والأشعار في جـميع الأعـصار، وهـيَ مـن خصائصِ الإمام عليه السلام، لم يشاركه فيها نبيّ أو وصيّ، ولا يبعد كونها من ضروريّات مذهب الإماميّة، ولم تَزَل الشيعةُ تفتخرُ بها»[1]، انتهى مـترجَـماً إلى العربيّة.

ومهما حملنا قولَه أنّها «جاءت في أخبار غير محصورة» على المبالَغة، فإنّ أقلّ مراتبه أن تكونَ متواترةً، أضِفْ إليها نصوصَ العلماء والخطباء والشعراء، التـي أوعزُوا إليها، فإنّها لا تقلُّ عن أن يكون كلٌّ منها روايةً، فهي مُعاضِدَةٌ لذلك التواتر، أو أنّ منها ينشأُ تواترٌ آخر، بضميمة تواصلها في كلّ العُصور، كما صرّح به. وعلى العلّات فإنّ الجميعَ لا يعدُو أن يكونَ متواتراً، ولمكانها من التحقّق لم تزل الشيعةُ تفتخرُ بها، واحتمل أن تكون من ضروريّات مذهبهم.

(١) اللؤلؤ والمرجان: ١٦٦. ط حجريّة.

حديثُ الولادة الشريفة مشهورٌ بين الأُمّة

إنّ أيسَرَ ما يسعُ الباحثَ إثباتُه هو شُهرة هذا النبأ العظيم، بنصوص أئمّةِ الحديث بذلك من ناحيةٍ، وبتداول ذكره في الكتب من ناحيةٍ أُخرى، وبالتسالم على روايته واطّراد أسانيده من جهةٍ ثالثةٍ، ولها شواهدُ أُخرى لعلّك تقف عليها في غضون هذه الرسالة إن شاء الله.

قال العلّامةُ المجدّدُ للمذهب في القرن الثاني عشر، شيخنا المجلسيّ، المتوفّى سنة ١١١٠ في «جلاء العيون»:

«إنّ ولادته عليه السلام في البيت ـ يومَ الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل ـ مشهورةٌ بينَ المحدّثين والمؤرّخين من الخاصّة والعامّة»[1].

وفي «تُحفة السلاطين» للمولى محمود بن محمّد عليّ بن محمّد باقر: «إنّ حديثَ ولادته عليه السلام في البيت ـ يومَ انشقّ جدارُه لفاطمة بنت أسد فَدَخَلَتْه ـ مشهورٌ، كالشمس في رائعة النهار»[2]، انتهى مترجماً إلى العربيّة.

ثمّ ذكر شيئاً من أحاديث الباب.

---

(١) جلاء العيون ١: ٢٣٢. والطبع المعتمدي: ٨٠.

(٢) تحفة السلاطين ٢: ٥٠.

وفي «تُحفة المجالس» تأليف السلطان محمّد بن تاج الدين حسن: «إنّ الأقربَ إلى الصواب أنّه عليه السلام وُلِد في الكعبة» وفي الباب أخبارٌ كثيرةٌ ذكر بعضَها، ثمّ قال: «وفي الأخبار أنّه لم يَكُن شَرَفُ الولادة في البيت لأيّ أحدٍ قبلَه ولا بعدَه»[١]، انتهى مترجماً.

وقد عرفتَ في إثبات تواتر الحديث عن بعض العلماء: أنّه نقلَه جلُّ أصحاب التاريخ، والمشهورُ بينَ العامّة والخاصّة أنّه وُلِدَ بين العمودين، على البِلاطة الحَمْراء.

هذه كلماتٌ ثمينةٌ من مَهَرة الفنّ. لاسيّما الكلمة الأُولى التي جاءَ بها إمامٌ من أئمّة الفقه والحديث، وأحد مُجدّدي المذهب في القرون الإسلاميّة، ألا وهو العلّامةُ الأكبرُ محمّد باقر المجلسيّ قدّس سرّه، أوّل الغائصين في بحار الأخبار، وأولاهم وأبصرهم بالأحاديث والسير، وهو يقول بملء فَمِه: «إنّ الحديث مشهورٌ بين العامّة والخاصّة من المحدّثين والمؤرّخين»[٢].

أفلا تحدُوك هذه الشهرةُ الطائلةُ بينَ الأُمّة جمعاء إلى الإخبات به، على حينَ أنّ شُهْرةً كهذه لا يُبارحها التواترُ في الأسانيد.

وإليك ما قاله أحدُ أسباط هذا الإمام النيقد، من أوتاد العلم وعُمُد المذهب، ألا وهو: أبوالحسن ابن المولى محمّد الطاهر ابن الشيخ عبدالحميد ابن الشيخ موسى بن عليّ بن محمّد ابن الشيخ معتوق بن عبدالحميد، العاملي النباطي الأصبهاني،

---

(١) تحفة المجالس: ٦٤ و٨٨.

(٢) جلاء العيون: ٢٣٢.

المتوفّى في عَشْر الأربعين، بعدَ سنة ١١٠٠[١]، في كتابه القيّم «ضِياء العالمين» عندَ بحثه عن مَوْلِد الإمام عليه السلام، قال:

«إنّ الولادةَ في البيت كانت مشهورةً في الصدر الأوّل، بحيثُ لم يمكن إنكارُها، مَعَ أنّهم ـ يعني أهلَ الخلاف ـ أنكروها أيضاً أخيراً»[٢].

و«ضياء العالمين» أثبتُ كتابٍ في الإمامة، ومن أبسط ما أُلّف فيها، وهو في الطراز الأوّل بين لِداته[٣]، ومن عَليّةِ كتب الإماميّة، لم يُثبت مصنّفهُ فيه إلّا الحجج الدامغةَ لتكونَ مفحمةً للخصم، فهذه الخطّةُ هي بمفردها كافيةٌ في أنْ لا يذكرَ فيه مؤلّفُه إلّا الحقائقَ الناصعةَ، لو قطعنا النظرَ عن عظمة صاحبه التي دُونَ مَداها مُنْقَطَعُ الوصف والبيان.

ولقد سلكَ هذا المسلكَ بإيراد الحديث مُرسِلاً له إرسالَ المسلّم في كتب معقودةٍ للحجاج وإيراد المسلَّمات فيها، جماعةٌ، منهم:

جمالُ الملّة والدين، آيةُ الله في العالمين، عَلَمُ الشيعة ومرجعُها الفَذُّ، أبو منصور، الحسنُ بن يوسف بن عليّ بن المطهّر، العلّامةُ الحلّيّ قدّس سرّه، المتوفّى سنة ٧٢٦، في كتابيه «كشف الحقّ» و«كشف اليقين».

فذكر فيهما محلَّ الوِلادة الميمونة، وهي الكعبةُ، ويومَها وهو الجمعة، في الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، مع النصّ بأنّه لم يُولَدْ أَحَدٌ سواهُ فيها قبلَه ولا بعدَه، وأردفَ ذلك في الأوّل بفضائلَ جمّةٍ يأتي ذكرها

(١) أقول: كانت وفاته سنة ١١٣٨ في النجف الأشرف.

(٢) ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمّة المصطفين ٤: ٣٥٠.

(٣) أي أمثاله من الكتب.

إن شاء الله تعالى، وذكر أنّه كانَ عُمُرُ النبيّ صلّى الله عليه وآله عندئذٍ ثلاثينَ سنة[١].

وكذلك الوزيرُ السعيدُ بهاءُ الدين، أبوالحسن، عليُّ بن عيسى الأَربِلّيّ، المتوفّى سنة ٦٩٢ في «كشف الغُمّة» الذي فَرَغَ منه سنة ٦٨٧، فقد وافقَ العلّامةَ في يوم المولد وشهره وسنته، وقال:

«ولم يُولَد في البيت أحدٌ سواهُ قبلَه ولا بعدَه، وهي فضيلةٌ خَصَّهُ اللهُ بها إجلالاً له وإعلاءً لِرُتْبته، وإظهاراً لتكَرُمَتِهِ».

وروى في سنة الولادة أنّها سنة ثمان وعشرين من عام الفيل، قال: «والأوّل عندنا أصحّ»[٢].

ومثلُه الشيخُ الثقةُ الثَّبْتُ، أبو عليّ، محمّد بن الحسن بن عليّ بن أحمد، الحافظُ الواعظُ الفارسيُّ الشهيدُ النيسابوريّ، ويُعرف بـ«ابن الفَتّال» من عُلماء المائة السادسة ـ ويروي عن شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسيّ ـ في كتابه «روضة الواعظين» فذكرَ الوِلادةَ موافقاً للأرْبِلّيّ في جميع الخصوصيّات[٣].

ومنهم الحافظُ الثقةُ رشيدُ الدين، محمّد بن عليّ بن شهر آشوب، السرويُّ المازندراني، المتوفّى سنة ٥٨٨، فإنّه قال في «مناقبه» ـ بعد أن روى أحاديثَ في مولد الإمام عليه السلام ـ:

«فالوَلَدُ الطاهرُ من النسل الطاهرِ، وُلِدَ في الموضع الطاهِر، فأينَ تُوجَدُ هذه

(١) نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٣٢، كشف اليقين: ١٧.
(٢) كشف الغمّة ١: ٦٠.
(٣) روضة الواعظين: ٧٦.

الكرامة لغيره؟! فأشرفُ البِقاع الحرمُ، وأشرفُ الحرم المسجدُ، وأشرفُ بِقاع المسجد الكعبةُ، ولم يُولَدْ فيها مولودٌ سواهُ، فالمولودُ فيها يكونُ في غاية الشرف، وليسَ المولودُ في سيّد الأيّام يومَ الجمعة، في الشهر الحرام، في البيت الحرام سوى أميرالمؤمنين عليه السلام»[١].

ومن أُولئك العلماء الأعاظم، شمسُ الدين أبو الحسين، يحيى بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن محمّد، الأسديُّ الحلّيُّ الرَّبْعيُّ المعروف بـ«ابنِ بِطْرِيق»، المتوفّى سنة ٦٠٠، في شعبان، في كتابه «العُمْدة» فقد جَزَمَ فيه بولادته عليه السلام، في البيت، يومَ الجمعة في الثالث عشر من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل.

قال: «ولم يُولَد قبلَه ولا بعدَه مولودٌ في بيت الله سواهُ»[٢].

ومنهم: العلّامة الشيخُ عليُّ بن محمّد بن يُونُس، البياضيُّ العامليُّ، في كتابه «الصراط المستقيم» ذلكَ الكتاب الضَخْم الفَخْم الحافلُ بالحجج النيّرة، قال ـ بعد تمام القول عن أميرالمؤمنين عليه السلام وإمامته ومناقبه ـ: «تتمّةٌ: لمّا انتهتْ بي الحال، إلى هذا المقال، أحببتُ أن أُنوِّرَ كتابي بتواريخ هذه الأقيال[٣]، ومناصع موالديهم، ومواضع قُبورهم، فاخترتُ ما ارتجزهُ السيّدُ الحسيبُ النسيبُ ذوالمجد السديد، السيّد حسينُ بن شمس، الحسينيُّ» وذكر الأُرجوزةَ، ومنها في تاريخه عليه السلام:

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٢٣.

(٢) العمدة: ٢٤.

(٣) جمع قَيْل: وهو الملك النافذ القول والأمر.

[من الرجز]

ومولدُ الوصيّ أيضاً في الحَرَمْ بكـعبةِ الله العَـلِيِّ ذي الكَـرَمْ
مِنْ بعدِ عامِ الفيلِ في الحسابِ عَشْرٍ وعشرين بلا ارتـيابِ[1]

والبياضيُّ من علماء القرن التاسع، وصاحبُ الأُرجوزة من مُعاصريه.

ومنهم: العلّامةُ عمادُ الدين، الحسنُ بن عليّ بن محمّد بن الحسن، الطبرسيُّ الآمليُّ صاحبُ «الكامل البهائي» و«أسرار الإمامة» وغـيرهما، مـن عُـلماء القـرن السابع، في كتابه «تُحفة الأبرار» فذكر ولادتَه عليه السلام، فـي جـوف الكـعبة، محدَّدةً بتاريخ اليوم والأُسبوع والشهر والسنة، كما فصّله ابن بِطْريق، ونـفى أن يكونَ في البيت مَوْلُودٌ سواهُ من غَير ترديد. وذلك أنّ فاطمةَ بنت أسد قصدتْ الطوافَ بالبيت فَفاجَأها الطلقُ، ولم تَسَعْها الرجعةُ، ويَمَّمَت الكعبةَ، فَفُتِحَ لها بابُها بأَمْرٍ من ربّ الدار، حتّى دَخَلَتْها فأُرْتِجَ البابُ ووُلِدَ هنالِكَ طاهراً مُطهَّراً، فمكثتْ فيها ثلاثةَ أيّامٍ ثمّ خرجَتْ إلى بيتها[2].

---

(١) الصراط المستقيم ٢: ٢١٥.

(٢) انظر تحفة الأبرار: ١٦٩، بترجمة عبد الرحيم مبارك / الباب الرابع الفصل الثاني.
نجد سرد هذه الحقائق مشفوعاً بالتقرير في ترجمة هذه ـ التحفة ـ إلى العربيّة للشيخ عليّ بـن يوسف بن منصور النجفي صاحب «مختصر تأويل الآيات الباهرة في فضائل العترة الطاهرة» من علماء القرن العاشر، ونسبة الكتاب إليه مذكور في (الذريعة إلى مصنّفات الشيعة) ٣: ٤٠٥ وفي حرف الميم منها، وفي كتاب «إحياء الداثر في مآثر القرن العاشر». (المؤلّف)
أقول: المترجِم لكتاب تحفة الأبرار هو الشيخ نجف بن سيف النجفي الحلّي وليس الشيخ علي [أو علم] بن سيف بن منصور النجفي الحلّي الذي اختصر تأويل الآيات. انظر الذريعة ٤: ٨٨/ الرقم ٣٨٩. لكن صاحب الذريعة عاد في ٢١: ٢٣٩/ الرقم ٤٨٠٩ «معرَّب تحفة الأبرار». فذكر أنّ المُترجِم هو الشيخ علي [أو علم] بن سيف بن منصور النجفي، وما ذُكر في النسـخة مـن أنّ المترجِم هو نجف بن سيف النجفي الظاهر أنّه من غلط الناسخ.

وقال القاضي السعيدُ الشهيدُ سنة ١٠١٩ السيّدُ نـورُ الله الحسـينيُّ المـرعشيُّ التُّستريّ ـ حين طَفِقَ يُنازل ويُناضل القاضيَ فضل الله بن رُوزْبهان[١] فـي هـذه الحقيقة البارزة ـ في كتابه «إحقاق الحقّ»:

«إنّ الفضيلةَ والكرامةَ في أنّ بابَ الكعبة كان مُقْفلاً، ولمّا ظهرَ آثارُ وضعِ الحمل على فاطمة بنت أسد رضي اللهُ عنها، عندَ الطواف خارجَ الكعبة، انفتحَ لها البابُ بإذن الله تعالى، وهَتَفَ بها هاتفٌ بالدُخول.

وعلى تقدير صحّة تولّد حكيم بن حِزام قبلَ الإسـلام، فـي وسـط بـيت الله الحرام، فإنّما كانَ بحسب الاتّفاق، كما يتّفق سقوط الطفل من المرأة، والعِجْل من البقرة في الطريق وغيره. على أنّ الكلام في تَشَرُّف الكعبة بولادَتِه فيها، لا فـي تَشَرُّفه بولادته في الكعبة»[٢].

ثمّ أنشد قول العارف لُطْف الله النيسابوريّ الفارسيّ:

طوافِ خانهٔ كعبه از آنْ شُدْ بر همهْ واجبْ

كه آنجا در وجودْ آمد عليُّ بن أبي طالب[٣]

فهذه الكتبُ الثمينةُ المبنيةُ على الحِـجاج والنـضال، لاسـيّما كـتب العـلّامة، والقاضي التُستري، وابن بِطْريق، لم يَتَوَخَّ مؤلّفوها سردَ الوقائع التاريخيّة من أينما

(١) فضل بن رُوزْبهان بن فضل الله الخُنْجي الإصفهاني، المعروف بباشا، كان مـن أعـاظم عـلماء المعقول والمنقول، حنفيّ الفروع أشعريّ الأُصول، مُتعصّباً لأهل مذهبه وطريقته، مُتصلّباً فـي عداوة أولياء الله وأحبّته. انظر الضوء اللّامع ٦: ١٧١، وروضات الجنّات ٦: ٥٥٣/١٧.

(٢) إحقاق الحق: ١٩٨.

(٣) إحقاق الحق: ١٩٨. وترجمة الشعر هي:

لقد صار الطواف حول الكعبة واجباً لأنّ عليّ بن أبي طـالب وُلِـدَ هـناك

حصلتْ، وإنّما قصدوا فيها إلزامَ الخصوم بالحجج النيّرةِ، فهلْ يُمكنهم ـ إذَنْ ـ أن يسترسلوا بإيراد ما توسّعَ بنقله القالةُ من دون تثبُّتٍ؟ لا، ولكنَّ شريعة الحجج والدين تُلْزِمُهم بإثبات الشائع الذائع المتلقّى عندَ الفريقين بالقبول، المشهور نقلُه، الثابتِ إسنادُه، بحيث لا يدعُ للمتعنّتِ وليجةً إلى إنكاره، وإلّا لعادَ ما يذكُره ثَلْماً في بيانه، وفَتّاً في عَضُدِ بُرهانه، فمن الواجب ـ إذن ـ أن يكونَ هذا الحديث ممّا يخضعُ له الخصمُ ولا يتقاعسُ عن الإخباتِ به الأولياءُ، لمكان شُهرة النقلِ له.

وما ذكره القاضي، في ولادة حكيم بن حزام، أَصفقَ فيه معهُ البحّاثةُ عبدُالرحمن الصفوريّ الشافعيّ في «نزهة المجالس»، قال:

«ورأيتُ في «الفُصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة» بمكّة شرّفها اللهُ تعالى، لأبي الحسن المالكي: أنّ عليّاً رضي الله عنه ولدتْهُ أُمّه بجوف الكعبة شرّفها الله، وهيَ فضيلةٌ خصّه اللهُ تعالى بها، ذلك أنّ فاطمةَ بنت أسدٍ رضي الله عنها أصابها شِدّةُ الطَّلْق، فأدْخَلها أبوطالب الكعبةَ، فطلقتْ طلقةً فولدته يومَ الجمعة في رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل، بعدَ تزوّج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خديجةَ بثلاث سنين، وأمّا حكيم بن حِزام[1] فولدتْه أُمّه في الكعبة، اتّفاقاً لا قَصْداً»[2].

هذا على تقدير صحّة النقل بذلك، فهو أمرٌ اتفاقيٌّ يقعُ أمثالُه لكثيرٍ ممّن لا أهمّيّة له في دين أو دنيا، ولا أثر له إلّا تلويثُ المحلّ بالمخاض، فتجبُ إزالته

(١) في نزهة المجالس: عمرو بن حزم، والصحيح حكيم بن حزام كما مرَّ ويأتي إن شاء الله تعالى. (المؤلّف). انظر: جمهرة أنساب العرب: ١٢١، تهذيب الكمال ٧: ١٤٥٤/١٧٠، الإصابة ٢: ١٦٩٥، تهذيب التهذيب ٢: ٧٧٥/٤٤٦، المستدرك ٣: ٤٨٣.

(٢) نزهة المجالس ٢: ٢٠٤. وانظر الفصول المهمّة ١: ١٧٤ ـ ١٧٥.

إن كانَ من المَحالِّ المحترمة كالكعبة وشبهها، وأين هو من قصّة أميرالمؤمنين عليه السلام، التي هيَ من الأُمور القَصْدِيّة، بعناية من المهيمن الأعلى جلّت عظمتُه؟!

روى الوزير السعيدُ الأربلّيّ في «كشف الغمّة» عن كتاب «بِشارة المصطفى» مرفوعاً إلى يزيد بن قَعْنَب، قال:

كنتُ جالساً مع العبّاس بن عبدالمطّلب رضي الله عنه، وفريق من بني عبدالعُزّى بإزاء بيت الله الحرام، إذْ أقبلتْ فاطمةُ بنت أَسَدٍ، أُمّ أميرالمؤمنين عليه السلام، وكانت حامِلاً به لتسعة أشهر، وقدْ أَخَذَها الطلقُ، فقالت: «يا ربِّ، إنّي مؤمنةٌ بكَ وبما جاءَ من عندِك من رُسُلٍ وكُتُبٍ، وإنّي مصدّقةٌ بكلام جَدّي إبراهيم الخليل، وإنّه بنى البيتَ العتيق، فبحقِّ الذي بنى هذا البيت، وبحقّ المولود الّذي في بطني إلّا ما يَسَّرْتَ عليَّ ولادتي».

قال يزيد بن قَعْنَب: فرأيتُ[1] البيتَ قد انشقّ[2] عن ظهره، ودخلت فاطمةُ فيه، وغابت عن أبصارنا، وعادَ إلى حاله، والتزق الحائط، فرُمْنا أن ينفتحَ لنا قفلُ الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمرٌ من أمر الله عزّ وجلّ، ثمّ خرجَتْ بَعْدُ في اليوم الرابع، وعلى يدها أميرُالمؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثمّ قالت: إنّي فُضِّلتُ على مَنْ تقدَّمَني من النساء، لأنّ آسيةَ بنت مزاحم عَبَدَتِ الله سِرّاً في موضع لا يُحِبُّ اللهُ أن يعبدَ فيه إلّا اضطراراً، وأنّ مريمَ بنت عمران هَزَّتْ النخلةَ اليابسةَ بيدها حتّى أكَلَتْ منها رُطَباً جَنيّاً.

---

(١) فرأينا ـ خ ل.

(٢) قد انفتح ـ خ ل.

وأنّي دخلتُ بيتَ الله الحرام، فأكَلْتُ مِن ثِمار الجنّة وأرزاقها، فلمّا أردتُ أنْ أخرجَ هَتَفَ بي هاتِفٌ وقال:

يا فاطمةُ سمّيهِ عَليّاً فهو عَلِيٌّ، واللهُ العليُّ الأعلى يقول: شَقَقْتُ اسمَهُ من اسمي، وأدّبْتُه بأَدَبي، وأَوْقفته على غامِض عِلْمي، وهوَ الذي يُكسِّرُ الأصنامَ في بيتي، وهو الذي يُؤذّنُ فوقَ ظهر بيتي، ويُقَدِّسُني ويُمَجِّدني، فطوبىٰ لمن أَحَبَّهُ وأطاعَهُ، ووَيْلٌ لمن أبغضَه وعَصاهُ.

قالتْ: فولدتْ عليّاً، ولرسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثون سنةً، وأَحَبَّهُ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله حُبّاً شديداً، وقالَ لها[1]: اجعلي مهدَهُ بقُرْبِ فِراشي. وكانَ صلّى الله عليه وآله يَلِي أكثرَ تَربيته، وكانَ يُطهِّرُ عليّاً في وقت غُسله، ويُوجِرُه[2] اللبنَ عند شُرْبه، ويُحرّك مهدَه عندَ نَومِهِ، ويُناغيه في يَقْظَته، ويَحْمِلُه على صدره ورَقَبَتِه، ويقولُ: هذا أخي، ووليّي، وناصِري، وصفِيّي، وذُخْري، وكَهْفي، وصِهْري، ووَصِيِّي، وزوجِ كَريمتي، وأَمِيني على وَصِيَّتي، وخَليفتي.

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يحملُه دائماً ويطوفُ به جبالَ مكّةَ وشِعابها وأوديتَها وفِجاجَها. صلّى الله على الحامِلِ والمحمُولِ وآلهما[3].

ورواه ابن الفتّال في «روضة الواعظين» عن يزيد بن قَعْنَب، مثلَه، إلى قوله: «وويلٌ لمن أبغضهُ وعصاهُ»[4].

---

(١) في بعض المصادر: «وقال لي». وهي الأجود.

(٢) أوجره اللبن: جعله في وسط حلقه. (لسان العرب ـ وجر ٥: ٢٧٩)

(٣) كشف الغمّة ١: ٦٠ ـ ٦٢ عن بشارة المصطفى. وهو في بشارة المصطفى المطبوع: ٢٦ ـ ٢٧ إلى قوله «وويل لمن أبغضه وعصاه».

(٤) انظر روضة الواعظين: ٧٦ ـ ٧٧.

وفي «كشف اليقين» لآية الله العلّامة الحلّيّ، و«كشف الحقّ» عن «بِشارة المصطفى» عن يزيد بن قَعْنَب، مثلُه، إلى قوله: «وأَوْدِيَتها»[١].

وفي «الإرشاد» لأبي محمّد، الحسن بن أبي الحسن محمّد، الديلمي، عن «البشارة» أيضاً مثلُه[٢].

وروى مختصراً منه الأميرُ محمّد صالح بن عبدالله الحسينيُّ الترمذيُّ، الآتي ذكره، في «مناقبه» عن يزيد بن قَعْنَب[٣].

ورواه رئيسُ المحدّثين الشيخُ الصدوق أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن الحسين ابن موسى بن بابَوَيْه القمّي، المتوفّى سنة ٣٨١ في «الأمالي»، و«علل الشرائع» و«معاني الأخبار»: عن عليّ بن أحمد بن موسى الدقّاق رضي الله عنه، عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن محمّد بن سِنان، عن المفضّل بن عُمَر، عن ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: قالَ يزيد بن قَعْنَب.. وذكر الحديث مثلَه.

وفي نُسخته بعض التغيير، أوعزنا إلى المهمّ منه في محلّه. وأنهاه إلى قوله: وويلٌ لمن أبغضهُ وعصاهُ..[٤].

ورواه شيخُ الطائفة، أبو جعفر الطوسيّ في «أماليه» ـ التي تعرفُ بأمالي ابن الشيخ، والحقيقة هو ما ذكرتهُ ـ عن أبي الحسن محمّد بن أحمد بن الحسن بن

---

(١) انظر كشف اليقين: ١٧ ـ ٢١، نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٣٣.

(٢) انظر إرشاد القلوب ٢: ١٢ ـ ١٣. إلى قوله: «وأوديتها».

(٣) انظر مناقب مرتضوي: ٨٧ ط بومباي ١٣٢١هـ.

(٤) انظر أمالي الصدوق: ١٩٤ ـ ١٩٦/ ح٢٠٦، وعلل الشرائع ١: ١٣٥ ـ ١٣٦/ ح٣، ومعاني الأخبار: ٦٢ ـ ٦٣/ ح١٠.

شاذان، عن أحمد بن محمّد بن أيّوب، عن عمر بن الحسن القاضي، عن عبدالله ابن محمّد، عن أبي حبيبة، عن سُفيان بن عُيينة، عن الزُّهريّ، عن عائشة.

(ح)[١] وعن محمّد بن أحمد بن شاذان، عن سهل بن أحمد، عن أحمد بن عمر الربيعيّ، عن زكريّا بن يحيى، عن أبي داود، عن شُعبة، عن قَتادة، عن أنس ابن مالك، عن العبّاس بن عبدالمطّلب.

(ح) قال الشيخ[٢]: وحدّثني إبراهيم بن عليّ، بإسناده عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال:

كانَ العبّاس بن عبدالمطّلب، ويزيد بن قَعْنَب، جالِسَيْن ما بينَ فريق بني هاشم إلى فريق عبدالعُزّى، بإزاء بيت الله الحرام، إذ أتتْ فاطمةُ بنت أسد بن هاشم أُمّ أميرالمؤمنين عليه السلام، وكانتْ حاملةً بأميرالمؤمنين عليه السلام لتسعة أشهر، وكان يومَ التمام.

قال: فوقفتْ بإزاء البيت الحرام، وقد أخذها الطَّلْقُ، فرمتْ بطَرْفها نحو السماء، وقالت: «أي ربِّ، إنّي مؤمنةٌ بكَ وبما جاءَ به مِن عندك الرَّسُول، وبكلّ نبيٍّ من أنبيائك، وبكلّ كتابٍ أنزلتَ، وإنّي مصدِّقةٌ بكلام جَدّي إبراهيم الخليل، وإنّه بنى البيتَ العتيقَ، فأسألُك بحقّ هذا البيت ومَنْ بَناهُ، وبهذا المولود الذي في أحشائي، الذي يُكَلِّمُني ويُؤنِسني بحديثه، وأنا موقنةٌ أنّه إحدى آياتك ودلائلك، لمّا يَسَّرْتَ عليَّ ولادتي».

قال العبّاسُ بن عبدالمطّلب، ويزيدُ بن قَعْنَب: لمّا تكلَّمتْ فاطمةُ بنت أسدٍ

(١) هذا الحرف (ح) رمزٌ للتحوّل من سندٍ إلى سند آخر، ويُسمّى عند أهل الحديث بـ«الحيلولة».
(٢) في المصدر المطبوع: «قال ابن شاذان» بدل «قال الشيخ».

ودَعَتْ بهذا الدعاء، رأينا البيتَ قد انفتحَ من ظهره، ودخلتْ فاطمةُ فيه، وغابتْ عن أبصارنا، ثُمَّ عادت الفتحةُ والتزقَتْ بإذن الله تعالى، فرُمْنا أنْ نفتحَ البابَ ليصلَ إليها بعضُ نسائنا فلم ينفتح الباب، فَعَلِمْنا أنّ ذلك أمرٌ من أمر الله تعالى، وبقيت فاطمةُ في البيت ثلاثةَ أيّام.

قال: وأهلُ مكّة يتحدّثون بذلكَ في أفواه السكك، وتتحدّثُ المخدَّرات في خُدُورهنّ.

قال: فلمّا كانَ بعدَ ثلاثة أيّام انفتحَ البيتُ من الموضع الذي كانت دخَلَتْ فيه، فخرجتْ فاطمةُ وعليٌّ على يَدَيْها، ثمّ قالت:

معاشرَ الناس، إنّ الله عزّ وجلّ اختارني من خَلْقه، وفَضَّلني على المُختارات ممّن مضىٰ[1] قبلي.

وقد اختارَ الله آسيةَ بنت مزاحم، فإنّها عَبَدَت الله سِرّاً في موضعٍ لا يُحبّ أنْ يُعبدَ اللهُ فيه إلّا اضطراراً.

ومريمُ بنت عمران حيثُ اختارها الله، ويَسَّرَ عليها ولادة عيسىٰ، فهزّت الجذعَ اليابسَ من النخلة في فَلاةٍ من الأرض حتّى تَساقط عليها رُطَباً جَنيّاً.

وإنّ الله تعالى اختارني وفضّلني عليهما، وعلى كلّ مَنْ مضىٰ قبلي من نساء العالَمين، لأنّي وَلَدْتُ في بيته العتيق، وبقيتُ فيه ثلاثةَ أيّام، آكلُ من ثمار الجنّة وأرزاقها[2]، فلمّا أردتُ أن أخرجَ وولدي على يدي هَتَفَ بي هاتِفٌ، وقال:

«يا فاطمةُ، سمّيهِ عَلِيّاً، فأنا العليُّ الأعلىٰ، وإنّي خلقتُه من قُدرتي، وعِزّتي

---

(١) في نسخة: «كُنَّ» بدل «مضى».

(٢) في بعض النسخ: «وأوراقها» بدل «وأرزاقها».

وجَلالي، وقِسْطِ عَدْلي، واشتققتُ اسمَه من اسمي، وأدّبتُه بأدبي، وفوّضتُ إليه أمري، ووَقَفْتُه على غامض عِلْمي، ووُلِدَ في بيتي، وهُوَ أوّلَ مَنْ يُؤَذِّنُ فوقَ بيتي، ويُكَسِّرُ الأصنامَ ويَرميها على وجهها، ويُعَظِّمُني ويُمجّدني ويُهلّلني، وهو الإمامُ بعدَ حبيبي ونبيّي وخِيَرتي من خَلْقي محمّد رسُولي، ووصيّه، فطُوبىٰ لمن أَحبّه ونَصَرَهُ، والويلُ لمنْ عصاهُ وخذلَهُ وجَحَدَ حقَّهُ».

قال: فلمّا رآه أبوطالب سَرَّهُ[1]، وقالَ عليّ عليه السلام: «السلامُ عليكَ يا أَبَهْ ورحمةُ الله وبركاته».

قال: ثمّ دخلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، فلمّا دخلَ اهتزّ له أميرُالمؤمنين عليه السلام وضحكَ في وَجْهه، وقال: «السلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته».

قال: ثمّ تنحنحَ بإذن الله تعالى، وقال: «بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[2] إلى آخر الآيات.

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: «قد أَفلحوا بكَ» وقرأ تمام الآيات إلى قوله: ﴿**أُولٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3].

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: «أنت، والله، أميرُهم، تَميرُهم من عُلُومِكَ فيمتارون، وأنتَ، والله، دليلُهم، وبكَ يهتدون».

ثمّ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، لفاطمة[4]: «اذهبي إلى عمّه حمزة

---

(١) سُرَّ بِهِ ـ خ ل.

(٢) سورة المؤمنون: ١ ـ ٢.

(٣) سورة المؤمنون: ١٠ ـ ١١.

(٤) يعني فاطمة بنت أسدٍ أُمّ الإمام عليه السلام.

فبشّريه به». فقالت: فإذا خرجتُ أنا فمن يُرَوِّيه؟ قال صلّى الله عليه وآله: «أنا أُروِّيه».

فقالت فاطمةُ: أنتَ تُروِّيه؟

قال: «نعم» فوضعَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله لسانَه في فِيهِ، فانفجرتْ منه اثنتا عشرة عيناً.

قال: فلمّا رجعتْ فاطمةُ بنت أسد رأتْ نُوراً قد ارتفعَ من عليٍّ إلى عنان السماء.

قال: ثمّ شدّتْه وقمّطَتْه بقِماط فَبَتَرَ القِماط، قال: فأخذتْ فاطمةُ قِماطاً جَيّداً فشدّته به، فَبَتَرَ القِماطَ، ثمّ جعلته قِماطين فَبَتَرَهُما، فجعلتْه ثلاثةً فَبَتَرَها، فجعلته أربعةَ أقمطةٍ من رَقّ مِصْرَ لِصلابته فَبَتَرَها، فجعلته خمسةَ أقمطةِ دِيباجٍ لِصلابته فَبَتَرَها كلّها، فجعلته ستّةً من ديباجٍ وواحداً من الأَدَم[1]، فتمطّى فيها فقطعها كلَّها بإذن الله.

ثمّ قالَ بعد ذلك: «يا أُمّهْ، لا تَشُدِّي يَدِيَ، فإنّي أحتاج إلى أن أُبَصْبِصَ[2] لربّي بإصبعي».

قال: فقال أبوطالب عند ذلك: «إنّه سيكونُ له شأنٌ ونبأٌ».

قال: فلمّا كان من غدٍ دخلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله على فاطمة، فلمّا بَصُرَ عليٌّ عليه السلام برسول الله صلّى الله عليه وآله، سَلَّمَ عليه، وضَحِكَ في وجهه، وأشارَ إليه أنْ: خُذْنِي إليك واسْقِني ممّا سَقَيْتَني بالأمس».

---

(١) الأَدَم: الجِلْد.

(٢) البصبصة: هي أن ترفع سبابتيك إلى السماء وتحرّكهما وتدعو.

قال: فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقالت فاطمة: «عَرَفَه وربِّ الكعبة».

إلى أن قال: فلمّا كان اليوم الثالث ـ وكان العاشرَ من ذي الحجّة ـ أذّنَ أبوطالب في الناس أذاناً جامعاً، وقال: «هلُمُّوا إلى وليمة ابني عليّ».

قال: ونَحَرَ ثلاثمائة من الإبل، وألف رأسٍ من البقر والغنم، واتّخذَ وليمةً عظيمةً، وقال: «معاشرَ الناس، ألا من أرادَ من طعام عليٍّ ولدي، فهلُمّوا وطُوفُوا بالبيت سَبْعاً، وادخلوا وسلِّموا على ولدي عليٍّ، فإنّ اللهَ شرّفه». ولفعل أبي طالب شَرُفَ يومُ النحر[١].

وفي «المناقب» لابن شهر آشوب: وفي رواية شُعبة، عن قتادة، عن أَنس، عن العبّاس بن عبدالمطّلب. وفي رواية الحسن بن محبوب، عن الصادق عليه السلام، والحديث مختصر: أنّه انفتحَ البيتُ من ظَهْره، ودخلتْ فاطمةُ فيه، ثمّ عادت الفتحةُ والتصقتْ، وبقيتْ فيه ثلاثةَ أيّام، فأَكلتْ من ثمار الجنّة، فلمّا خرجتْ [ورآه أبوطالب][٢] قال عليٌّ عليه السلام: «السلام عليك يا أبه ورحمة الله وبركاته». ثمّ تنحنحَ وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[٣].. الآيات.

فقال رسولُ الله: «قد أفلحوا بك، أنتَ والله أميرُهم، تَميرُهم من علمك فيمتارون، وأنتَ والله دليلُهم، وبكَ والله يهتدُون». ووضع رسول الله صلّى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرتْ اثنتا عشرة عيناً.

---

(١) أمالي الطوسي: ٧٠٦ ـ ٧٠٩/ ح ١٥١١.

(٢) ما بين المعقوفتين منقول من الرواية السابقة ويقتضيه سياق الكلام.

(٣) المؤمنون: ١.

قال: فسمّي ذلك اليوم: يومَ التروية.

فلمّا كان من غدِه وبَصُرَ عليٌّ برسول الله سلّم عليه، وضَحِكَ في وجهه، وجعلَ يُشير إليه، فأخذه رسولُ الله، فقالتْ فاطمةُ: «عَرَفَهُ». فسمّي ذلك اليوم: عرفة.

فلمّا كان اليوم الثالث ـ وكان اليومَ العاشرَ من ذي الحجّة ـ أَذَّنَ أبوطالب في الناس أذاناً جامِعاً، وقالَ: «هلمُّوا إلى وليمة ابني عليّ».

ونحر ثلاثمائةً من الإبل، وألف رأسٍ من البقر والغنم، واتّخذَ وليمةً، وقال: «هَلُمّوا وطُوفوا بالبيت سبعاً، وادخُلوا وسلّموا على عليٍّ ولدي». ففعل الناسُ ذلك، وجرتْ به السنّة[1].

ولابن شهر آشوب في «المناقب» روايةٌ أُخرى لهذا الحديث:

عن يزيد بن قَعْنَب، وجابر الأنصاري: أنّه كان راهبٌ يُقال له: المثرم بن دُعَيْب، قد عبدَ اللهَ مائةً وتسعين سنةً، ولم يسأله حاجةً، فسأل ربَّه أن يُرِيَه وَليّاً له، فبعثَ اللهُ بأبي طالب إليه، فسألَه عن مكانِه وقبيلتِه، فلمّا أَجابه وَثَبَ إليه وقبّلَ رأسَه، وقال: «الحمد للّه الذي لم يُمِتْني حتّى أَراني وَليّه».

ثمّ قال: «أبشر يا هذا، إنّ الله ألهمني أنّ ولداً يخرجُ من صُلْبك، هو وليُّ الله، اسمه عليّ، فإن أدركته فأَقْرِئْهُ منّي السلام».

فقال: ما بُرهانه؟

قال: ما تريد؟

قال: طعامٌ من الجنّة في وقتي هذا.

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٢٢ ـ ٢٣.

فدعا الراهبُ بذلك، فما استتمَّ دعاءَهُ[١] حتّى أُتِي بطبقٍ عليه من فاكهة الجَنّة رُطبٌ وعنبٌ ورُمّان، فتناولَ رمّانةً، فتحوّلتْ ماءً في صُلبه، فجامعَ فاطمة[٢]، فحملت بعليٍّ، وارتجّت الأرضُ، وزلزلتْ بهم أيّاماً، وعَلَّت قريشٌ الأصنامَ إلى ذِروة أبي قُبيس[٣] فجعلَ يرتجّ ارتجاجاً، حتّى تَدَكْدَكَتْ بهم صُمّ الصخور، وتناثرتْ وتساقطتْ الآلهةُ على وُجوهها.

فصعدَ أبوطالب الجبلَ وقال: «أيُّها الناسُ، إنّ الله قد أحدثَ في هذه الليلة حادثةً، وخلقَ فيها خلقاً، إنْ لم تُطيعوه وتُقرّوا بِولايته، وتشهَدُوا بإمامته، لم يَسْكُنْ ما بكُم» فأَقرّوا به.

فرفعَ يدَه، وقال: «إلهي وسيّدي، أسألُك بالمحمّديّة المحمودة، وبالعلويّة العالية، وبالفاطميّة البيضاء، إلّا تفضّلتَ على تِهامة بالرأفة والرحمة».

فكانت العربُ تدعو بها في شدائدها في الجاهليّة، وهي لا تعلمُها.

فلمّا قربت ولادتُه أتتْ فاطمةُ إلى بيت الله، وقالت: «ربّ إنّي مؤمنةٌ بك، وبما جاءَ من عندك من رُسُلٍ وكُتُبٍ، مصدّقةٌ بكلام جدّي إبراهيم، فبحقِّ الذي بنى هذا البيتَ، وبحقّ المولُود الذي في بطني، لمّا يسّرتَ عليَّ وِلادتي». فانفتحَ البيتُ ودخلتْ فيه، فإذا هي بحوّاء، ومريم، وآسية، وأُمّ موسى، وغيرهنّ، فصنعنَ مثل ما صنعنَ برسول الله صلّى الله عليه وآله، وقتَ ولادته.

فلمّا ولد سجدَ على الأرض وهو يقولُ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ

---

(١) في المصدر: كلامه.

(٢) هي فاطمة بنت أسد.

(٣) أبو قبيس: هو اسم جبل مشرف على مكّة. معجم البلدان ١: ٨٠.

محمّداً رسولُ الله، وأشهدَ أنّ عليّاً وصيُّ محمّدٍ رسول الله، بمحمّد يختمُ الله النبوّةَ، وبي تتمّ الوصيّةُ، وأنا أميرُالمؤمنين».

ثمّ سلّمَ على النساء، وسألَ عن أحوالهنّ، وأشرقت السماءُ بضيائه. فخرجَ أبوطالب يقول: «أبشروا، فقد ظَهَرَ وليُّ الله يختمُ به الوصيّين، وهو وصيُّ نبيّ ربِّ العالمين». ثمّ أَخَذَ عليّاً فسلّم عليٌّ عليه، فسأله عن النسوة، فذكر له.

ثمّ قال: «فالحق بالمثرم، وخبّره بما رأيت فإنّه في كهف كذا من جبل لُكام[1]».

فخرجَ حتّى أتاه فوجدَه ميّتاً جسداً ملفوفاً في مدرعة، مُسَجًّى، فإذا هُناك حيّتان، فلمّا بصرتا به غابتا[2] في الكهف.

فدخلَ أبوطالب، فقال: «السلامُ عليك يا وليَّ الله ورحمة الله وبركاته»، فأحيا اللهُ المثرم، فقامَ يمسحُ وجهه، ويقول: «أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، وأنّ عليّاً وليُّ الله والإمام بعد نبيّ الله».

فقالَ أبوطالب: «أبشر، فإنّ عليّاً قد طَلَعَ إلى الأرض»، فسألَ عن ولادته فقصَّ عليه القصّة، فبكى المثرم، ثمّ سجدَ شُكراً، ثمّ تمطّى فقال: «غطّني بمدرعتي»، فغطّاه، فإذا هو ميّتٌ كما كان.

فأقامَ أبوطالب ثلاثاً، وخرجت الحيّتان، وقالتا: «السلامُ عليك يا أبا طالب، الحق بوليِّ الله، فإنّك أحقُّ بصيانته وحفظه من غيرك».

فقال: من أنتما؟

---

(١) جبل لكام، كغُراب ورمّان، يُسامت حماة وشيزر وأفامية، ويمتد شمالاً إلى صميون والثّغر وبكاس، وينتهي إلى مكّة شرّفها الله تعالى. (المؤلّف). انظر القاموس المحيط ٤: ١٧٧ مادّة «لكم». وفي المصدر: إكام.

(٢) في المصدر: غربتا.

قالتا: نحنُ عملُه، نذبُّ عنه الأذى إلى أن تقوم الساعةُ، فحينئذٍ يكون أحدُنا سائقَهُ، والآخرُ قائدَهُ إلى الجنّة»، فانصرفَ أبوطالب[١].

وحديث الراهب: رواه ابن الفتّال في «روضة الواعظين» على وجهٍ هو أبسط من هذا[٢].

ورواه غيره أيضاً[٣].

ولقد وجدتُ تفصيل هذه الجُمَل في بعض مؤلّفات أصحابنا رضوان الله عليهم، المخصوص بذكر المولد العلويّ الشريف، اقتطفتُ منه ما يلي، ففيه بعدَ ذكر تفاصيل من مقدّمات الولادة:

قالت فاطمة بنت أسد: لمّا تتابعت عليَّ الشهورُ، وقرُبَ أوانُ خروج ولدي، ما كنتُ أمُرُّ بحجرٍ ولا مَدَرٍ ولا شجرٍ إلّا ويقول لي: «هنيئاً لك يا فاطمةُ بما خصّك اللهُ من الفضل والكرامة بحملك بالإمام الكريم».

وكنتُ أسمعُ منه، وهو يقول في بطني: «لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله. به تختمُ النبوّةُ، وبي تختمُ الولاية».

قال الراوي: كان إذا دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله على فاطمة بنت أسد وهي جالسة لم يكن حيله في نفسها عن القيام، فينهض علي بن أبي طالب عليه السلام بأُمِّه إجلالاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله ويقول: السلام عليكَ أيُّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) انظر روضة الواعظين: ٧٧ ـ ٨١.

(٣) انظر الفضائل، لشاذان بن جبرئيل القمي: ٥٤ ـ ٥٩، وجامع الأخبار: ١٥.

فتعجَّب من ذلك أبو طالب، وكذلك فاطمة.

فقال أبو طالب: يا فاطمة إذا جاء محمّد أمسكي نفسكِ عن القيام، وأنا أُعينكِ على ذلك[١] لننظر ما يكون من أمر هذا المولود المبارك.

قال: فلمّا أقبل النبي إلى أبي طالب عليه السلام قام أبو طالب على قدميه وأمسك يده على أكتاف زوجته فاطمة من خلفها.

فلمّا أحسّ بالنبي صلّى الله عليه وآله داخلاً اقتلع عليّ أَباه وأُمَّه، واختطف بهما. حتّى وقع أبو طالب مستلقياً على قفاه.

فعند ذلك تبسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال لعمّه: «لا تعجب يا عمَّاه من ذلك، فلو كانت للدّنيا عروة لحملها ولدك هذا بأصبع من أصابعه».

ففرح أبو طالب لذلك فرحاً شديداً.

فلمّا مضى من الليل ثُلثهُ، أتى فاطمةَ أمرُ الله، وسمعتْ قائلاً يقول:

«يا فاطمةُ، عليكِ بالبيت الحرام»، فجاءها المخاض. قال أبو طالب: فقرأْتُ عليها الأَسماء التي فيها النّجاة، فسكنَتْ.

فقلت لها: ألا آتيك بنسوة من قومكِ، وبنات عمّك ليعينوكِ على أمركِ.

فقالت: الرأْيُ لك.

فأرسل أبو طالب عليه السلام إلى نساء من بني هاشم. فلمّا حضرن فإذا بهاتف من وراء البيت: «يا أبا طالب، ردَّ النسوة، فإنّه مولود طاهر مطهّر، لا تمسّه إلّا أيدٍ طاهرة».

فلم يستتم كلامه حتّى أقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله فردّ النسوة،

---

(١) يريد عليه السلام بذلك أن يختبر الحقيقة، لا الإهانة لرسول الله صلّى الله عليه وآله. (المؤلّف)

وخرجت فاطمة، وأتت إلى البيت الحرام، ووقفت بإزائه، وقد أخذها الطَّلْقُ. فرمقَتْ بطرفها إلى السَّماء وقالت: «يا ربِّ، إنّي مؤمنةٌ بك، وبكلّ كتابٍ أَنزلته، وبكلّ رسولٍ أرسلته، وبكلّ ما جاء به عبدُك ورسولك محمّد صلّى الله عليه وآله. وإنّي مؤمنةٌ بك وبجميع أنبيائك ورسلك، ومصدّقةٌ بكلامك وكلام جدّي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد بنىٰ بيتَك العتيقَ، وأسألك بحقّ أنبيائك المرسلين وملائكتك المقرّبين، وبحقّ هذا الجنينِ الذي في أحشائي، الذي يُؤْنِسُني تسبيحُهُ وتقديسُهُ وتهليلُه وتكبيرُه، وإنّي موقنةٌ أنّه أَحَدُ أوليائك، إلّا ما يَسَّرْتَ عليَّ ولادتي».

فلمّا انتهى كلامُها انشقَّ البيتُ وتساطعت الأنوار، وزجَّها جبرئيلُ داخل الكعبة، وغابتْ عن الأبصار، وعادت الفتحةُ كما كانت أوّلاً بإذن الله تعالى.

قال أبوطالب: فأَشْفقنا عليها من ذلك، وأردنا أن نفتحَ الباب لتصلَ إليها بعض نسائنا، فلم نستطع أن نفتحَ البابَ، فعلمنا أنّ هذا الأمرَ من الله سبحانه وتعالى.

قالت فاطمةُ: وجلستُ على الرُّخامة الحمراء ساعةً، وإذا أنا قد وضعتُ ولدي عليّ بن أبي طالب، ولم أَجِدْ وَجَعاً، ولا أَلماً. فلمّا وضعتُه خرَّ ساجداً للّه، ورَفَعَ يديه إلى السماء يتضرَّعُ إلى ربّه، فبينما أنا أنظرُ إليه وإلى ابتهاله إلى ربّه وأنا مُتَعجّبة منه، إذا أنا بخمس نساءٍ كأنّهنَّ الأقمارُ، قد دَخَلْنَ عليَّ، وعليهنّ ثيابٌ من الحرير والإِسْتَبْرق، ويفوحُ طيبهنّ كالمسك الأذْفر[1] فقلنَ لي: «السلامُ عليكِ يا بنتَ أَسَدٍ»، ثمّ جلسنَ بينَ يدي ومع إحداهنّ جُونة[2] من فضّة.

(١) المسك الأذفر: أي الطيب الريح.
(٢) الجُونة: بالضم، ظرف للطيب.

ثمّ التفتَ إليهنّ ولدي وسلّم عليهنَّ وحيّاهنَّ بأحسن التحيّات، وقال: «أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمّداً رسولُ الله، به تُختمُ النبوّة، وبي تُختمُ الولاية»[١]. فتعجّبت النسوةُ منه، ثمّ أخذنه واحدة واحدة وقبّلْنَهُ، ودارَ بينَه وبينهنّ من السلام والتحيّة والكلام ما لا يعدُو أن يكون كرامةً أو شِبْهَ إرهاصٍ، وهنّ: حوّاءُ، ومريمُ، وهي صاحبة الجُونة، فطيَّبَتْهُ بِها من طيب الجنّة، وآسيةُ امرأةُ فرعون بنت مُزاحم، وسارةُ زوجة إبراهيم صلّى الله عليه، وأُمُّ موسى عليه السلام، وكشفن عن سُرَّتِه فإذا هي مقطوعةٌ.

قالت فاطمة: ثمّ خرجت النسوةُ عنّي، ثمّ دخلَ عليّ مشايخ خمسةٌ، فجعلَ ولدي يَهِشُّ[٢] ويَضْحَكُ كأنّه ابن سَنَةٍ، ثمّ قالوا: «السلامُ عليك يا وليَّ الله، وخليفة رسول الله». فقال: «وعليكم السلامُ ورحمة الله وبركاته»، ثمّ سلّم على واحدٍ واحدٍ منهم، وهم أنبياءُ الله: آدمَ، ونوحٌ، وإبراهيمُ الخليلُ، وموسىٰ، وعيسىٰ، فأخذوه وقبَّلوه، وأَطْرَوْهُ واحداً بعد واحد، ثمّ خرجُوا، ولم أعلم من أينَ خرجُوا.

قالت فاطمة: فبينما أنا كذلك إذ أنا بخَفَقان أَجْنِحة الملائكة، وإذا بسحابةٍ بيضاء قد نزلتْ على ولدي، وطارتْ به، وسمعتُ قائلاً يقول: «طوفُوا بعليّ بن أبي طالب بمشارق الأرض ومغاربها، وبَرِّها وبحرها، وجبالها وسمائها، وأَعطوه أحكام النبيّين، وعلوم الوصيّين، وجميع أخلاق النبيّين والمرسلين، والأوصياء

(١) إذا كان صاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله وسلّم خاتماً لها، فبطبع الحال: أنّ صاحب الولاية بالخلافة عنه يكون خاتماً لها، فلا نبوّة بعدها حتّى تكون خلافة عنها، ولا يُنافي ذلك أن يكون الحاملُ لتلك الولاية الخاتمة هو وولده عليهم السلام. (المؤلّف)

(٢) هَشَّ لهذا الأمر هشاشة: إذا فرح به واستبشر.

والصدّيقين، وافعلوا به مثلَ ما فعلوا[١] بأخيه سيّد الأوّلين والآخرين، واعرضوه على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى الملائكة المقرّبين، وأهل السماوات والأرضين[٢]، فإنّه وليُّ ربّ العالمين».

قالت فاطمة: وكانَ بين غيبته ورجوعه أقلّ من نصف ساعة، فجعلتُ أنظرُ إليه، وإذا بسحابة أُخرى قد نزلتْ عليه، وطارت به كالمرّة الأُولى، وسمعت قائلاً يقول: «طُوفوا بعليّ بن أبي طالب على جميع ما خَلَقَ اللهُ، وأَعطوهُ أحكامَ العلم، والحلم، والورع والزهد، والتُّقى، والسخاء، والبهاء، والضياء، والتواضع، والخشوع، والرقّة، والهيبة، والمروءة، والكرم، والمودّة، والشفاعة، والشجاعة، والصيانة، والديانة، والقناعة، والفصاحة، والعفاف، والإنصاف، والعرف، وجميع أخلاق النبيّين».

قالت فاطمةُ: فبينما أنا حائرةٌ، وإذا بولدي بينَ يديَّ.

ثمّ إنّهم لَفُّوه في حريرةٍ بيضاء من حرير الجنّة، وقالوا: «اِحْفَظِيه عن أعين الناظرين، فإنّه وليُّ ربّ العالمين، واعلمي أنّه لا يدخلُ الجنّةَ إلّا مَنْ تولّاهُ،

---

(١) كذا ورد في الأصل ولعلّه: فعلتم.

(٢) إذا كانت المعلولات بأسرها حاضرة عند علّتها الفاعليّة، وإن كانت بعنوان ما به الوجود، ولو بمرتبة هي أدنى من حضورها عندها بعنوان ما منه الوجود، فهي كلّ حين مشاهدة لها، ومن الأوّليّات ثبوت ذلك بالمعنى الأوّل من العلّيّة لأميرالمؤمنين عليه السلام، لوُجُوهٍ من العقل والسمع، لا يسع المقام سردها، فالمراد عرض ولائه عليهم، أو شخصيّته البارزة بذلك الجثمان المقدّس الذي عرفوه بالعلّيّة ووجوب الولاء منذ الأزل، ومن الممكن أن يكون عرضه على أرواح أهل الأرضين لتقويم الفطرة الإلهيّة وتتميم الاستعداد التام ليحيى من حيّ عن بيّنة ويهلك من هلك عن بيّنة، أو على الأولياء والصدّيقين منهم ممّن لهم الأهميّة في تنظيم المجتمع الديني من الأبدال والأوتاد. (المؤلّف)

وصدّق بإمامته وولايته، فطُوبَىٰ لمن تَبِعَهُ، وويلٌ لمن حادَ عنه، فمَثَلُه كَمَثَل سفينة نُوح مَن رَكِبَها نجا، ومن تَخَلَّفَ عنها غَرِقَ وهوى»، ثمّ تكلّمُوا في أُذنه بكلام لم أفهمه، ثمّ قبّلوه، وخرجوا، ولم أعلم من أين خرجُوا.

قالت فاطمةُ: ثمّ بقيتُ في الكعبة ثلاثةَ أيّام بلياليها، آكلُ من ثمار الجنّة، ثمّ إنّ الجدار انشقَّ كأوّل مرّة، وخرجتُ من البيت الحرام وولدي في حضني، ووجهُه كالقمر الزاهر وهو يهشّ ويضحك.

ثمّ إنّها أخبرت أباطالب ورسولَ الله صلّى الله عليه وآله، بما جرى عليها، وما اختصّتْ به ـ هيَ وولدها ـ من الفضيلة الباهرة، فتعجّبَ الناسُ.

فقالت فاطمةُ: «معاشرَ الناس، إنّ الله قد اختارني على المختارات، وفضّلني على من مضى، وقد اختارَ آسيةَ بنت مزاحم لأنّها عبدَتْ اللهَ في مكانٍ لا يحبّ فيه العبادةَ إلّا اضطراراً، واختار مريمَ ابنةَ عمران ويَسَّرَ عليها ولادتَها بعيسى، ثمّ هزّت جذعَ النخلة في فَلاةٍ من الأرض، فتساقَطَ عليها رُطباً جنيّاً، واختارني اللهُ وفضّلني على كلّ من مضىٰ من نساء العالمين، لأنّي وَلَدْتُ في بيت الله الحرام، وبقيتُ فيه ثلاثة أيّام بلياليها آكلُ من ثمار الجنّة، فلمّا أردتُ الخروج من الكعبة هَتَفَ بِي هاتِفٌ أسمع صوته ولا أرى شخصه: «يا فاطمةُ، سمّي وَلَدَك عليّاً[1] فإنّ العليَّ الأعلى أمرني أن أقولَ لك ذلك؛ واللهُ يقول: أنا المحمودُ وحبيبي محمّدٌ،

(١) لا منافاة بين هذه الرواية والأُخرى الدالّة على أنّ أباطالب طلب اسمه عليه السلام من الله سبحانه بقوله: «يا ربَّ هذا الغَسَقِ الدَجِيِّ».. وجوابه من قِبَلِهِ تعالى: «خُصِصْتما بالولد الزكيِّ». وسيأتي تفصيلها إن شاء الله.

لجواز اجتماع الأمرين: الهتاف بفاطمة، وتحرّي أبي طالب لحقّ اليقين في أمر مولوده الذي علم أنّه من آيات ربّه الكبرى. (المؤلّف)

وأنا العليُّ ووليّي عليٌّ، وقد شققتُ اسمهما من اسمي، وأدّبتهما بأدبي، ووقفتهما على علمِي، وهُما الصفوةُ من الأخيار، وقد خلقتُ نورَهما من نُوري، وعزّتي وجلالي، إنّي شققتُ اسم وليّي من اسمي، ووُلِدَ في بيتي، وهو أوّلُ من يُؤمن بي، ويُصدّق برسولي، ويُقدّسني ويهلّلني ويكبّرني، وهو خليفةُ نبيّي ووزيره ووصيّه، والقائمُ بالقسط من بعده، وزوجُ ابنته وأبو سبطيه، فجنّتي لمن يُحبّه، وناري لمن يُبغضه ويُخالفه ويجحدُ وِلايته».

قال أبوطالب: فلمّا رأيتُه ورآني، قال لي: «السلامُ عليكَ يا أَبَهْ، ورحمة الله وبركاته». فقلتُ: وعليك السلام يا بُنيّ ورحمة الله وبركاته.

ثمّ إنّ أباطالب قبّل وَلَدهُ وضمَّه إليه وناوله أُمّه، فدخلَ عليها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وفَرِحَ فَرَحاً شديداً بالمولود، وفرحَ المولودُ بمَقْدَمِهِ، وقال: «السلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاته»، وطَفِقَ يهشُّ ويضحكُ كأنّه ابنُ سَنَةٍ، وقالَ: «خُذْني إليك»، فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وقبّله، وحمدَ الله به، فناولَه أُمّه.

ثمّ إنّه عليه السلام تنحنحَ وأذّن، وقرأ صحف آدم وشيث ونوح وإبراهيم والتوراة والإنجيل، ثمّ قال: «أعوذُ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ**

هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1].

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: «قد أفلحوا بكَ يا عليُّ، أنتَ والله أميرُهم، ومن علمك يمتارُون، وأنتَ والله وليُّهم وبك يهتدون، وأنت والله وصيّي، ووزيري، وصِنوي[2]، وناصر ديني، وقاضي دَيني، وزوج ابنتي، وأبو سبطيَّ، وخليفتي على أُمّتي، فطُوبىٰ لمن اتّبعك ووالاك، والويلُ لمن عصاك وعاداك، فوالله ما يتولّاك إلّا السعيدُ، ولا يبغضكَ إلّا الشقيُّ العنيدُ».

وقال أبوطالب: يا فاطمة، امضي إلى أعمامه وبشّريهم به.

قالت: فمن يُروِّيه من بعدي؟ فأخذه النبيّ صلّى الله عليه وآله، وقال: «أنا أُرَوِّيه»، فَوَضَعَ لسانَه في فيهِ، ولم يزلْ عليٌّ يمصُّه حتّى انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً من العلم.

وجاء عمّه حمزة والعبّاس فأخذاه وأثنيا عليه.

ثمّ أرادت فاطمةُ أن تُقمّطه بقِماط من صُوف، فلمّا شدّته بَتَرَهُ، فقمّطته بقماطين آخرين فَبَتَرهما، ثمّ أخذتْ قِماطين من دِيباجٍ وإِسْتَبْرقٍ وأديم فَبَتَرَها جميعاً، فقال: «يا أُمّ، لا تَشُدّي يَدِيَ اليمنى إنّي أَحتاج إلى مُصافحة الملائكة، وأستحي أنْ تكون يدي مشدودةً في القماط، فإذا جاء الملائكة يصافِحُونني أقطعه وأُصافحهم». فسُرَّ أبوطالب بذلك سُروراً عظيماً، وحمد الله تعالى عليه.

ومن غدٍ أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى بيت عمّه أبي طالب، فلمّا رآه

---

(١) المؤمنون: ١ ـ ١١.

(٢) الصنو: المثل، والأخ.

أميرالمؤمنين عليه السلام هَشَّ إليه وضَحِكَ سروراً به، وأشار إليه أن: «خُذْني إليك واسقني مثل ما سقيتني بالأمس»، فأخذه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، وقبّله، وأثنى عليه، ثمّ وَضَعَ لسانه في فِيه فمصّه حتّى اكتفىٰ.

وعملَ أبوطالب وليمةً عظيمةً، نَحَرَ فيها ثلاثمائةً من الإبل، وألفاً من البقر، وألفين من الغنم، وأَمَرَ مُناديَه أن يُنادي في الناس عامّة، حتّى لم يبقَ منهم أحدٌ إلّا وحضرها.

فقالَ أبوطالب: مَنْ أراد أن يأكلَ من وليمة ولدي، فليطفْ بالبيت سبعاً، ثمّ امضُوا إلى ما رزقكم اللهُ وكلُوا واشربوا حيث شئتم[1].

والحديث طويل انتخبنا منه بقدر الحاجة.

ومجملُ هذا الحديث نَظَمَهُ العلّامة المتبحّر الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ، صاحب الوسائل وغيرها، المتوفّى سنة ١١٠٤، في أُرجوزةٍ له في تواريخ المعصومين عليهم السلام، قال:

[من الرجز]

مولدُه بمكّةٍ قد عُرِفا ... في داخل الكعبة زيدتْ شَرَفا

وذاك في ثالثِ عَشْرٍ من رَجَبْ ... فقدْرُه علا وحقُّهُ وَجَبْ

وقيل: في السابعِ من شَعبانا ... مطلعُ ذاك البَدْرِ حينَ بانا

على رُخامةٍ هُناكَ حَمْرا ... معروفةٍ زادَتْ بذاك قَدْرا

فيا لَها مَزِيّةً عليّةْ ... تخفضُ كلّ رُتبة عَلِيَّةْ

ما نالَها قَطُّ نبيٌّ مُرْسَلُ ... ولا وَصِيٌّ آخِرٌ وأوّلُ

---

(١) لم نقف على الكتاب المذكور.

أمـا سـمعتَ قـصّةَ ابـن قَـعْنَبٍ ... ينطِقُ عـن مَـقْصُودِنا بـالعَجَبِ؟!
وإنّـــهُ مـــحقَّقٌ مشـــهورُ ... يُـــثْبِتُهُ المـــدقّقُ النِّـــحريرُ
قـال: جَـلَسْتُ مَـعْ أُنـاسٍ شـتّىٰ ... في المسـجدِ الحـرامِ يـوماً حـتّىٰ
مـرّتْ بـنا فـاطمةٌ بـنتُ أسَـدْ ... حـاملةً بـالمُرْتَضىٰ ذاك الأسـدْ
فـجاءها الطَّـلْقُ فـطافَتْ سَـبْعا ... ثـــمّ دَعَتْ أكـــرمَ ربّ يُـدعىٰ
قـالت: إلهـي، إنّـني آمـنتُ بكْ ... حـقّاً وصـدّقتُ جـميعَ كُـتُبِكْ
ومـا عـلى الخـليلِ جَـدّي أُنـزلا ... ومـا بـهِ كـلُّ رسـولٍ أُرسـلا
ثـمّ دَعَتْ خـالقَها بـما سَـنَحْ ... فَسَـــهَّلَ اللهُ العَسِـــيرَ وانْـفَتَحْ
بـابٌ لهـا تـجاهَ بـابِ الكَـعْبَةْ ... وذاكَ مُسُـــتجارُ أهـــل الرَّهْـبَةْ
ودَخَـلَتْ فـيهِ فـعادَ مـثل مـا ... كـانَ ومـا زالَ مَشِـيداً مُـحْكَما
هـذا وقُـفلُ البـاب لم يُـفْتَحْ لَـنا ... مـن بَـعْدِ جُـهدٍ وعِـلاجٍ وعَـنا
فـــقلتُ: إنّ ذاك أمـــرُ اللهِ ... فـــلم أكُـــنْ بـذكرهِ بـاللّاهي
فـــمكَثتْ ثـــلاثةً أيّـــاما ... وخَـــرَجَتْ وأعـــلنتْ كـلاما:
إنّـــيَ فُـــضِّلْتُ عـلى النِّسـاءِ ... دَخَـــلْتُ بـيتَ رافـعِ السَّـماءِ
ثـمّ أكـلتُ مـن ثِـمارِ الجَـنَّةْ ... ورِزْقَـــها فَـــهْوَ عـــلَيَّ جُـنَّةْ
وعـــندَما وَضَـــعْتُهُ ورُمْتُ أَنْ ... أخرجَ نـادىٰ هـاتِفٌ لي بـالعَلَنْ:
سَـــمّي الذي وَضَـــعْتِهِ عَـــلِيّا ... فـــلنْ يَـــزالَ قَـــدْرُهُ عَـــليّا
لقد شـققتُ اسـماً لهُ مِـنِ اسْـمِي ... أطـــلعتُهُ عـلى خَـفِيِّ عِـلْمِي
أدّبـــتُه بِأَدبـــي إكـــراما ... وَهْـــوَ الذي يُكَسِّـــرُ الأصـناما
فـي بـيتيَ الشَّـريفِ إذْ يُـؤذِّنُ ... مِـــنْ فَـــوْقِهِ وبـالأَذانِ يُـعْلِنُ

طـــوبَىٰ لِـــمَنْ أَحَـــبَّهُ وَوالىٰ ومَـــنْ أطـاعهُ يُـجازَىٰ فَـضْلا
ويـلٌ لمـن أبـغضهُ ومَـن عَـصَى وذاكَ بعضُ ما بهِ قـد خُـصِّصا[١]

وحديثُ البَلاطة الحمراء، قد سبقَ الإيعاز إليه في مبحث تواتر الحديث.

وذكر العالم الضليع الميرزا جبّار ابن المولى زين العابدين الشكوئي، المتوفّى قبل سنة ١٣٣٠، في كتابه «مصباح الحرمين» في الفصل الثاني والثلاثين، في وداع الكعبة أُموراً:

منها: «الصلاة بين الأُسطوانتين على الرُّخامة الحمراء، وهي على رواية بعض العلماء محلّ ولادة أميرالمؤمنين عليه السلام كما مرّ في فصل المستجار...»[٢].

والفصلُ المشار إليه هو الفصل الثامن عشر[٣]، وذكر فيه حـديث يـزيد بـن قَعْنَب، فالإحالة في أصل ولادة البيت لا خُصوص حديث الرُّخامة الذي أسـند حديثه إلى بعض العلماء.

وكان هذا الرجل من ثقات عصره المتورّعين، والوالدُ العلّامة قدّس سـرّه[٤] كانَ يمدحه ويثقُ به، ويخبتُ بقوله وفعله، ولم يزل موصوفاً بحسن السيرة وأداء حقّ وظيفته الروحيّة حتّى قضى نَحْبَه سعيداً طيّباً.

وقال الشيخُ أحـمدُ بـن الحسـن الحـرُّ، نـزيلُ مشـهد الرضـا عـليه السـلام،

---

(١) منظومة في تواريخ المعصومين عليهم السلام، مخطوطة.
(٢) مصباح الحرمين: ١٩٤.
(٣) مصباح الحرمين: ١١٤ ـ ١١٥.
(٤) والد المؤلّف هو الشيخ الميرزا أبوالقاسم بن محمّد تقي الأُوردباديّ التبريزي الغروي (١٢٧٤ ـ ١٣٣٣) وهو أحد أعلام الطائفة ومراجعها، له مؤلّفات كثيرة، كان تقيّاً ورعاً وله ترجمة وافية في «زهر الرّبى» من هذه الموسوعة، وفي أعيان الشيعة، والطبقات.

أَخو صاحب الوسائل في «الدرّ المسلوك في أحوال الأنبياء والأوصياء والملوك» في الفصل الرابع، في ذكر أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، ما لفظه: «أمّا اسمه: فعليٌّ، كنيته: أبوالحسن، لقبه: المرتضى، ولادته: الكعبة في البيت على الحَجَر، يومَ ولادته: الجمعة، شهر ولادته: ثلاث عشر برجب، وقيل: نصف شهر رمضان، سنة ولادته: ثلاثون من عام الفيل، ملك وقت ولادته: شهريار[١]، اسم أُمّه: فاطمة بنت أسد»[٢].

(١) شهريار بن كسرى إبرويز بن هرمز، وكان لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً، وكان أكبرهم شهريار، وكانت شيرين قد تبنّته، وكان هلاك ملك كسرى على يد يزدجرد بن شهريار. (الكامل في التاريخ ١: ٤٩٣، ٣: ٢٨، ١٢٣)

(٢) الدرّ المسلوك، مخطوط.

نبأ الولادة والمحدّثون

لا نريد من المحدّثينَ السُذَّجَ الذين لم يُعَرِّفوا إلّا أساطير في خلال الكتب، أو قولاً متداولاً بينهم اعتادوا تكراره مثلَ «حدّثني فلان» وهو لا يرى سعة العلم إلّا بالتوسّع في النقل، فيحشدُ من ذلك صفوفاً، ويسردُ من ورطات القالة أُلوفاً، من غير ما تفقّهٍ في مغزى الحديث، ولا تبصّرٍ في مؤدّاه، ثمّ إذا طوى الدهـرُ أيّـامَه تناقلتْ رواةُ الجيل الثاني أخباره من دون وُقُوف على قِصّته، وإنّما غرّتهم فخفخة الرجل، ومحاباة نظرائه من أرباب المعاجم، بأنّه «حافِظٌ، روى مائةَ ألف أو تزيد» إلى غيرها من ألفاظ الثناء الباطل.

إنّما نقصدُ هاهنا أئمّةَ الحديث ومَهَرة فنّه النياقد، الذين لا يروقُهم رميُ القول على عواهنه، فلا يؤمنونَ بالمنقول إلّا بعدَ التفرّغ من أمر إسناده، والتثبّت فـيه، والتروّي في متنه، حذارَ مخالفته لمعقولٍ، أو مُصادمته لشيءٍ من الأُصول.

فنريدُ من المُحَدِّث ذلك الحَبرَ الناقدَ الضليعَ من العلم، الذي ضربَ فراغاً من أُويقاته للتبصّر في هذا الفنّ، والإحاطة به من أطرافه، بما هو من أشرف العلوم وأهمّ الفرائض على العلماء الباحثين، فهو محدّثٌ حينَ يقف على هذا الثغر، كما أنّه فقيهٌ متى طَفِق يَرُدُّ الفرع على الأصل، ومفسّرٌ حين يتحرّى مغازيَ آي الكتاب الكريم واكتشاف مخبّآتها، وهو فنّيٌّ إذا عطفَ النظرَ على أيّ من العلوم.

إذا عرفتَ القصدَ من هذا العنوان، فإنّك جِدُّ عليم بدخول كثيرٍ ممّن ذكرناهم من رواة الحديث أو الناصّين بمفادّه، كعَلَمِ الهُدى السيّد المرتضى، وأخيه السيّد الرضيّ، وشيخ الطائفة الطوسيّ، وقبلهم رئيس المحدّثين الصدوق، وبعدَهم رشيد الدين ابن شهر آشوب، وابن الفتّال الشهيد، وآية الله العلّامة الحلّيّ، وابن بطريق، إلى غير هؤلاء من الكثيرين الأُوَل، ممّن سلفت الإشارة إليهم، وإلى أُناس آخرين من علماء أهل السنّة كالحاكم، وغيره، كما سلف ذكرهم.

لكنّنا نذكُرُ هُنا أفذاذاً لم نذكرهم هُنالك، أو لخصوصيّة فيهم لم تُذْكَرْ فيما مرّ، وبهذا الفصل وغيره من فصول هذه الرسالة، تَعْرِفُ مقيلَ ما هَوِسَ به ابنُ أبي الحديد في «شرح النهج» من الحقيقة من أنّ حديث الولادة مزعمةُ كثيرٍ من الشيعة «والمحدّثون لا يعترفُون بذلك، ويزعمون أنّ المولودَ في البيت حكيم بن حزام»[1].

وقد مرّتْ بك كلمةُ الحاكم النيسابوري في الوِلادتين، وهو أحدُ أئمّة المحدّثين، وغيره من محدّثي أهل السنّة والشيعة، وإلى الملتقى هاهُنا.

ففي «المجموع الرائق» تأليف السيّد الأجل[2]، في أُخرياته، عندَ ذكر المائة منقبة المخصوصة بأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك ممّا رواه الشيخ السعيد أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابوَيْه قدّس الله أرواحهم، يوم الغدير من سنة إحدى وستّين وثلاثمائة، يرفعُه إلى رسول الله صلّى الله عليه

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١٤.

(٢) هو السيّد الأجل أبو المظفّر هبة الله بن أبي محمّد الحسن بن سعدالله نقيب سامرّاء الموسوي، كان معاصراً للعلّامة الحلّيّ. راجع عمدة الطالب ص ٢١١ ط نجف، والذريعة ٢٠: ٥٥.

وآله، ممّا خصّ الله تعالى به أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام:

المنقبة الأُولى: «أنّ الله تعالى خلقه من نور عظمته» إلى أن عدّ منها: **الثامنة**[١]: «أنّه ولد في الكعبة»، **التاسعة**[٢]: «أنّه لمّا وُلِدَ في الكعبة ظهر نُورٌ من عنان السماء إلى ظهر الكعبة، وسقطت الأصنامُ التي كانت على الكعبة على وُجوهها، وصاحَ إبليسُ، وقال: ويل للأصنام وعبدتها من هذا المولود»[٣].

وقال العلّامة أبوالفتح، محمّد بن عليّ بن عُثمان الكراجكيّ الفقيه المحدّث المتكلّم الثقة، المتوفّى سنة ٤٤٩ ـ من تلمذة شيخنا المفيد ـ في «كنز الفوائد» بعد أن ذكر أحاديث في مقدّمة الولادة من خبر الكاهن، ورؤيا فاطمة بنت أسد، وتعبير الكاهن لها ما لفظه:

«وفي الحديث أنّها ـ يعني فاطمة بنت أسد ـ دخَلَتْ الكعبةَ على ما جَرَتْ به عادتها، فصادفَ دخولُها وقتَ ولادتِها، فولدت أميرالمؤمنين عليه السلام داخِلَها»[٤].

والمتَّبَعُ من هذا الحديث ما هو الجامع بينه وبين أحاديثِ الباب وأقوالِهِ من أصل الولادة في البيت، وأمّا كيفيّةُ الدخول فيها فالمعتمدُ عليه ما أسلفنا لك نبأَه من أنّها كانت أمراً من أمر الله، وعنايةً من عنده خاصّةً بأميرالمؤمنين عليه السلام، خارجةً عن مجاري الطبيعة ومقتضيات الصُّدَف، ولذلك انشقّ البيت لفاطمة، ثمّ لمّا دخلته ارتأَبَتِ الصَّدْعةُ ولم ينفتحْ قفلُ الباب بالرغم من جُهدهم الأكيدِ في

(١) في المطبوع عُدّت هذه المنقبة تاسعة.
(٢) في المطبوع عُدّت هذه المنقبة عاشرة.
(٣) المجموع الرائق من أزهار الحدائق ٢: ٣٢١.
(٤) كنز الفوائد ١: ٢٥٥.

فتحه، وأكلتْ هي من ثمار الجنّة في جوف البيت، وكان من أمر الولادة ما عرفت، فخرجتْ من البيت متبجّحةً بما مَنَحَها الله سبحانه.

وهذا هو المناسبُ لما عرفته من إطباق كلمات العلماء والأئمّة، من أنّ ذلك فضيلةٌ اختصّ الله بها أميرالمؤمنين عليه السلام، وأيّ فضيلة في الوقوع صدفةً ولا عن قصدٍ، كما يقع كثيراً لأفراد من الناس والحيوان من الولادة في محالٍّ شريفةٍ على مجاري العادة، ولا يعدّ شرفاً وفضيلةً لهم.

كما لم تُعَدَّ الولادةُ في البيت فضيلةً لحكيم بن حزام على تقدير صحّة الرواية، فإنّ من أَخْبَتَ بها لم يذكر فيها ما ذكره في أميرالمؤمنين عليه السلام من أنّها فضيلة اختصّه الله بها، ولا قال كقولهم فيه من أنّه لم يسبقه إلى مثلها أحدٌ، ولا يلحقه فيها أحدٌ. وما هو إلّا لما ذكرنا.

وفي كتاب «الأربعين» للشيخ أبي الفوارس ـ أو أبي عبدالله محمّد بن مسلم بن أبي الفوارس الرازي في أربعينه ـ: عن السيّد الأجلّ الأوحد، جمال الدين، عزّ الإسلام، فخر العشيرة، شرف الدين أبي محمّد إبراهيم بن عليّ بن محمّد العلوي الحسيني الموسوي بكازرون، في التاسع عشر من شهر رجب، عن الشيخ العارف شهريار بن تاج الدين الفارسيّ، عن القاضي أبي القاسم، أحمد بن ظاهر النوري، عن الشيخ الإمام شرف العارفين أبي المختار، الحسين بن عبدالوهاب، عن أبي التُّحَف[1] عليّ بن إبراهيم المصري، عن الأشعث بن محمّد بن مرّة، عن المثنّى

(١) في اليقين: أبو النجيب، والظاهر صحّة ما في الأصل، كما في رياض العلماء ٢: ١٢٣ ـ ١٢٩، حيث قال في ترجمة الحسن بن عبدالوهّاب أنّه يروي عن أبي التُّحف عليّ بن محمّد بن إبراهيم بن الحسن الطيب المصري الذي هو من مشايخ المرتضى والرضي، وهو يروي عن جماعة كالأشعث بن مرّة وغيره.

ابن سعيد بن الأصيل البغدادي العطّار، عن عبدالمنعم بن الطيّب القدوري، عن العلاء بن وهب، عن الوزير محمّد بن ساليق، عن أبي جرير، عن أبي الفتح المغازلي، عن أبي جعفر ميثم التمّار[١] رضي الله عنه، قال:

كنتُ بين يدي مولاي أميرالمؤمنين عليه السلام بالكوفة، وجماعةٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حافّون به، كأنّهم الكواكب اللّامعة في السماء الصاحية، إ ذ دخلَ علينا من الباب رجلٌ طويلٌ عليه قباءُ خزٍّ أدكن، معتمّ بعِمامةٍ أَتحَميّة[٢] صفراء، متقلّد بسيفين، فنزلَ من غير سَلامٍ، ولم ينطق بكلامٍ، فتطاول إليه الناسُ بالأعناق، ونظروا إليه بالآماق، ووقفَ عليه الناسُ من جميع الآفاق، وأميرُالمؤمنين عليه السلام لا يرفع رأسَه.

فلمّا هدأتِ من الناس الحواسّ، فَسَحَ عن لسانه كأنّه حُسامٌ صقيلٌ جُذِبَ من غِمْده، وقال: «أيّكم المجتبى في الشجاعة، والمعمّم بالبراعة، والمدرّع بالقناعة؟ أيّكم المولودُ في الحرم، والعالي في الشيم، والموصول بالكرم؟»[٣].

ورواه الشيخ أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن عليّ الحلي، أو الجيلي، في «أربعينه» الذي يروي أحاديثه عن مشايخه من العامّة في مجلس واحد سنة ٦١٠، وذكر شيخنا العلّامة بحّاثة العصر الحاضر في الذريعة (١: ٤١١) أنّه من علماء الحلّة من الإماميّة[٤].

---

(١) السند لا يخلو من اضطراب ولكن تركناه على عِلّاته مع الإشارة إليه لعدم تعرّض الكتب الرجاليّة المتوفّرة لدينا إليه. وانظر هذا السند في عيون المعجزات: ١٨، واليقين: ٢٦٨.

(٢) الأتحمية: نوع من البُرود اليمانيّة.

(٣) الأربعون حديثاً مخطوط، ورواه في نوادر المعجزات: ١٨ ـ ١٩.

(٤) أقول: إنّ الرجل أربلّيّ ذكره ابن الشعار الموصلي في كتابه (عقود الجمان) المخطوط.

فذكر فيه الحديث الأوّل، بإسناده إلى أبي جعفر ميثم التمّار، مثلَه، غير أنّ بينهما اختلافاً في بعض الحروف.

وفيه أنّه قال: «أيّكم الإمامُ الأروعُ، الأورعُ، البطينُ، الأنزع، المولُود في الحرم، العالي الهِمَم، الكريم الشِيَم؟ أيّكم حيدرٌ أبو تراب، قالع الباب، وهازم الأحزاب، الذي فتح له ـ حين سدّت الأبواب ـ بابٌ، والذي نصب للعبّاس الميزاب؟»[١].

ورواه مؤلّف كتاب «الروضة في الفضائل» المطبوع مع «علل الشرائع» و«معاني الأخبار» للشيخ الصدوق ـ بالإسناد يرفعه إلى أبي جعفر ميثم التمّار، لكن روايته توافق الرواية الأُولى لأبي الفوارس في حُروفها.

ففيهما[٢]: أنّه لمّا فرغَ من وصفه الكثير، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا، يا سعيدُ بن الفضل بن الربيع بن مدركة بن نجبة بن الصلت بن الحارث بن الأشعث ابن أبي السمعمع، سَلْ عمّا بدا لك»[٣].

وفي رواية أسعد: أنّه أشار بعضُ الحاضرين إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وقال: «هذا مرادُك»، وذكر الجميعُ القصّة التي جاء الرجل لأجلها من القتل الواقع عندهم.

وذكروا المعجزةَ الباهرة للإمام صلوات الله عليه بإحياء الشابّ المقتول، بإذن الله تعالى، وإخباره بقاتله، وغير ذلك.

وفي الأربعين لأسعد: «أنّ هذا حديث رواه عامّةُ محدّثي الكوفة»[٤].

---

(١) الأربعون حديثاً: ٧/ الحديث الأوّل.

(٢) أي في كتاب الأربعين لأبي الفوارس، وكتاب الروضة في الفضائل.

(٣) الروضة: ١٤٣ حسب طبعة المؤلّف. وهو في الطبعة الحديثة: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٤) الأربعون حديثاً: ١١.

وفي كتاب «عيون المعجزات» للشيخ حُسين بن عبدالوهّاب، المعاصر لسيّدنا المرتضى علم الهدى: عن أبي التُحف عليّ بن محمّد بن إبراهيم المصريّ رحمه الله، عن الأشعث بن مرّة، عن المثنّى بن سعيد، عن هِلال بن كَيْسان الكوفي الخزّاز[١]، عن المطّلب الفواجري، عن عبدالله بن سلمة الصحي[٢]، عن شقادة بن الأصيد العطّار البغدادي، عن عبدالمنعم بن الطيّب القدوري، عن العلاء بن وهب ابن قيس، عن الوزير أبي محمّد بن سايلويه رضي الله عنه ـ فإنّه كان من أصحاب أميرالمؤمنين، العارفين ـ ورحِم جماعتهم[٣]، عن أبي جرير، عن أبي الفتح المغازلي رحمهما الله، عن أبي جعفر ميثم التمّار[٤] ـ آنس الله به قلوب العارفين ـ قال: «كنتُ بينَ يدي مولاي أمير النحل ـ جلّت معالمه، وثبتت كلمته ـ بالكوفة، وجماعة من وجوه العرب حافّون به، كأنّهم الكواكب اللّامعة في السماء الصاحية»[٥].

وذكر مثل حديث أبي الفوارس وصاحب كتاب «الروضة» في الألفاظ والحروف.

---

(١) في المطبوع: «الجزار».

(٢) في المطبوع: «القبحي».

(٣) يعني أنّه كان من شيعته صلوات الله عليه، لا أنّه من أصحابه المعاصرين له، وقوله: «ورحم جماعتهم» معطوف على قوله: «رضي الله عنه» والضمير عائد إلى المؤمنين العارفين شيعته عليه السلام. (المؤلّف)

(٤) إنّما أعدنا الإسناد مرّة ثانية للاختلاف بين النسختين، والتصحيف في أحدهما. (المؤلّف)
أقول: لأنّه ذكر الإسناد من قبل عن الأربعين لأبي الفوارس.

(٥) عيون المعجزات: ١٨ ـ ١٩.

وأنت ترى أنّ الرجل يعدّ مناقب أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ الخاصّة به، الشهيرة بين القاصي والداني، ومنها كونه عليه السلام مولوداً في الحرم، المراد به البيت خصوصاً، وإلّا لما كانت خاصّة له، لأنّ المولودين في حُدود الحرم وبين شعاب مكّة وهضابها كثيرون، ولا فخر لأحدٍ فيه، فإنّ الولد لابدّ وأن يُولد في مساكن الأبوين شريفاً كان المحلّ أو غير شريف. نعم إذا جاوزت الولادة في المحالّ الشريفة حدودَ العادة عُدّت فضيلة، كولادة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، في البيت الذي هو محلّ العبادة ـ لا الولادة بمجرّدها ـ مع ما اكتنفته من الخوارق للعادات المشروحة في هذه الرسالة.

كانت هذه المُصارحة من الرجل بمشهدٍ ممّن لاث[1] بالإمام عليه السلام، من الصحابة وغيرهم، وكانوا قريبي العهد من الواقعة، ولعلّ فيهم من شهدها أو شهد مَنْ أدركها، وكلّهم يسمعون كلامه، ويعترفون به، حتّى تكلّم متكلّمهم ـ كما في رواية أسعد ـ مُشيراً إليه أنّ من تصفه هو هذا.

وعلى رواية أبي الفوارس، وصاحب «الروضة»، و«العيون»: أنّ الإمام عليه السلام، كان هو الذي أصحر بانطباق هاتيك الأوصاف الكريمة على نفسه المقدّسة، وناهيك به شاهداً ومشهوداً له.

أَوَ تَرَى أنّه عليه السلام، لو كان يعتقد خلافَ ما وصفه به الرجلُ كانَ يسكتُ عنه، ويغضّ الطرف عن إفكه؟ لاها الله!

ومن عرفَ سيرتَه وخشونتَه في ذات الله، وتهالكَه في دَحْرِ الباطل، وإدحاضِ

(١) لاثَ به الناس: اجتمعوا حوله.

مَعَرّة البَهْت والزُور، علمَ مكانةَ هذه الفضيلة من الثبوت بعد تصديقه لها. فلقد كانَ عليه السلام بما اكتنفته من الفضائل التي لا تُحصىٰ في غِنًى عن أيّ فخفخةٍ بائنةٍ، ومجدٍ كاذبٍ.

ثمّ انثيال[١] عامّة محدّثي الكوفة على نقل الحديث، من غير نكير منهم، معَ حداثة عهدهم بالقصّة و تمكّنهم من تمييز الصدق فيه من المَيْن[٢]، دليلٌ واضحٌ على شُهرته بينهم، على العهد العلوي وقبلَه وبعدَه وإصفاقهم على تصديقه والإخبات به.

ويدلّ على تحقّق الخبر قبلَ ذلك العهد أيضاً ما رواه في كتاب «الروضة» المنوّه به آنفاً من أنّ عمرَ بن الخطّاب طَفِق أوّل يومٍ صعد المنبرَ يعدُّ في كلامٍ له لأميرالمؤمنين عليه السلام فضائلَ جمّةً، ويذكرُ أنّه ما كانت له ولا لأحد من الناس واحدةٌ منها.

فذكر الأوّل منها: أنّه عليه السلام وُلِدَ في الكعبة، ثمّ ذكر بعدها: تزويجهُ في السماء، وزوجتُه الصدّيقةُ الطاهرة، وولديه الإمامين، وحديث الغدير، وحديث المنزلة، وسدّ الأبواب إلّا بابَه، وهويّ النجم في داره، وردّ الشمس له، وتكليمه الأموات والأسد والذئب والثعبان والغزالة والشمس والسمكة، وقدرته على أنْ يقتل خمسين ألفاً بشماله دون يمينه، وقول النبيّ صلّى الله عليه وآله: «مَن عبدَ الله في مثل مكّة والمدينة ألفَ سنةٍ إلّا خمسين عاماً، وصبرَ كنوحٍ في قومه، وصبرَ على حرّ مكّة وجوع المدينة، وأنفقَ مالَه في سبيل الله وكان بقدر أبي قبيس، وقُتل

(١) انثال: أي تتابع واجتمع.
(٢) المين: الكذب.

بين الصفا والمروة، عمداً في سبيل الله مُحتسباً، ولم يأتِ بولايتك يا عليّ، لكانَ عملُه وزهدُه وإنفاقُه وقتلُه، هَباءً منثوراً».

قال: وكان عليٌّ عليه السلام حاضراً، فرفع رأسه، وقال: «اعترفْتَ بالحقّ قبلَ أن يشهدَ عليك»[١].

أَفَتَرى الرجلَ كيف يَعُدُّ في باكورةٍ من أمره، وأوّل مرّة تَسَنَّم فيها عرشَ ملكه، حقائقَ راهنةً من خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام وفضائله التي تفرّدَ بها، وسارتْ بها الركبانُ، وأذعنَ بثبوتها الخاصّةُ والعامّةُ، وذَكَرَ مولدَهُ صلوات الله عليه فاتحةَ هاتيك المناقب، وما ذلك إلّا للتسالم عليه في صدر الإسلام وأُوليات القرن الأوّل.

وروى الوزيرُ الأربلّي في «كشف الغمّة» عن «مناقب» الفقيه ابن المغازلي المالكي[٢]، مرفوعاً إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: «كُنّا زُوّار الحسين عليه السلام وهناكَ نساءٌ كثيرة، إذ أقبلتْ منهنّ امرأةٌ فقلتُ لها: مَنْ أنتِ، رحمك الله؟

قالت: أنا زبدة بنت قُريبة بن العجلان، من بني ساعدة.

فقلت لها: هل عندك من شيء تحدّثينا به؟

قالت: اي والله! حدّثتني أُمّ[٣] عمارة بنت عُبادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلان الساعدي: أنّها كانتْ ذاتَ يومٍ في نساء من العرب، إذْ أقبلَ أبوطالب كئيباً حزيناً.

---

(١) انظر الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) لعلّ الصواب الشافعي. راجع الكنى والألقاب ١: ٤١٦. لكنّ الأربلي ذكر أنّه مالكيّ فتابَعَهُ المؤلِّف.

(٣) أمّي أمّ عمارة ـ خ ل.

فقلتُ لهُ: ما شأنُك؟

فقال: إنّ فاطمة بنت أَسدٍ في شدّة من المخاض، وأَخَذَ بيدِها وجاء بها إلى الكعبة، وقال: اجلسي على اسم الله. فطلقت طلقة واحدة، فولدت غلاماً مَسْرُوراً نظيفاً منظّفاً لم أَرَ كحُسن وجهه، وسمّاهُ عليّاً، وحمله النبيّ صلّى الله عليه وآله حتّى أدّاه إلى منزلها.

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «فواللهِ ما سمعتُ بشيءٍ قطّ، إلّا وهذا أحسنُ منه»(١).

ورواه ابنُ الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمّة» عن ابن المغازلي، عن الإمام السجّاد عليه السلام(٢).

ورواه شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن البطريق الحلّي، من علماء القرن السادس، بإسناده عن ابن المغازلي، عن أبي طاهر محمّد بن علي بن محمّد البَيِّع(٣)، عن أبي عبدالله بن خالد الكاتب، عن أحمد بن جعفر بن محمّد بن سلم الخُتلي، عن عمر بن أحمد بن روح الساجي، عن أبي طاهر يحيى بن الحسن العلويّ، عن محمّد بن سعيد الدارمي، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن محمّد بن علي، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السلام، وذكر الحديث، وفي بعض حروفه اختلاف(٤).

---

(١) كشف الغمّة ١: ٥٩ ـ ٦١، عن المناقب لابن المغازلي: ٦ ـ ٧/ ح٣.

(٢) انظر الفصول المهمّة ١: ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٣) هو أبو طاهر محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبدالله البغداديّ البيّع؛ بيع السمك. ولد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، ومات سنة خمسين وأربعمائة، ودفن في مقبرة الشونيزي. انظر تاريخ بغداد ٣: ٣٢١/ الترجمة ١٤٢٢.

(٤) انظر العمدة: ٢٧ ـ ٢٨/ ح٨.

ولا منافاة بين ما قد يتوهّمه غيرُ المتأمّل في مغازي الكلام من قولها في هذا الحديث: «فجاء بها إلى الكعبة» وبينَ ما هو مذكور في حديث يزيد بن قَعْنَب: من أنّ دخول فاطمة البيت لم يكن بمجيء أبي طالب بها، وأنّه كان من خوارق العادات، لانشقاق الجدار من وراء الكعبة، والتئام الفتحة بعد دخولها، وعدم انفتاح رتاج[1] الباب بالرغم من معالجة القوم ومحاولتهم فَتْحَهُ، وأنّها أكلتْ فيها من ثمار الجنّة، وهتفَ بها الهاتف لمّا أرادت الخروج.

وفي رواية أُخرى: أنّه نزلتْ نسوةٌ من السماء لِيَلين من أمرها ما تلي النساء من النساء.

إنّ هذه الرواية لم تتعهّد بسرد تفاصيل القصّة بحذافيرها، وإنّما أرادتْ الروايةُ إشارةً إجماليّة إلى مولد الإمام عليه السلام، والتذكيرَ بفضله الباهر يومَ مِيلاده.

فمن المحتمل أن يكون ما شاهده فريقٌ من بني هاشم، وفريقٌ من بني عبدالعُزّى من أمر فاطمة بنت أسد المذكور في خبر ابن قَعْنَب، ودعائها، ودخولها البيت، كان بعدَ ما جاء بها أبوطالب سلام الله عليه، أَهمله ابن قَعْنَب كما أهملت هذه الرواية أشياءَ من حديثه للاختصار.

وليسَ فيحديث ابن قَعْنَب أيُّ صراحة في أنّ أباطالب لم يأتِ بها إلى فِناء البيت، ولا في هذا الحديث نَصٌّ بأنّه هو الذي باشَرَ إدخالها البيت، وإنّما هو ظهورٌ متضائِلٌ، فلا تَنافي بين النقلين حتّى ينتهزه المريضُ قلبه فرصةً لقلب الحقائق.

وروى أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشيُّ الشافعيُّ الكَنجيُّ الحافظُ، المتوفّى سنة ٦٥٨ في «كفاية الطالب» في الباب السابع، من الأبواب

(١) الرِّتاج: القفل.

الاثني عشر، التي ذكرها في أُخريات الكتاب، بعد تمام الأبواب المائة، قال:

أخبرنا الشيخُ المقرئ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن بركة الكُتُبي، في مسجده بمدينة الموصل، ومولدُه في سنة ٥٥٤، قال: أخبرنا أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن العطّار الهمداني، إجازة عامّةً إن لم تكن خاصّة، أخبرنا أحمد ابن محمّد بن إسماعيل الفارسي، حدّثنا فاروق الخطابي، حدّثنا الحجّاج بن المِنهال، عن الحسن بن مَروان بن عمران الغَنوي، عن شاذان بن العلاء، حدّثنا عبدُالعزيز بن عبدالصمد، عن مسلم بن خالد المكّي المعروف بالزنجي، عن أبي الزُبير، عن جابر بن عبدالله، قال: سألتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله، عن ميلاد عليّ بن أبي طالب.

فقال: «لقد سألتني عن خير مولودٍ وُلِدَ في شبه المسيح عليه السلام، إنّ اللهَ تبارك وتعالى خَلَقَ عليّاً من نُوري، وخَلقني من نُوره، وكِلانا من نُورٍ واحدٍ، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ نَقَلَنا من صُلبِ آدم إلى أصْلابٍ طاهرةٍ، إلى أرحامٍ زَكِيّةٍ، فما نُقِلْتُ من صُلبٍ إلّا ونُقِلَ عليٌّ معي، فلم نَزَلْ كذلكَ حتّى استودعني خيرَ رَحِمٍ وهي آمنةُ، واستَودَعَ عليّاً خيرَ رَحِمٍ وهي فاطمةُ بنت أسد.

وكان في زماننا رجلٌ زاهدٌ عابدٌ يُقالُ له: المبرم[1] بن دعيب بن الشقبان، قد عَبَدَ اللهَ مائتين وسبعين سنةً، لم يسألِ الله حاجَةً، فبعثَ اللهُ إليه أبا طالب، فلمّا أبصرهُ المبرمُ قام إليه وقبّلَ رأسه وأجلسه بين يديه، ثمّ قال له: مَن أنتَ؟

فقال: رجلٌ من تهامة.

فقال: من أَيّ تِهامة؟

(١) يلاحظ أنّ هذا الراهب سمّي في الأحاديث السابقة بـ«المثرم»، فأحدهما مصحف عن الآخر.

قال: من بني هاشم.

فوثبَ العابدُ فقبّلَ رأسه مرّةً ثانية، ثمّ قال: يا هذا، إنّ العليّ الأعلى ألهمني إلهاماً!

قال أبوطالب: وما هو؟

قال: وَلَدٌ يُولَدُ من ظَهْرِكَ، وهو وليُّ الله عزّ وجلّ.

فلمّا كانت الليلة التي وُلِدَ فيها عليٌّ عليه السلام، أشرقت الأرضُ، فَخَرَجَ أبوطالب وهو يقول: «أيُّها الناسُ وُلِدَ في الكعبة وليُّ الله عزّ وجلّ».

فلمّا أصبح دخلَ الكعبةَ وهو يقول:

[من الرجز]

يا ربَّ هذا الغَسَقِ الدَجِيِّ والقَمَرِ المُنْبَلِجِ[1] المُضِيِّ
بَيِّنْ لَنا من أَمْرِك الخَفِيِّ ماذا تَرىٰ في إسمِ ذا الصَّبِيِّ؟

قال: فَسَمِعَ صوتَ هاتِفٍ وهو يقولُ:

[من الرجز]

يا أهلَ بيتِ المُصطفى النَّبِيِّ خُصِّصْتُمُ بالوَلَدِ الزَّكِيِّ
إنَّ اسمَهُ من شامِخٍ عَلِيِّ عَلِيٌّ اشْتُقَّ من العَلِيِّ[2]

قال الحافظ الكنجي: قلتُ: هذا حديثٌ اختصرته، ما كتبناه إلّا من هذا الوجه، تفرّد [به] مسلمُ بن خالد الزنجيّ، وهو شيخُ الشافعي، وتفرّد به عن الزنجيّ

(١) المُبْتَلج ـ خ ل.

(٢) وردت هذه الأبيات في ألقاب الرسول وعترته: ٢٢٠، ومناقب آل أبي طالب ٢: ٢٣، والفضائل لشاذان: ٥٦ ـ ٥٧، وينابيع المودّة ٢: ٣٠٥ ـ ٣٠٦/ ح ٨٧٣.

عبدُالعزيز بن عبدالصمد، وهو معروف عندنا، والزنجيّ لقبٌ لمسلم، وسمّي بذلك لحُسنه وحُمرة وجهه وجماله[١].

وقال العالُم الضليع المولى محمّد رضا بن محمّد مؤمن المدرّسُ الإماميُّ، في الجدول السابع من كتابه «جنّات الخلود»: إنّه عليه السلام وُلِدَ في ضُحىٰ الجمعة، اعترىٰ أُمَّهُ الألمُ، ولم تكن تحتملُ الطَّلْق في وقتها، فدخلتْ البيتَ للاستشفاء، فأُوصِدَ بابُه من قِبَلَ نفسه، وكلّما عالجَ أبوطالب وإخوته أن يفتحوه لم يُفْتَحْ، وانشقَّ سقف البيت، ونزلتْ حوّاء ومريم وسارة وآسية تصحبهنَّ الملائكةُ والحورُ، ومعهنَّ الطَّسْتُ والإبريقُ وحريرٌ من حرير الجنّة، فقمنَ بواجب الوِلادة، حتّى إذا وُلِدَ الإمام عليه السلام، سَجَدَ وتلا قولَه تعالى: ﴿**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**﴾[٢].

ولا يناقضُ هذا ما عرفته من انشقاق جِدار البيت لِدُخُولها، فإنّ أقصىٰ ما في هذا الحديث إهمالُ كيفيّة الدُّخُول، فمن الجائِزِ أن تكون على الصفة التي وَصَفَها في الأحاديث الأُخَر، ومُحاولةُ القوم فتح الباب، لأنّه كانَ أَيْسَرَ لهم من إعادة الفتحة بعد التئامها، لا لأنّها دَخَلَتْ منه، على أنّها كانَتْ من الأُمور الإلهيّة التي لا تَتَأتّىٰ لغيره سبحانه، وما كانَ من الهيِّن الهدمُ العادي لإخراجها مع وُجُود الباب، والقومُ لمّا عَمَدُوا إلى الباب ورأوا تعاصِيه على تَماديهم في فَتْحِه، عَرَفُوا أنّ شِرْوى[٣] التئامُ الفتحة أمرٌ غيبيٌّ لا يتسنّىٰ لهم معالجته فتركُوه لحاله.

---

(١) كفاية الطالب: ٤٠٥ ـ ٤٠٧.

(٢) جنّات الخلود: ١٧، فارسيّ. والآية من سورة الإسراء: ٨١.

(٣) الشَّرْوَى: المثل، يقال: ما له شَرْوَى، أي ماله مِثْل.

حديث الولادة والنسّابون

عرفَ الباحثون أنّ في أمثال هذه المسألة من أظهر ما تنتهي إلى النسّابة أخبارُه، وهُمْ هُمْ، وأنّها من الحقائق التي لا تَعْزُبُ عنها حِيطتُهم، فهمُ ذوو خِبْرةِ هذا الباب، ونُصوصهم فيها إحدى الحجج القويمة على إثباتها، ونحنُ إذا رَفَعنا إليهم الأمرَ وَجَدناهم حَكَماً عدلاً، ولهمُ فيها قَضاءً فَصلاً.

لقد مرّ عليك قولُ النسّابة العُمري في «المَجْدي»: «وَوَلَدتْ ـ يعني فاطمةُ بنت أسد ـ عليّاً عليه السلام، في الكعبة، وما وُلِدَ قبلَه أحدٌ فيها»[1].

وفي «عمدة الطالب» تأليف جمال الدين، أحمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن مُهنّا بن عِنَبَة الأصغر الداوديّ الحسني النسّابة، المتوفّى سنة ٨٢٨، ذكر محلَّ الولادة، وهي: الكعبة، ويومَها وهو: الجُمُعة، وشَهْرَها، وهو: الثالث عشر من رجب، وعامها: وهو سنة ثلاثين من عام الفيل، ونفىٰ أن يكون أَحَدٌ وُلِدَ في البيت سواهُ، قبلَه وبعدَه، إكراماً من الله عزّ وجلّ[2].

وقال العلّامةُ السيّد محمّد بن أحمد بن عميدالدين عليّ الحسينيّ النجفيّ النسّابةُ، في «المشجَّر الكشّاف لأُصول السادة الأشراف»: وُلِدَ عليه السلام بمكّةَ،

---

(١) المجدي: ١١.

(٢) عُمدة الطالب: ٥٨.

في البيت الحرام، وذكر اليومَ والشهرَ والعامَ، كما عرفته عن الداودي.

قال: «ولم يُولَدْ قبلَه ولا بعدَه مولودٌ في بيت الله الحرام سِواهُ»[١].

وفي «مناهِل الضَّرَب في أنساب العَرَب» تأليف النسّابة أبي عبدالله، جعفر بن محمّد بن جعفر بن الراضي، أخي المحقّق الأوحد السيّد مُحْسن بن المرتضى الحسيني الأعرجي الكاظمي، شَرْوىٰ ما نَصَّ به النسّابة العميدي، عدا اختلافٍ في اللفظ يسير[٢].

وفي «أُرجوزةٍ في مَواليد الأئمّة عليهم السلام ووفياتهم» للعلّامة أبي صالح، محمّد المهديّ بن بهاء الدين محمّد الملقّب بالصالح ابن الشيخ عبدالحميد ابن العالم العامل الشيخ موسى بن عليّ بن محمّد ابن الشيخ معتوق بن عبدالحميد، الفتونيّ العامليّ النباطيّ النجفيّ النسّابة المتوفّى سنة ١١٨٣ صاحب «حديقة النَسَب»، قال:

[من الرجز]

مَوْلِدُهُ الجُمْعَةَ يومَ السابعِ في شَهْر شَعْبان بِبَيْتِ الصانعِ
وقَدْ خَلَتْ منهُ ثلاثُونَ سنهْ من مَوْلِدِ النَبِيِّ فاعْلَمْ سُنَنَهْ[٣]

* * *

(١) المشجّر الكشّاف: ٢٣٠ ط مصر.

(٢) انظر مناهل الضرب (للأعرجي): ٨٤.

(٣) نسخة منها موجودة في مكتبة العلّامة السيّد محمّد صادق بحر العلوم ضمن مجموعة رقمها (٨٤) بتسلسل /١. انظر فهرست مكتبة العلّامة السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ٢٤٨.

حديث الولادة والمؤرّخون

والسابِرُ زُبُرَ التاريخ يَجِدُ هذا الحديث من أَثْبَتِ ما تعرَّض له مؤلّفوها، وقد أثبتوه مُخْبتينَ به، مُذْعِنين بحقيقته، ومنهم مَنْ نَصَّ بصِحّته عندهم جميعاً.

ففي «روضة الصفا» للمؤرّخ الضليع الشهير محمّد خاوند شاه: «كانَت ولادتُه عليه السلام في روايةٍ يومَ الجمعة، في الثالث عشر من رجب سنةَ ثلاثين من عام الفيل. وقيلَ: إنّها سنة ثمان وعشرين من العام المذكور، وكان ميلادُه عليه السلام في جَوْفِ الكعبة، فإنّ أُمّه كانتْ تَطُوفُ بالبيت، أو إنّ المشيئة الإلهيّة أَجاءتها إلى فِنائه، وكانَتْ في أوانِ الطَّلْق، فكانتْ ولادته عليه السلام، فيها، ولم تُتَحْ هذه السعادةُ لأيّ أَحَدٍ مُنْذُ بدء الخليقة إلى الغاية.

وإنّ لصحّة هذا الخبر بينَ المؤرِّخينَ المتحفِّظين على الفضائل، صيتاً لا تشوبُهُ شُبهةٌ، وتَجاوزَ عن أنْ يصمَهُ الشكُّ والترديدُ»[1]، انتهى مترجماً من الفارسيّة وملخَّصاً.

والمُمْعِنُ في كلمة هذا المؤرّخ البارع في فنّه، الواقفِ على المختَلَفِ فيه والمُتّفَق عليه، يرىٰ حقيقةَ ما نحنُ بِصَدَدِهِ من ثُبوت هذه الفضيلة عند نَقَلَة السِّيَر،

---

(١) روضة الصفا ٢: ١٠.

وتَلَقِّيهم إيّاها بالقبول حيثُ يقولُ بملءِ فمهِ: «إنّ صِيت صِحّتها قد تجاوزَ عن أن يُشَكَّ فيه أو تحومَ حولَها الشُّبُهات».

وقد عرفتَ في غُضون هذه الرسالة كثيراً ممّا يشبهه، أو يربو عليه، أو يُقاربه، والرجلُ مع ذلك يُصافق مَنْ تقدَّمه على أنّها ممّا اخْتصّ بها أميرُالمؤمنين عليه السلام، ولا يُشارِكُه فيها أيُّ أَحَدٍ.

ولا ريب في ذلك غيرَ أنّ أعداء أهل البيت النبويّ افتعلوا حديثَ (حكيم بن حِزام) فتّاً في عَضُدِ هذه الفضيلة، لكنّ المُنقِّبينَ من الفريقين لم يَأْبَهُوا به.

وبذلك تعرفُ قيمة ما هَمْلَجَ به القاضي الفَضْل بن روزبهان[1] من أنّ ذلك مشهورٌ بينَ الشيعة، ولم يصحِّحْهُ علماءُ التاريخ، بَلْ عندَ أهلِ التواريخ أنّ (حكيم ابن حِزام) وُلِد في الكعبة، ولم يولَدْ فيه غيرُه.. إلى آخره.

وستجدُ نُصوص التاريخ تدحضُ قولَهُ، وعرفْتَ ردَّ الحاكم النيسابوريّ مَن حَصَرَ وِلادةَ البيت بحكيم، وذَكَرَ تواتُرَ النقل بولادة أميرالمؤمنين عليه السلام فيه.

ومرّ أيضاً روايةُ أساطين أهل السنّة، وإليك ما يتلُوه:

فإنّك تجدُ شيخَ المؤرّخين الثبتَ الحجّةَ عند الفريقين، أبا الحسن عليَّ بن الحسين بن عليّ الهُذليّ المسعوديّ، المتوفّى سنة ٣٣٣ أو سنة ٣٤٥ في «مُروج الذَهَب» عندَ ذكر خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام، مُثْبِتاً هذه الحقيقة، جازماً بها من غير ترديدٍ، قال: «وكانَ مولِدُهُ في الكَعْبة»[2].

وهذا الكتاب من أوثق المصادر التاريخيّة، رَضِيَ واحتجَّ به الموافِقُ

(١) تقدّم ذكره.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٨.

والمخالفُ، وقد راعىٰ فيه جانِبَ التّقيّة بما يَسَعُه، بتأليفهِ على نَسَقِ كُـتُبِ أهـل السنّة، وما يرتضونه من رواياتهم، حتّى حَسِبهُ بعضُ من لم يَرَ مِنْ كُتُبهِ غَيْرَهُ ـ ولم يَسْتَكْنِهْ حياتَه الطيّبةَ، ولم يلفت نظرَهُ إلى غير يسيرٍ من الإشارات بل النُصُوص في نفس هذا الكتاب ـ أنّه مِنْهُم!

فهل من السائِغ إذَنْ أن يذكرَ في كتابٍ هذا شأنُه غيرَ الثابِتِ المُتسالَم عليه عندَ الأُمّة جمعاء، لاسيّما في مثل المقام، الذي تكثُر فيه ـ بطبع الحال ـ ورطاتُ القالَة؟

وفي كتاب «إثبات الوصيّة» للمسعوديّ أيضاً:

«ورُوي أنّ فاطمةَ بنت أسد [لمّا حبلت بأمير المؤمنين عليه السلام] كانت تطوفُ بالبيت، فجاءَها المَخاضُ وهي في الطواف، فلمّا اشتدَّ بها دَخَلَت الكعبةَ، فولدتْه في جَوْفِ البيت، على مثال وِلادة آمنة النبيَّ صلّى الله عليه وآله، وما وُلِدَ في الكعبة قبلَه ولا بعدَه غيرُه»[١].

و«إثبات الوصيّة» من أَنْفس كتب الإماميّة، وليس من الجائز أنْ يَحتجّ ويتبجَّحَ فيه بِما لا يُقِرُّ به الخصم، ولا تُذْعِنُ به أُمّته، ثمّ يقولُ بكلّ صراحة: «وما وُلِدَ...» وبمشهدٍ منهُ ومسمعٍ ما تَحَذْلَقُوا[٢] به من أمر (حكيم بن حِزام) غيرَ أنّ المؤرّخَ لا يُقيم لَهُ وَزْناً.

وقوله: «على مثال» يعني ما كانت النورانيّة التي وصفها قُبيل ذلك في ولادة النبيّ صلّى الله عليه وآله[٣].

---

(١) إثبات الوصيّة: ١١١ ـ ١١٢.

(٢) تحذلق: ادّعى أكثر ممّا عنده.

(٣) انظر إثبات الوصيّة: ١١١.

وذكر حَمْدُ الله المستوفي [المتوفّى ٧٥٠] في «تاريخ گُزيده»: «أنّ مولدَه عليه السلام كان سنة ثلاثين من عام الفيل، الموافِقة لسنة اثنتي عشرة بعد التسع مائة (الاسكندريّة) لثمان سنين مضينَ من ملوكيّة أبرويز[١]، وكان في الكعبة، حيث كانت أُمّه في الطواف، فبانَ عليها أثر الطَلْق، فأشارَتْ إلى البيت ووضعته في جَوْفه»[٢]، انتهى مترجماً من الفارسيّة وملخّصاً.

وفي التاريخ الإسكندري اختلافٌ بينَ ما يقولُه هذا المؤرّخ[٣] وبينَ محمّد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤول»، قال: «إنّه عليه السلام، وُلِدَ ليلةَ الأحد، الثالث والعشرين من شهر رجب، سنة تسعمائة وعشر من التاريخ الفارسي المضاف إلى الإسكندر، وكان مُلْكُ الفُرْسِ يومئذٍ مُسْتَمِرّاً، وكانَ مَلِكهم أبرويز بن هرمز، وقيل: «وُلِدَ في الكعبة، البيت الحرام»[٤].

ومخالفات الرجل للمشهور غير محصورة بهذا، كما تراه في قوله: «ليلة الأحد» وقوله: «الثالث والعشرين».

إذنْ، فلا نَأْبَهْ بخلافهِ هذا، كما لم نَأْبَهْ بغيرهِ، ولا نكترثُ بإسنادِ وِلادة البيت إلى القيل، بعدَ ما عرفناه عن الحاكم من تواتُرها، وعن الآلوسي من اشتهارها في الدنيا، والنُّصوصِ المتعاضدةِ بما يشبه ذلك، وجَزْم مَنْ جَزَمَ به من أئمّة الفنّ وحملة الآثار، والرجلُ صاحبُ رياضةٍ وتصوّفٍ، وليسَ تضلّعه في العلم والحديث كغيرهما ممّا نُسِبَ إليه.

---

(١) كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، بُعِثَ رسول الله صلّى الله عليه وآله، لاثنتين وعشرين أو لعشرين سنة مضت من ملكه. انظر الكامل في التاريخ ١: ٤٥٨، وإمتاع الأسماع ١: ٣٠.

(٢) تاريخ گُزيده (فارسي): ١٩٢.

(٣) أي حمد الله المستوفي.

(٤) مطالب السؤول ١: ٥١.

وعلى أيٍّ، فلا يَقِلُّ ما ذكره عن أن يكون إحدى الروايات في الباب ومن مؤكِّداته.

وفي «مرآة الكائنات» تأليف المؤرّخ البحّاثة نشانجي زاده محمّد بن أحمد بن محمّد بن رمضان: «أنّه عليه السلام، وُلِدَ ولرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثلاثون سنة، كانَتْ أُمُّه فاطمةُ زائرةَ البيتِ، فوَلَدَتْه فيهِ لِحكمةِ للّه سبحانَه فيه، ولم يُرْزَقْ هذا غيره وغير حكيم بن حزام»[١] انتهى مترجماً من التركية.

ولقد عرفت أنّ مولد (حكيم) فيه ـ لو فرضنا وقوعها ـ من الصُدَف الاتفاقيّة لا عن قَصْد، فليستْ فيه فضيلةٌ تُعدّ، وإنّما الفضيلةُ في مولد سيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام، على التفصيل الذي أسلفناه، وهو الذي عرفَهُ هذا المؤرّخ نفسُه، حيث عدَّ ذلك من حِكَمِ الله سبحانَه.

وفي «سِيَر الخلفاء» للمعاصر عبدالحميد خان الدهلويّ: عن غير واحدٍ من المؤرّخين، أنّه «وُلِدَ في مكّة المكرّمة، يوم الجمعة، في الثالث عشر من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يُولَد أَحَدٌ قبلَه في حِصار البيت».

قال: «وإنّه وإن كان رابعَ الخُلفاء، ولكنّه صاحب أثرٍ واقتدارٍ على عَهْدِ كلٍّ من الخلفاء، وكانَ يَمُدُّ أبابكر بآرائه، وكانَ من أكبر أنصار عُمَر بن الخطّاب، وكذلك بعدَه مع عثمان»[٢]، انتهى مترجماً من الهنديّة وملخّصاً.

وفي «تاريخ قُم» تأليف العالم المؤرّخ، الحسن بن محمّد بن الحسن، القمّي، الذي ألّفه للصاحب بن عبّاد سنة ٣٧٨، وفي ترجمته إلى الفارسيّة، للفاضل الجليل

(١) مرآة الكائنات ١: ٣٨٣.

(٢) سير الخلفاء ٨: ٢.

الحسن بن عليّ بن الحسن بن عبدالملك القمّي، الذي ترجمهُ بأمر الوزير فخر الدين بن شمس الدين سنة ٨٦٥، وطُبع في طهران سنة ١٣١٣ الشمسية، المطابقة لسنة ١٣٥٣ القمرية، ففي الفصل الأوّل من الباب الثالث: «أنّ ولادة أميرالمؤمنين في الكعبة، يوم الخمسين ثامن ربيع الأوّل، سنة ثلاثين من عام الفيل. وفي رواية: سنة ثمان وعشرين منه»[١].

وما ذكره من تاريخ الأُسبوع والشهر غريب، وإنّما قصدنا في نقله ما يوافق غيرَه من المؤرّخين من النصّ بولادة الكعبة، والرجلُ من عُظماء المؤرّخين والمحدّثين القُدماء، يُحْتَجُّ بقوله ويُعوَّل عليه وعلى كتابه، ولا يُنافيه ترجيحُنا روايةَ غيره من العُظماء فيما وقعت المخالفة بينهما لمرجّحات خارجيّة، لكنّ موضوعَ رسالتنا هذه ممّا لم يختلفْ فيه الأوّلُ والآخِرُ.

وقالَ البحّاثة السيّد عليّ جلال الدين الحسيني الكاتب المؤرّخ المعاصر المصريّ في كتابه «الحسين عليه السلام»: «إنّه عليه السلام وُلِدَ بمكّة، في البيت الحرام، يومَ الجمعة، الثالث عشر من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل.

قال الشيخُ المفيد: ولم يولد قبله ولا بعدَه مولودٌ في بيت الله تعالى سواه.

وقال عبدالباقي أفندي الموصليّ العمري:

أَنْتَ العليُّ الذي فوقَ العُلا رُفِعا بِبَطْنِ مكّةَ عند البيت إذْ وُضِعا»[٢]

وفي «تاريخ نگارستان» لأحمد بن محمّد بن عبدالغفّار، الغِفاريّ القزوينيّ من مؤرّخي القرن العاشر، وموضوعُ الكتاب تأريخ ملوك الإسلام إلى سنة ٩٤٩، وهو

---

(١) تاريخ قم: ١٩١.

(٢) كتاب الحسين عليه السلام ١: ١٦، وإرشاد المفيد: ٩، وشرح عينيّة عبدالباقي للآلوسي: ١٥.

مذكور في «كشف الظنون»[١] للچلبي، و«الذريعة»[٢] لشيخنا البحّاثة الحجّة الشيخ آقا بزرك الرازي، وطبع سنة ١٣٤٥، قال في أوائله: «إنّه وُلِدَ في جوف الكعبة»[٣]، وذكر التاريخ موافقاً للسيّد عليّ جلال الدين في السنة والشهر والأُسبوع.

وفي «روضة الصفا الناصريّ» للبحّاثة المؤرّخ الشهير رضا قلي خان هدايت: «أنّ المحقَّق أنّه لمّا عادت فاطمةُ بنت أسد صَدَفاً لذلك الجوهر الملوكيّ، ظهرتْ لها من أمارات السُّعود ما أخْبَتَت بعظمةِ الحمل الذي كان في بَطْنِها، ولَقَد بشَّر به أَبا طالب (المثرمُ بن دعيب بن سقيام) من رُهبان المسيحيّين الإلهيّين، وكانَ يسكن جبلَ (لُكام) من جبال الشام الذي كان مَعْبداً للمرتاضين. ولقد عُمِّرَ مائةً وتسعين عاماً.

ولمّا انتهتْ أيّامُ حملِها قصدتْ الكعبةَ يوماً فانشقَّ لها الجدارُ، ودخلتْهُ فالتأَمَتْ الفتحة، وتعجّبَ العبّاسُ بن عبدالمطّلب، ويزيدُ بن قَعْنَب، وبقيّةُ الحضور، وتعذَّرَ عليهم فتحُ الباب والدخول عليها، حتّى خَرَجَتْ هي في اليوم الرابع، وابنُها على يدِها، وهِيَ مباهِيَةٌ به، فوافىٰ أبوطالب، ودَخَلَ معها البيتَ، ووجَدَ لوحاً فيه هذان البيتان:

[من الرجز]

خُصِصْتُما بالوَلدِ الزكيِّ والطاهِرِ المنتجَبِ الرَضِيِّ
إنّ اسمَه من شامِخٍ عليٍّ عليٌّ اشتُقَّ من العَلِيِّ

(١) انظر كشف الظنون ٢: ١٩٧٦ «نكارستان».
(٢) انظر الذريعة ٢٤: ٣٠٨/ الرقم ١٦٠٩ «نكارستان».
(٣) تاريخ نكارستان: ١٠.

يقالُ: إنّ هذا اللوحَ كان مُعَلّقاً بمكّة حتّى أخذه عبدُالملك، وكانت الولادةُ الميمونةُ يوم الجمعة الثالث عشر من رجب قبل البعثة بعشرة أعوام، وقبل الهجرة بثماني وعشرين سنة ـ الظاهر بثلاث وعشرين سنة ـ وكان عُمُرُ النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمانيةً وعشرين عاماً، فوُلِدَ وليُّ الله سلام الله عليه في البيت على الرُخامة الحمراء.

وذكر الفنّيّون بالفلكيّات والنجوم: أنّ ساعةَ الميلاد كانت في طالع العَقْرَب، والزُّهرة والقمر في بيتِ الطالع، وكانَ المرّيخُ وزُحَل في الحوت، وعُطارد والشمس والمشتري في السُّنبلة، وبما أَنَّ المريخَ وزُحلَ في الخامس والعشرين الذي هو منسوب للأولاد، كان وُلْدُه سلام الله عليهم بين مقتولٍ بالسيفِ الذي منسوب إلى المرّيخ، وآخر مستشهد بالسُّمّ الذي هو منسوب إلى زُحَل، ويوجَدُ نظيرُ هذه الأحكام في كتاب «جاماسب» الحكيم الفارسي»[1]، انتهى مترجماً من الفارسيّة وملخّصاً.

وفي «بُستان السياحة» للمؤرّخ المنقّب الحاج زين العابدين بن إسكندر الشِرواني، بعد ذكر ولادته عليه السلام، من غير ترديد في العام الثلاثين من واقعة الفيل، في جوف الكعبة، وعن بعضهم: أنّه في الثالث عشر من رجب: «إنّ من المتّفَق عليه أنّ غيره صلوات الله عليه، لم يُولَدْ هناك»[2].

وفي «روضة الشهداء» للمولى حسين الكاشفي: عن «بشائر المصطفى»، وذَكَر حديثَ يزيد بن قَعْنَب مختصراً كما مرّ.

---

(١) روضة الصفا ١٠: ١٢. وانظر كتاب جاماسب: ٥١.

(٢) بستان السياحة: ٥٤٠، ط٢.

ثمّ نقل عن الإمام أبي داود البناكتي أنّه «لم يُولَدْ أَحَدٌ قبلَه ولا بعدَه في البيت»[١].

والعلويّة المباركةُ، تلك القصيدةُ التاريخية المُرْبِيةُ على الخمسة آلاف بيت، في حياة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، للصحافي الشهير عبدالمسيح الأنطاكيّ، صاحب مجلّة «العمران» المصريّة:

[من البسيط]

في رُحْبةِ الكعبةِ الزَّهرا قد انبثقتْ ... أنوارُ طفلٍ وضاءَتْ في مَغانِيها
واستبشرَ الناسُ في زاهي ولادته ... قالُوا: السُّعودُ لَهُ لابُدَّ لاقِيها
قالُوا: ابنُ مَنْ؟ فأُجِيبوا أنّه وَلَدٌ ... من نَسْلِ هاشمَ مِنْ أَسمى ذَراريها
هَنُّوا أباطالبَ الجَوَادَ والدَهُ ... والأُمّ فاطمةٌ هُبُّوا نُهنِّيها
إنّ الرضيعَ الذي شَام[٢] الضِّياءَ ببيْـ ... ـتِ اللهِ عِزَّتُهُ لا عِزَّ يَحْكِيها
أمّا الوليدُ فلاقَى الأرضَ مُبْتَسِماً ... فما رَعَى رَهَباً ما كانَ خاشِيها
إلى النساءِ التي حولَيْهِ قَدْ نظرتْ ... عَيناهُ نَظْرَة مُسْتَجلٍ خَوافِيها
وهُنَّ أُعْجِبْن بالمولود شِمْنَ بِهِ ... شِبْلاً بِبُنْيتِهِ سُبْحانَ بانِيها
وقلنَ: فاطمةٌ جاءتْ بحيدرةٍ ... يذبُّ عن قَوْمِهِ العُدوىٰ[٣] ويَحْمِيها
فراقَ فاطمةً والطِّفلُ بين يَدَيْـ ... ـها قولَةٌ سَمِعَتْها من جَواريها
واستبشرتْ ثمّ قالتْ: والدي أَسَدٌ ... فباسْمِهِ صِرْتُ أُسْمِيهِ بخافيها

---

(١) روضة الشهداء: ١٤٦.

(٢) شام: نَظَر.

(٣) العُدْوَى: الظُّلْم، عدا عليه عَدْواً وعَداءً وعُدُوّاً وعُدْواناً وعِدْواناً وعُدْوَى، كلّها بمعنى ظَلَمَهُ.

ثُـــمّ أبـــوطالبٍ وافـــىٰ حـــليلتَهُ وطـــفلَها وانـــثنىٰ صَـــفْواً يُـــحالِيها
وهَـمَّ بـالطِّفل يَسْـتَجْلِي مـلامِحَهُ الزْ هْـرا فأَلْـفىٰ المـعالِي كُـوِّنَتْ فِـيها
وقـالتِ الأُمُّ: يـا بُشْـرىٰ بـحيدرةٍ بُشرىٰ أبـاطالبٍ[1] وافـيتُ أُسْـدِيها
أَجـــابَها: بَـــلْ عـــليٌّ إنّـــني لأرا هُ بـــالِغاً ذِرْوةَ العَـــليا وراقِـــيها
اللهُ أكْـبَرُ مـن تِـلْكَ الفَـراسـةِ بـالْـ ـمَوْلُودِ والوالِـدُ المِـفْضالُ رائِـيها
قـد حَـقّقتها اللَّـيالي بـالوليدِ فَأَمْـ ـسىٰ بينَ أهل العُلا والمَـجْدِ عـالِيها
وعـامُ مـولدهِ العـامُ الذي بَـدَأتْ بشـائرُ الوَحْـي تَأْتـي مـن أَعـالِيها
فيهِ الحـجارةُ والأشـجارُ قـد هَـتَفَتْ للـمُصطفىٰ وهـو رائـيها وصـاغِيها
وإذْ رأى المُـصْطَفىٰ فـيهِ وِلادةَ مَـوْ لانـا العَـلِيّ غَـدا بِـالبِشْرِ يُـطْرِيها
وبـاتَ مُسْـتَبْشِراً بـالطِّفْلِ قـالَ: بِـهِ لنـا مـن النِّـعَمِ الزَهْـراءِ ضـافِيها

علّق الناظمُ المؤرّخُ على هذا المورد من قصيدته بقوله:

«كانت ولادةُ سيّدنا ومولانا أميرالمؤمنين في العام الثلاثين لولادة المصطفى عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام، على ما حَقَّقَ المحقِّقُون، فتكونُ ولادتُه الشريفة حول سنة ستّ مائة وواحدة مسيحيّة، ومن بشائر سعده عليه صلوات الله، أنّه وُلِدَ في الكعبة كرّمها الله، ولدته أُمّهُ فيها، فاسْتَبْشَرَ بذلكَ أبوهُ وعمومته.

وعندَ ولادته الشريفة دعتهُ أُمّهُ «حيدرة» ومعنى هذه الكلمة «الأسد»، فكأنّها أرادتْ أن تُسمّيه باسمِ أبيها، فلمّا وقعَ نظرُ أبيه أبي طالبِ عليه تَوَسَّمَ بملامحهِ العَلاء، ودَعاهُ «عَليّاً».

وقد صَدَّقَتْ الأيّامُ فراسَتَهُ، فكان صلوات الله عليه «عليّاً» في الدُنيا والآخرة.

---

(١) التقدير: يا أبا طالب.

وعامُ مولد سيّدنا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه صلوات الله، هو العامُ المباركُ الذي بُدِئَ فيه برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأَخَذَ يسمعُ الهُتاف من الأحجار والأشجار، ومن السماء، وكُشِفَ عن بصره فشاهَدَ أنواراً وأشخاصاً.

وفي هذا العام ابتدأَ بالتبتّل والانقطاع والعُزلة في جبل حِراء، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله، يتيمّن بذلك العام، وبولادة سيّدنا عليّ عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام.

وكان يُسمّيه: سَنَةَ الخير، وسَنَةَ البركة.

وقال المصطفى صلّى الله عليه وآله لأهله ـ عندما بلغته بُشرىٰ ولادة المرتضى ـ: «لقد وُلِدَ لنا الليلة مولودٌ، يفتحُ الله علينا به أبواباً كثيرةً من النعمة والرحمة».

وكان قوله هذا أوّل نبوءته، فإنّ المرتضى عليه صلوات الله، كان ناصرَه، والحاميَ عنه، وكاشفَ الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبتَ الإسلامُ، ورسختْ دعائمه وتَمَهَّدَت قواعدُه»[1].

وفي الرسالة الموضوعة لتواريخ مواليد أئمّة الدين ـ عليهم السلام ـ ووفياتهم، تأليف العلّامة الأوحد السيّد محمّد الطباطبائي، جدّ آية الله بحر العلوم: «أنّه عليه السلام ولد بمكّة في جوف الكعبة، ولم يولد قبله ولا بعده أحدٌ فيه سواه، إكراماً له من الله جلّ اسمه بذلك، في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب الأصب[2]،

(١) القصيدة العلويّة: ٦١ ـ ٦٢. وهذه القصيدة تشمل على ٥٥٩٥ بيتاً. انظر الذريعة ١٧: ١٢٠/ الرقم ٦٣٨، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٦: ١٧٤.

(٢) أقول: ويقال فيه الأصم أيضاً، ولكلّ منهما معنى مشروح في مَظانّه.

على ما نقله جلّ أهل التاريخ بل كلّهم..»[١].

وفي الجدول الذي عمله السيّد الأجلّ أبو جعفر، محمّد بن أمير الحاج، الحسيني، في شرح قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني، تعيينُ يومِ ولادته بالجمعة، وشهرها بالثالث عشر من رجب، وعامِها بالثلاثين من واقعة الفيل، ومحلِّها بالكعبة[٢].

وقال الكفعمي في جُنَّته المعروف بـ«المصباح» الذي ألّفه سنة ٨٩٥، عند ذكر شهر رجب: «وفي ثالث عشر يوم الجمعة وُلِدَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، في الكعبة، قبل النبوّة باثنتي عشرة سنة، وللنبيّ صلّى الله عليه وآله ثمان وعشرون سنة»[٣].

وفي الجدول الذي عقده شيخُ الإسلام، الميرزا حسن الزنوزيّ، نزيل خُوْي، ـ على العهد الدنبلي[٤] ـ لمواليد الأئمّة عليهم السلام ووفياتهم، في كتابه «بحر العلوم»: «أنّ محلّ ولادته عليه السلام الكعبةُ».

وعرفتَ في باب إثبات شهرة الحديث نقلَه عن كتاب «الدرّ المسلُوك في أحوال الأنبياء والأوصياء والملوك» للشيخ أحمد بن الحسن، الحرّ العاملي، فراجع[٥].

ووجدناه مُرسلاً إرسالَ المُسلَّم في كتابه «حياة عليّ بن أبي طالب عليه السلام» لبعض خرّيجي كلّيّة باريس.

---

(١) ذكرها في الذريعة ٣: ٢١٨/ الرقم ٨٠٧ باسم «تاريخ الأئمّة المعصومين عليهم السلام».

(٢) انظر شرح الشافية: ٨٥.

(٣) المصباح، للكفعمي: ٦٧٨/ الفصل ٤٢ في ذكر الشهور الاثني عشر والنبي والأئمّة الاثني عشر.

(٤) وذلك أنّه ألّف كتاب «بحر العلوم» بالتماس حسين قُلي خان الدنبلي. وكتابه هذا في سبع مجلّدات. انظر الذريعة ٣: ٤٢/ الرقم ٩٠.

(٥) تقدّم ذكره.

وفي «تجارب السلف في تواريخ الخلفاء ووزرائهم» تأليف هندوشاه بن عبدالله، الصاحبيّ النَّخْجَواني، الذي فرغ منه سنة ٧٢٤: «أنّ عليّاً عليه السلام، وُلِدَ في الكعبة، وكانَ المصطفى صلّى الله عليه وآله، ابنَ ثلاثينَ، ولمّا وُلِدَ عليٌّ عليه السلام، سمّته أُمّه «حيدرة» وحيدرة: اسمُ الأسد، وسمّاه النبيُّ صلّى الله عليه وآله، «عليّاً» وكنّاه بأبي تُراب»[1]، مترجَماً عن الفارسيّة.

وقال الحلبيّ في سيرته «إنسان العيون»: «إنّه عليه السلام، وُلِدَ في الكعبة، وعمره ـ يعني النبيّ صلّى الله عليه وآله ـ ثلاثونَ سنةً».

ثمّ قالَ: «وقيلَ: الذي وُلِدَ في الكعبة حكيم بن حِزام. قال بعضهم: لا مانعَ من ولادة كليهما في الكعبة، لكن في «النُور»: حكيم بن حِزام ولد في الكعبة، ولا يُعرف ذلك لغيره، وأمّا ما رُوِيَ أنّ عليّاً عليه السلام وُلِدَ فيها، فضعيفٌ عند العلماء»[2].

وأنتَ تجدُ من سياق العبارة أنّ المعتمَد عند الرجل هو وِلادةُ الإمام عليه السلام في الكعبة، ولذلك ذكرَها أوّلاً مُرسِلاً إيّاها إرسالَ المسلّم، ثمّ عزا ولادةَ حكيم بن حزام فيها إلى القيل، إيعازاً إلى وَهْنِه، ولذلك أَرْدَفَه بجواب البعض عنه، لكنّه وجدَ لصاحب «النور» كلمةً لم يرقْه الإغضاءُ عنها بما هو مُؤرِّخٌ أَخَذَ على عاتقه إثباتَ المقول في كلّ باب، وإذْ لم يجدْ جواباً عنها لغيره لم يُشْفِعْها به، واكتفىٰ هو بما ذكرناه من اعتماده على حديث الولادة عن أن يردَّ كلمةَ الرجل، لأنّه مُؤرِّخٌ لا مُنقّبٌ.

---

(١) تجارب السلف: ٣٧ ط طهران سنة ١٣١٣ هـ ش.

(٢) إنسان العيون ١: ١٦٥.

وأمّا صاحبُ «النور» فيكفيك في تفنيد مزعمته ما تقفُ عليه في هذه الرسالة من نُصوص علماء أهل السنّة في ذلك، ورواياتهم، وقد عرفتَ نصَّ الحاكم، والمحدّث الدهلويّ بتواتر حديثه، وقول الآلوسي: «إنّه أمرٌ مشهورٌ في الدنيا».

وأيُّ عالمٍ يردّ المتواتر؟ أو يعدو أمراً مشهوراً ثبوتُه في الدنيا؟ فيضعّفَه؟ حتّى يقول [هذا] الرجل بِمِلْءِ فيه: «إنّه ضعيفٌ عند العلماء»!

وإن تعجبْ فعجبٌ إثباته ولادة (حكيم) التي لم يستقمْ إسنادها، ولا اعترفَ بها مخالفوه وأُممٌ من موافقيه، وعلى فرض وُقوعها فقد ذكرنا ـ في غير موردٍ من هذه الرسالة، وذكر الصفوري الشافعي ـ: أنّها من الصُدَفِ التي لا تُثبتُ فضيلةً ولا تخرق عادةً.

ثمّ تضعيفه ولادة أميرالمؤمنين، التي أخبتَ بها أئمّةُ الحديث، وأثبتَها نَقَلَةُ التاريخ، وطفحت بها كتبُ الأنساب، ونظمها الشعراءُ، وقالَ بها العلماءُ، وفيهم من ينفي أن يكون لغيره صلوات الله عليه مَوْلِدٌ في البيت.

فقد مرَّ عن الحاكم قوله: «ولم يُولَد قَبْلَهُ ولا بعدَه مولودٌ في بيت الله الحرام، سواهُ»[1].

هذا مع روايته حديث حكيم بن حزام، لكنّه بما هو محدّثٌ أخذَ على عاتقه إثباتَ المرويّات، والإخْبات بمفاده أمرٌ آخر تكشفُ عن عدمه كلمتُه هذه.

ويأتي عن البَدَخْشي قوله: «ولم يَولَدْ في البيت أَحَدٌ سواه، قبلَه ولا بعدَه وهي فضيلةٌ خصّهُ اللهُ بها».

---

(١) انظر كفاية الطالب: ٤٠٧ بسنده عن الحاكم. وانظر المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٨٣.

ثمّ ذكر عن بعضهم رواية قصّة حكيم، فقال: «واللهُ أعلم»[١] مُشعِراً بوهنه.

وستعرفُ عن داود البناكتي[٢] أنّه «لم يَحْظَ أحدٌ قبلَ الإمام عليه السلام ولا بعدَه بشرفِ الوِلادةِ في البيت»[٣].

ويشبهُ هذه كلّها كلمةُ ابن الصبّاغ المالكيّ السابقة: «ولم يُولَدْ في البيت الحرام قبلَه أحدٌ سواهُ، وهيَ فضيلةٌ خصَّهُ اللهُ تعالى بها إجلالاً له، وإعلاءً لمرتبتِه، وإظهاراً لتكْرُمَته»[٤].

وبمطلع الأكَمة منك قولُ الدهلوي[٥] في «سير الخلفاء»: «إنّه لم يُولَدْ أَحَدٌ قبلَه في حصار البيت»[٦].

ولعلَّ قيد ذاكرتك كلمةُ أبي الثناء الآلوسي في أوليّات هذه الرسالة: «ولم يشتهرْ وضعُ غيره كرّم الله وجهه، كما اشتهرَ وَضْعُه»[٧] يُوعِزُ إلى وهن ذلك الحديث[٨]، وانحياز الشهرة عنه.

وقُبَيْلَهُ قولُ المحدّث الدهلوي في «إزالة الخفاء»: «ولم يُولَدْ فيها أحدٌ سواه

---

(١) ذكر ذلك في كتابه «مفتاح النجا في مناقب آل العبا»، المخطوط. الورقة ٢٠.

(٢) هو أبو سليمان فخر الدين داود بن أبي الفضل تاج الدين محمّد بن داود البناكتي ـ نسبة إلى ولاية تعرف بذلك ـ في كتابه المسمّى «روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب». انظر الذريعة ١١: ٢٩٠/ الرقم ١٧٥٤.

(٣) سيأتي الفصل التالي، حيث نقله الكشفي في «مناقب مرتضوي» عن داود البناكتي.

(٤) الفصول المهمّة ١: ١٧٢.

(٥) هو عبد الحميد الدهلوي.

(٦) سير الخلفاء ٨: ٢. باللغة الهنديّة.

(٧) سَرْح الخريدة الغيبيّة في شرح القصيدة العينيّة: ١٥.

(٨) يعني حديث حكيم بن حزام.

قبلَه ولا بعدَه»[١]، إلى غير هؤلاء مِن مَهَرَةِ الفنّ وأَئمّةِ النقل، وأَصْفَقَ معهم علماءُ الشيعة كافّةً.

وقد أوقفناكَ على كلمات زُرافاتٍ منهم، فلو كانَ يُقام لولادة (حكيم) في البيت وَزْنٌ عندَ هؤلاء لَما أطلقُوا القول بملءِ الأفواه أنّ تلك خاصّةٌ لأميرالمؤمنين عليه السلام، لايُشارِكُهُ فيها أَحدٌ، معَ وقُوفهم على أمر (حكيم) وفيهم من أورده في كتابه، لكنّه غير آبِهٍ بهِ.

ويقربُ من هذه الهَمْلَجةِ ما جاءَ به الدِّيارْبَكْريّ في «تاريخ الخميس»، قال: «وُلِدَ بمكّة بعدَ عام الفيل بسبعِ سنين، ويقالُ: كانت ولادتُه في داخلِ الكعبة، ولم يَثْبُتْ»[٢].

وليتَ شِعْري بماذا تَثْبُتُ الحقائقُ التاريخيّةُ؟

أَبِالْوحيِ؟

أَم بأخبار الأنبياء، وهُتاف الكتب السماويّة؟

أم أَنَّ المرجعَ فيها الرجلُ والرجلان من النَّقَلة والرواة؟

وهل التزمَ الدياربكريُّ في كتابه بأَكْثَرَ من هذا؟

فما بالُ هذه الحقيقة التي هتفتْ بها المئاتُ والأُلوفُ، وأثبتتها طبقاتُ الناس جِيلاً بعد جيلٍ، لم تثبتْ عندَه، وثبتتْ لديه هفواتُ التاريخ، التي لو أَحصيتُها لَخَرَجْتُ عن وضع الرسالة؟

---

(١) إزالة الخفاء عن سيرة الخلفاء ٢: ٢٥١. ط الهند.

(٢) تاريخ الخميس ٢: ٢٧٥/ذِكْر علي بن أبي طالب.

ثمّ ما بالُ الدياربكريّ يعتمدُ على «شواهد النبوّة»[١] في كلّ ما نقلَ عنه، ولا يَرتضيه في خصوص المقام؟!

ثمّ ما بالُه يغضّ الطَّرْفَ عن غلطهِ الشائنِ من أنّ ولادتَه عليه السلام كانتْ بعدَ عام الفيل بسبع سنين؟ لكنّه يردُّ حديث ولادة البيت بعدم الثبوت.

أنا أدري لِماذا، وأنت تدري، وقبلَنا الدياربكري يدري.

(١) لأنّه في تاريخه نَقَلَ ولادة أمير المؤمنين عليه السلام داخل الكعبة عن كتاب «شواهد النبوّة».

حديثُ الولادة مجمَعٌ عليه

لعلَّ الباحثَ لا يَعْرُوه الشكُّ في ذلك بعدَما وقفَ على عَناوين هذه الرسالة في إثبات الحديث، وما سلفَ النصُّ به من عُلماء الفريقين، كقول الآلوسيّ فيه «إنّه أمرٌ مشهورٌ في الدنيا، وذُكِرَ في كتب الفريقين السنّة والشيعة»[1].

وما سبقَ عن السيّد حيدر الآمليّ، من عَدّه في المناقب المتسالَم عليها، التي «لا يفتقر ناقلُها إلى كتاب»[2].

وما عرفته من ابن اللَّوحيّ من إسناد روايته إلى الفريقين، وإصْفاقهم على نقله[3].

وما سلفَ عن العلّامة النوريّ قدّس سرّه أنّ تلك الفضيلة لا يبعدُ كونُها من ضروريّات مذهب الإماميّة، وإنّها جاءتْ في أخبارٍ غير محصورةٍ، ومنصوصٌ بها في كلمات العُلماء، وفي ضمن الخُطَبِ والأشعار في جميع الأعصار[4]، إلى غير هذه من كلماتٍ كثيرةٍ تُؤدِّي ذلك المؤدّىٰ. على أنّ البحثَ لا يعدمنا النصّ الصريح بذلك.

---

(١) سَرْح الخريدة الغيبيّة في شَرْح القصيدة العينيّة: ١٥.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول: ١٨٩، الكرامة الثانية.

(٣) انظر أصول العقائد: ١٦٥.

(٤) انظر اللؤلؤ والمرجان: ١٦٦. ط حجريّة.

قال العلّامة السيّد هاشم البحرانيُّ ، المتوفّى سنة ١١٠٧ في «مدينة المعاجز»: «قال محمّد بن عليّ بن شهر آشوب في «مناقبه»: أَجْمعت الشيعةُ على أنّه عليه السلام وُلِدَ في الكعبة»[١].

والظاهرُ أنّ النقل عن كتاب «المناقب» نفسه، الذي لم نقفْ عليه، لا منتخبه المعروف المطبوع المشهور بـ«مناقب ابن شهر آشوب» وهو لابن جَبْر[٢]، فلاتذهبْ المذاهب بالقارئ.

وفي «مناقب المعصومين عليهم السلام» عن «المناقب»: أنّه إجماع أهل البيت عليهم السلام[٣].

ورأيتُ في موسوعةٍ لبعض الفضلاء المتأخّرين: أنّ ولادته فيها هي الأشهرُ بل عليها الإجماع، وإلى الآنَ لم يُولَدْ فيها غيره.

ولنا أَنْ نثبتَ إجماعَ الشيعة على ذلك طَوْراً، واتّفاقها معَ أهل السنّة تارةً.

أمّا اتفاق الشيعة: فلا يعزب الجزمُ به عن أيّ باحثٍ منقّبٍ وقفَ على كلماتهم، وسبرَ أخبارهم، واطّلع على تواريخهم.

وقد عرفتَ في تضاعيف هذه الرسالة طَرَفاً من أحاديث الباب وكلمات

---

(١) مدينة المعاجز ١: ٥٦/ المعجزة ٣ من معاجز أمير المؤمنين عليه السلام. وانظر مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٣، قال: فأجمع أهل البيت أنّه في الزاوية اليمني من ناحية البيت، فالولد الطاهر، من النسل الطاهر، ولد في الموضع الطاهر، فأين توجد هذه الكرامة لغيره؟!

(٢) الثابت عند المخصّصين أنّ المطبوع هو «مناقب آل أبي طالب» لابن شهر آشوب، وأنّ منتخبه الموسوم بـ«نُخَب المناقب» لأبي عبدالله، الحسين بن جَبْر ما يزال مخطوطاً، وموجوداً في بعض المكتبات. انظر الذريعة ٢٤: ٨٨/ الرقم ٤٦٢.

(٣) في الذريعة ٢٢: ٣٣٤/ الرقم ٧٣٣٠: مناقب المعصومين للشيخ عبدالخالق بن عبدالرحيم اليزدي المتوفّى سنة ١٢٦٨.

العُلماء، وقد أرسلُوا فيها حديثَ الولادة إرسالَ المسلّم، نافينَ عنه أيّ شُبهة وارتجافٍ، وهُناك جموعٌ آخرون نُوقِفك على بعض عَبائرهم أو مضامينها.

فمنهم العلّامة الأوحد قطبُ الدين محمّد ابن الشيخ عليّ الشريف اللّاهيجي، تلميذ المحقّق الداماد المترجم في «أَمَل الآمِل»[١] في كتابه القيّم الفخم «محبوب القُلُوب» فقد نصَّ كما عرفتَه من علماء أُمّته قبلَه وبعدَه، بولادة الإمام عليه السلام داخلَ الكعبة، يومَ الجمعة في الثالث عشر من رجب، قبلَ الهجرة بثلاثة وعشرين عاماً.

قال: «ولم يُولَدْ في البيت الحرام قبلَه أحدٌ سواهُ، وهي فضيلة خَصَّهُ الله تعالى بها، إجلالاً له، وإعلاءً لمرتبته، وإظهاراً لكرامته»[٢].

ويقربُ منه ما ذكرهُ البارعُ الجليلُ السيّدُ عبّاسُ بن عليّ بن نور الدين، الموسويّ الحسينيّ المكّيّ في رحلته المسمّاة بـ «نُزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس»[٣].

وما قاله العالم الناقدُ المتبحِّر السيّد نعمةُ الله الموسويُّ الجزائريّ، المتوفّى سنة ١١١٢ في «الأنوار النعمانيّة»[٤]، وناهيكَ به ناقداً للأخبار، متبصّراً فيها.

ومنهم نظامُ الدين محمّدُ بن الحسين، التفريشيّ الساوجيُّ، تلميذُ الشيخ بهاء الدين العامليّ، ومتمّمُ «جامعه العبّاسيّ» بعدَه، بأمر الملك السعيد

(١) أمل الآمل ٢: ٢٨٥/ الترجمة ٨٤٩.
(٢) محبوب القلوب ١: ٢٥٠.
(٣) انظر نزهة الجليس ومُنية الأديب الأنيس ١: ٦٨.
(٤) انظر الأنوار النعمانيّة ١: ٣٧٠.

الشاه عبّاس الصفويّ، قال ـ في الباب السابع من تكملة الجامع المذكور ـ: «إنّ ولادته عليه السلام، في جَوْفِ الكعبة».

وكذلك أرسلَه إرسالَ المسلَّم شيخُنا الفقيهُ الأوحدُ الشيخُ خضرُ بن شَلّال، آل خَدّام العفكاوي النجفيّ، المتوفّى سنة ١٢٥٥، في مزاره المسمّى بـ«أبواب الجنان وبشائر الرضوان»[١] قال: «ومولده الشريف في الكعبة الحرام بعد عام الفيل بثلاثين سنة»[٢].

ومثله في الجزم بذلك العلّامة المشارك في العلوم الحاجّ المولى شريف الشيروانيّ[٣]، نزيل تبريز، من تلمذة سيّد «الرياض»، وهو من ثِقات عُلمائنا، في كتابه «الشهاب الثاقب»، فقال: «إنّه وُلِدَ في مكّة، ببيت الله الحرام».

قال: «ولم يُولَدْ فيه قطُّ سواهُ، لا قبلَه ولا بعدَه».

وعيّن التاريخ بليلة السبتِ لثلاثٍ وعشرين من رجب، قال: «وقيلَ: يومَ الجمعة»[٤].

ومنهم المحقّقُ الحكيمُ العارفُ الأخلاقيُّ الفقيهُ المحدّثُ الشاعرُ المولى محمّد بن المرتضى المدعوّ بالمحسن، الفيض الكاشانيّ، المتوفّى سنة ١٠٩١، فقد أثبتَ ذلك في كتابه «تقويم المحسنين» في حوادث شهر رجب، وقال: إنّ في

---

(١) قال المؤلّف في آخر مجلّد المواريث من شرحه للّمعة الدمشقيّة: إنّه كتبَ هذا المزارَ بالقلم الذي كتبَ به جملةً من مجلّدات شرحه المذكور، وهو القلم الذي أعطاه أميرالمؤمنين عليه السلام في المنام، فوجدَه بيدِه بعدَ الانتباه، وهذا معدودٌ من كراماته رحمه الله تعالى.

(٢) أبواب الجنان وبشائر الرضوان: ١٣٦.

(٣) هو الملّا محمّد شريف بن الرضا الشيرواني التبريزي. انظر الذريعة ١٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١/ الرقم ٢٤٣٠.

(٤) انظر الشهاب الثاقب لنواصب الأئمّة الأطايب / الفصل الثاني في ميلاده في الكعبة.

ثالث عَشَرِهِ، يومَ الجمعة، على الأشهر وُلِدَ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، في الكعبةِ، قبلَ النبوّة باثنتي عَشَرَةَ سنة، وللنبيّ صلّى الله عليه وآله، يومئذٍ ثمانٍ وعشرونَ سنةً[١].

وماثلَهُ في ذكر الفضيلة بصفة الجزم بها الشيخُ أبو محمّد، الحسنُ بن أبي الحسن محمّد الديلميّ في «إرشاده»، وكذلك في تأريخ الأُسبوع والشهر، وذكر أنّها كانت سنةَ ثلاثين من عام الفيل، ونفى أن يكون قبلَه عليه السلام أو بعدَه أحدٌ [ولد] في البيت، وأنّها إحدى فضائله الجمّة المخصوصة به[٢].

ومثله العلّامة الأوْحَد، الجامع للمعقول والمنقول، السيّد الميرزا حبيب الله بن محمّد بن هاشم، الموسويّ الخوئيّ في «شرح نهج البلاغة» المسمّى «منهاج البراعة»، قال: «وقد خصّهُ اللهُ بهذه الفضيلة على سائر الأنام، ولم يُولَدْ في البيت أحدٌ قبلَه ولا بعدَه، وفي ذلك يقول أبوه أبوطالب عليه السلام:

[من الكامل]

أنتَ الذي فَـــرَضَ الإلهُ ولاءَهُ ونـطقتَ حَـقّاً بـالجواب الصـائبِ
أنتَ الذي رَفَـــعَ الإلهُ مـــحلَّهُ وعَلا عُـلاكَ عـلى الشِّـهابِ الثـاقِبِ
ووُلِدْتَ في البيتِ الحرامِ وخَصَّكَ الْـ بـاري بِكُـلّ مكـارمٍ ومـواهِبِ»[٣][٤]

(١) تقويم المحسنين: ١٧.
(٢) انظر إرشاد القلوب ٢: ٦ ط. النجف الأشرف.
(٣) أنا لا يروقني إثبات هذه الأبيات لشيخ الأُمّة وأب الأئمّة عليهم وعليه السلام، فإنّ شعره أَفْحَلُ من أن تُعَدّ هذه في عداده، والعبرةُ هنا بكلام هذا السيّد الجليل لا الشعر المنقول، ولا بأس بأن تكون لبعض الشعراء. (المؤلّف)
(٤) منهاج البراعة ١: ٧١.

ومنهم العلّامة الفقيه السيّد حيدرُ الحَسَنيّ الحُسينيّ الكاظمي، المتوفّى سنة ١٢٦٥، قال في كتابه «عُمدة الزائر»: «وإنّه وُلِدَ بمكّة في البيت الحرام، يومَ الجمعة لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من رجب، بعدَ عام الفيل بثلاثينَ سنة، وهو المشهورُ.

والأقوى عندي: ما رواه الشيخُ في الصحيح عن الصادق عليه السلام، قال: كانت ولادتُه يومَ الأحد لسبع خلون من شعبان، وكان بينَ مولِدِه ومولِدِ رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثلاثونَ سنةً، ولم يُولَدْ قبلَه ولا بعدَه في بيت الله الحرام سواهُ، إكراماً له، وتعظيماً له من الله تعالى بذلك، وإجلالاً لمحلِّه»[١].

وقال سيّدُ الفقهاء، الآيةُ الباهرةُ، السيّد مهديّ القزوينيّ قدّس سرّه، المتوفّى سنة ١٣٠٠ في «فلك النجاة»: «وُلِدَ يوم الجمعة، ثالث عشر رجب، ورويَ: سابع شعبان، والأوّل أشهر، بعدَ مولد رسول الله صلّى الله عليه وآله، بثلاثين سنة، في الكعبة البيت الحرام، وهو أوّل من أسلمَ يومَ مبعث النبيّ صلّى الله عليه وآله، وهو ابنُ عشر سنين، وأوّلُ مَنْ صَدَّقَ به»[٢].

وفي«عدّة الرجال» للعلّامة المحقّق السيّد محسن الأعرجيّ: «وُلِدَ أميرالمؤمنين عليه السلام، بعدَ عام الفيل ومولد النبيّ بثلاثين سنة، في أيّام هِرَقْل، يوم الجمعة في رجب، وقيل: في شعبان، في البيت الحرام، ولم يُولَدْ في البيت أحدٌ قبلَه ولا بعدَه».

ثمّ ذكر حديثَ يزيد بن قَعْنَب، كما مرّ عن الصدوق[٣].

---

(١) عمدة الزائر: ٥٤.

(٢) فلك النجاة: ٣٢٦.

(٣) انظر عدّة الرجال ١: ٥٤ ـ ٥٥.

وهذا العالمُ البحّاثة النَّيْقَد وَجَدَ خلافاً في شهر الولادة فأوعز إليه، لكنّه لم يجد في حديث البيت أيّ ترديد، فلم يَنْبسْ عنه بِبِنْتِ شَفَةٍ، ولو كان مثله يجدُ شيئاً لما آثر تركه، وهو ذلك الصريح الشديد في البحث.

والشيخ عبدالنبيّ الجزائري في «حاوي الأقوال»[١]، والشيخ أبو عليّ الرجالي في «منتهى المقال»[٢] وإن نقلا هذه الحقيقة الراهنة عمّن قبلهما من العلماء، وقد أثبتنا في هذه الرسالة مقاله[٣]، لكنّ العبرة في المقام بإخبات الرجلين ـ وهُما من أعلام عُلماء الدين ـ بها، وبخوعهما لصحّتها.

ومنهم البحرُ الخِضَمّ علّامةُ العصور السيّد علي خان المدني الشيرازي، المتوفّى سنة ١١٢٠ في «الحدائق النديّة في شرح الفوائد الصمديّة»[٤]، فقد نقل عن «الفصول المهمّة» عبارته الآتية، مكتفياً بها، مُذْعِناً بحقيقتها وحقّيّتها.

وهناكَ من مؤلّفي العصور الأخيرة العالم النَّيْقد المولى علي أصغر البروجردي الذي أطلق القولَ الصُراح في كتاب «عقائد الشيعة»: بأنّ «مولده عليه السلام في وسط البيت، ضُحى الجمعة، بعد ثلاثين عاماً من ولادة النبيّ الأعظم»[٥].

ولغيره كتابٌ آخر في المعارف الإلهيّة أحسن فيه، وفي مبحث الإمامة، لم يشُكَّ بأنّ مولد الإمام عليه السلام، في الكعبة، بعد عام الفيل بثلاثين عاماً، في الثالث عشر من رجب، يوم الجمعة، قال: «ولم يُولَدْ فيها أحدٌ سواه، لا قبلَه ولا بعدَه».

---

(١) انظر حاوي الأقوال ٤: ٤٦٨ حيث نقل ذلك عن التهذيب.

(٢) انظر منتهى المقال ١: ١٢. حيث نقل ذلك عن التهذيب وإرشاد المفيد.

(٣) أي مَقالَ مَنْ قَبْلَهُما.

(٤) انظر الحدائق النديّة: ٨ ط. حجريّة سنة ١٣٢١.

(٥) عقائد الشيعة: ٣١.

إلى هنا نكتفي من نَماذج هذا الفصل بما ذكرناه، على أنّ جميعَ ما وقفتَ عليه تحتَ عناوين هذه الرسالة شَرْوىٰ[١] هذه النقول، فيُمكننا في هذا الموقف الاحتجاجُ بكلّ ذلك، ولعلّها جَمْعاءَ كقَطْرٍ من بحر، بالنسبة إلى ما يجدُه السَّابِرُ لكتُب علمائنا.

وأمّا إصفاقُ عُلماء أهل السنّة ومُحدّثيهم وعُرفائهم مَعَنا في إثبات هذه المأثرة الفاضلة، فمن أجلى الحقائق وأثبتها.

لقد أسمعناك كلمةَ الحاكم في «المستدرك» وحكمه بتواتُر النقل فيه.

ثُمّ نقل الحافظ الكنجي الشافعيّ عنه ذلك، بصفة أُخرى.

وحكمٌ آخَر بالتواتر عن المحدّث الدهلوي.

وكلام الآلوسيّ بما يوافقهم ونصّه: بـ«إنّ ذلك مشهورٌ في الدنيا».

وما عن الصفوريّ الشافعيّ في ذلك.

وعن «تاريخ گُزيده» لحمد الله المستوفي.

وعن «مطالب السَؤول» لابن طلحة الشافعي.

وعن «مرآة الكائنات» لنشانجي زاده.

و«سير الخلفاء» للدهلوي المعاصر.

وكتاب «الحسين» للسيّد علي جلال الدين الحسيني.

وعن عبدالباقي أفندي العمري في قصيدته.

وعن المولى الرومي.

ومعين الدين الجشتي.

---

(١) أي مِثْل.

وعبدالرحمن الجامي في شعرهم.

والأمير محمّد صالح الترمذي في «مناقبه».

بل ذكر العلّامة الشيخ أبوالحسن الشريفُ العاملي في «الفوائد الغرويّة والدرر النجفيّة»[١] أنّه «روى حديثَ الولادة أكثر العامّة، وأنّه يوم الجمعة، ولم يُولَد فيها أحدٌ غيره».

وإليك أسماء آخرين منهم، لم يَمْتَرُوا في صحّة الخبر، فسردوه خاضعين لأمره:

قال نور الدين، عليّ بن محمّد ابن الصبّاغ، المكّيّ المالكيّ، المتوفّى سنة ٨٥٥ في «الفصول المهمّة»: «وُلِد عليّ عليه السلام، بمكّة المشرّفة، بداخل البيت الحرام، يومَ الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصمّ رجب الفرد، سنةَ ثلاثينَ من عام الفيل، قبلَ الهجرة بثلاث وعشرين سنةً، وقيل: بخمسٍ وعشرين سنة، وقبلَ المبعث باثنتي عشرة سنة، وقيل: بعشر سنين، ولم يُولَدْ في البيت الحرام قبلَه أحدٌ سواهُ، وهي فضيلةَ خصّه الله تعالى بها، إجلالاً، وإعلاءً لمرتبته، وإظهاراً لتكرمته»[٢].

وعرفتَ في إثبات شهرة الحديث نقلَ الصفوري الشافعي لهذه الكلمة بلفظها عن الكتاب في كتابه «نزهة المجالس»[٣].

---

(١) الفوائد الغرويّة والدرر النجفيّة: للمولى الشريف العدل، أبي الحسن ابن المولى محمّد طاهر بن عبد الحميد بن موسى بن علي بن محمّد بن معتوق بن عبد الحميد العاملي، المتوفّى سنة ١١٣٨. ما يزال مخطوطاً. انظر الذريعة ١٦: ٣٥٣/ الرقم ١٦٣٩.

(٢) الفصول المهمّة ١: ١٧١.

(٣) انظر نزهة المجالس ٢: ٢٠٤.

كما عرفتَ نقلَها كذلك عن العلّامة السيّد علي خان المدني في «الحدائق النديّة» قُبَيلَ هذا[١].

والسيّد مؤمن بن الحسن بن مؤمن، الشبلنجيّ الشافعيّ في «نور الأبصار» قال: «ولم يُولَدْ في البيت الحرام قبلَه أحدٌ سواهُ، قالَه ابن الصبّاغ»[٢].

ونقل عن «الفصول» هذه ـ مع نسبتها إلى مؤلّفها ـ غيرُ واحدٍ من أثبات أهل السنّة غير هؤلاء، كالسّمهوديّ في «جواهر العقدين»[٣]، وبُرهان الدين الحلبي في «إنسان العيون»[٤].

وقال شمسُ الدين أبو المظفّر يوسفُ بن قِزْأُوغلي ـ الشهير بسبط ابن الجوزي ـ في «تذكرة خواص الأُمّة»: «وروي: أنّ فاطمة بنت أسد كانت تطوفُ بالبيت، وهي حامل بعليٍّ عليه السلام، فضربَها الطَّلْقُ، ففُتِحَ لها باب الكعبة، فدخلتْ، فوضعَتْهُ فيها.

وكذا (حكيم بن حزام) ولدتْه أُمّه فيها.

قلتُ: وقد أخرج لنا أبو نُعَيم الحافظ حديثاً طويلاً في فضلها، إلّا أنّهم قالوا: في إسناده (روح بن صلاح) ضعّفه ابنُ عديّ فلذلك لم نذكُره»[٥][٦].

---

(١) انظر الحدائق النديّة: ٨ ط. حجريّة سنة ١٣٢١.

(٢) نور الأبصار: ٧٣. ط. مصر.

(٣) انظر جواهر العقدين: ٣٢٠ و٣٦٠.

(٤) انظر إنسان العيون (السيرة الحلبيّة) ٢: ٤٧ و٥٤ و٦٠، وعند ذكر هجرة النبي وخروجه للغار.

(٥) تذكرة خواص الأمّة: ١٠.

(٦) قال العسقلاني في لسان الميزان ٢: ٤٦٥: روح بن صلاح المصري، ضعّفه ابن عدي، وقد ذكره ابن حِبّان في (الثقات) وقال الحاكم: ثقة مأمون، انتهى.

عرفتَ أنّ ولادة (حكيم) فيها ـ على تقدير صحّتها ـ من جُملة الصُّدَف والاتفاقات غير القَصْديّة، فليس فيها فضلٌ ما غيرَ تلويثِ البيت بالمَخاض، ويجبُ تطهيره. وأين هذه من وِلادة أميرالمؤمنين عليه السلام، الذي فُتِحَ لأُمّه البابُ ـ كما في عبارة السبط نفسه ـ ولم يُفْتح لغيرها، بالرغم من جُهْدهم في ذلك، كما سبقَ في أحاديث كثيرة، أو انشقَّ لها جدارُ البيت فدخلَتْهُ كما في أحاديث الشيعة، ولا يعدُو ذلك أن يكونَ الأمرُ إلٰهيّاً قُصِدَ به التنويه بشرفِ المولود المبارك الذي شَرَّفَ البيتَ بولادته فيه.

وقوله: فيما رواه أبو نُعيم من الرواية المحكوم عليها بالضعف، فسياقُ العبارة يُعطي أنّها في فضل فاطمة بنت أسد فَحَسْبُ، غير متضمّنةٍ لحديث الميلاد

➲ والحديث المشار إليه هو ما رواه أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أُمُّ عليّ رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أُمّي، كُنْتِ أُمّي بعد أُمّي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة.

ثمّ أمر أن تغسّل ثلاثاً، فلمّا بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ خلع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قميصه فألبسها إيّاه وكفَّنها ببُرْد فوقه.

ثمّ دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أسامة بن زيد، وأبا أيّوب الأنصاري، وعمر بن الخطّاب، وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها. فلمّا بلغوا اللّحد حفره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بيده، وأخرج ترابه بيده.

فلمّا فرغ دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاضطجع فيه، فقال: الله الذي يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد ولقّنها حُجَّتها، ووسّع عليها مدخلها، بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي، فإنّكَ أرحم الراحمين، وكَبَّرَ عليها أربعاً [بل الصحيح: خمساً]، وأدخلوها اللّحد هو والعبّاس وأبو بكر. رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح، وثّقه ابن حبّان والحاكم، وفيه ضعف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

الشريف، فلا يهمُّنا إذن ضعيفةً كانت هيَ أو قويّةً، وإن كانت تتضمّن شيئاً من ذلك فهو غيرُ ضائرٍ لنا، فإنّ مستندَ السِّبْط[١] في أمر الولادة غيرها، ولو كان مأخوذاً منها لتركَهُ كما تركها لضعفها، فإنّ الضعف إن كان مُسْقِطاً لجميع الرواية عن الاعتبار، وموجباً للتحرُّج عن إيرادها، فليس للاستناد إلى بعضها مُبرّرٌ يرتضيهِ عالمٌ يترفَّعُ عن التعويل على الأخبار الضعيفة، فليسَ في نقله الحديث «يُروىٰ» بصيغة المجهول أيُّ إيعازٍ إلى الوَهْن فيه بعدما عرفتَ حالَ الرجل في خُصوص المقام، وهو المعهودُ منهُ في غير موردٍ من هذا الكتاب من إرداف الحديث بنقده، أو تصحيحه، أو حذفه رأساً لضعفه، وإنّما جاءَ به كذلك لتكثُرَ طُرقُه الموجب للإطناب إذا تصدّى لسردِها، ولشهرته المُغْنِيَةِ عن ذكر الأسانيد، وإنّما الغرضُ الإشارة إلى إحدى المسلَّمات بأوجز بيان.

ومثلُه من علمائنا ما وقعَ في عبارة السيّد رضي الدين ابن طاووس، المتوفّى سنة ٦٦٤ في «الإقبال»، قال: «رُوي أنّ يوم ثالث عشر رجب كان مولد مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، في الكعبة، قبل النبوّة باثنتي عشرة سنةً»[٢].

فالمسندُ فيه إلى تلك الرواية هو يومُ الولادة، ثالث عشر رجب، الذي وقعَ الخلاف فيه، لا محلَّها المجمع عليه، الذي تضافرت الرواياتُ به وتواترت الأسانيدُ، وما كان مثل السيّد ابن طاووس، بالذي تَخفى عليه جليّةُ الحال في المقامين، وهو نابغةُ العلم وبحّاثةُ الحديث، وراويةُ السِّيَر.

وقال أحمدُ بن منصور الكازرونيّ في «مفتاح الفتوح»: «وَلَدَتْ فاطمةُ عليّاً

(١) أي سبط ابن الجوزي.

(٢) إقبال الأعمال ٣: ٢٣١/ فصل فيما نذكره من فضل صوم ثلاثة عشر يوماً من رجب.

عليه السلام في الكعبة، ونُقِلَ عنها: أنّها كانت إذا أرادت أن تسجُدَ لصنمٍ، وعليٌّ في بطنها، لم يُمكّنها، ولذا يُقال عند ذكر اسمه: كَرَّمَ اللهُ وجهه، أي كَرَّمَ وجهه عن أن يَسْجُدَ لِصَنمٍ»[١].

أنا لا أُحاول تصديقَ الرجل في كلّ ما يقول، غير ما أتيتُ به من كلامه شاهداً لموضوع الرسالة، فإنّي لا أُصافِقُه على أنّ فاطمةَ كانتْ تسجُدُ للصَنَم، وإن كان ابنُها أكبرَ وازعٍ عن عِبادة الأوثان، ولو كُنْتُ أُجوِّزُ لها تلكم الأُسطورة، لما عداني اليقينُ بما ذكره من أمر جَنينها.

لكنّي أعتقدُ أنّ كونَ الإمام سلام الله عليه في بطنها حملاً، وتقديرُ كونها حاملاً له عليه السلام من الله سبحانه مُنْذُ الأزل، كان عاصماً لها عن عبادة الأصنام، كبرهان الربّ ـ العصمة ـ المانع يوسُفَ عن الزنا، وهذا هو الذي نعتقده في آباء النبيّ والأئمّة عليه وعليهم السلام وأُمّهاتهم، فهم مبرّؤون عمّا يَصِمُهم في دينٍ أو دُنيا.

ولهذا البحث مقالٌ ضافٍ لا يسعهُ المقام، وإنّما المراد هُنا فَذْلكة[٢] المقام من أنّا لا نقيمُ لهاتيك الرواية الساقطة وَزْناً، وإن وافقَ راويها في إخراجها ابن حَجَرٍ في «الصواعق»[٣]، ولقد أسرَّ ناقِلُها حَسْواً في ارتغاء[٤]، يريد وقيعة في أُمّ الإمام

---

(١) مفتاح الفتوح في شرح المصابيح: ٤٨، كما في شرح إحقاق الحق ١٧: ٣٦٧.

(٢) الفَذْلَكة: مُجْمَلُ ما فُصِّلَ وخُلاصتُهُ.

(٣) لم نعثر عليه في الصواعق المحرقة. وإنّما نقله الشبلنجي في نور الأبصار: ١٥٦ حيث قال: نُقِل عنها [أي عن فاطمة بنت أسد] أنّها كانت إذا أرادت أن تَسجد لصنم وعليٌّ رضي الله عنه في بطنها لم يمكنها؛ يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ويمنعها من ذلك، ولذلك يقال عند ذكره: كرّم الله وجهه، أي عن أن يسجد لصنم.

(٤) يُسِرُّ حَشواً في ارتغاء: مثل من أمثال العرب، يُضرب لِمَنْ يُريك أنّه يُعِينُكَ وإنّما يجرّ النفع لنفسه. انظر مجمع الأمثال ٢: ٤١٧/ المثل ٤٦٨٠.

كما تحامل على أبيه المقدّس، فحكمَ بكفره لأمرٍ دُبِّرَ بِلَيْلٍ، فصبّها في قالب الفضيلة له، وتلقّاها الغِرُّ من غير ما رَوِيّةٍ.

وأسندَ عبدالرحمن الجامي في «شواهد النبوّة»[1] حديث ولادة الكعبة إلى بعضهم، غير أنّه خَلَطَ الحابل بالنابل، وجاء بعثراتٍ لا تُقالُ، فحدّدَ عامَ المولد الشريف بالسابعة من عام الفيل، على الضدّ من ضرورة التاريخ والحديث وعلم النسب المثبتة أنّه في الثلاثين منهُ، وشَذَّ من أرّخه بالثامن والعشرين منه.

ثمّ ذَكَرَ على ذلك أنّه كان عندَ بعثة النبي صلّى الله عليه وآله، ابنَ خمسة عشر عاماً، وعليه يجبُ أن تكونَ البِعثةُ في الثاني عشر من عام الفيل، أو أن يكونَ الإمام عندَها ابن ثلاثة وثلاثين عاماً، وكلاهما مخالفٌ للضرورة والإجماع.

وعلى العلّات، فالغرضُ من نقل ما ذكره الرجلُ هو ما عزاهُ إلى البعض من حديث الولادة نفسه، فلا يقصر أن يكونَ إحدى روايات الباب.

وللجامي رباعيّة في حديث الولادة قد أسلفناها، والشُّعراء تلمحُ إلى هذه الفضيلة بما يكاد أن يبلغَ مبلغَ الصراحة.

وقال الشيخ عبدالحقّ بن سيف الدين، المحدّث الدهلوي في «مدارج النبوّة» ما ترجمته: «قالوا: إنّه سَمَّتْهُ ـ يعني الإمام عليه السلام ـ أُمّه فاطمةُ بنت أسد (حيدرة) موافقةً لاسم أبيها أسد. فإنّ حيدرة اسم للأسد.

ولمّا جاء أبوطالب كره ذلك، فسمّاه عليّاً، وسمّاه رسولُ الله صلّى الله عليه

(١) انظر شواهد النبوّة: ١٩٨ ط المطبعة الحيدريّة ـ بومباي ـ سنة ١٢٨٨.

وآله صِدِّيقاً ـ كذا في «الرياض النضرة» ـ وكنّاه بأبي الريحانتين[١].

ولقّبه بـ «بيضة البلد» و«الأمين» و«الشريف» و«الهادي» و«المهتدي» و«ذي الأُذن الواعية» و«يَعْسُوب الأُمّة». وقالوا: إنّ ولادتَه كانتْ في جوف الكعبة»[٢]، مترجماً من الفارسيّة.

ولا مُنافاة بينَ ما ذكره من أنّ أباطالب عليه السلام، سمّاه عليّاً، وبين ما مرّ من أنّ التسمية كانت من عند الله سبحانه، ونُهِيَتْ إلى أبي طالب بطريق غير عاديّ، وقد علمتَ أنّ شيخَ الأبطح لمّا بَلَغَهُ الأمرُ الإلهيّ سمّاه عليّاً، فهيَ في الظاهر منسوبةٌ إليه، وأمّا تسرّع فاطمة بالتسمية فلا تصحّ عندي.

والأميرُ محمّد صالح بن عبدالله الكشفي الترمذي الأكبر آبادي، بعدَ أنْ ذكر حديث يزيد بن قَعْنَب السابق ذكره، بأسانيد متكرّرة، مُرْسِلاً له إرسالَ المسلّم في كتابه «المناقب» نقلَ عن داود البناكتي[٣] أنّه «لم يَحظَ أحدٌ قبلَ الإمام عليه السلام ولا بعده بشرف الولادة في البيت»[٤]، مترجَماً من الفارسيّة.

وفي «روائح المصطفى» لصدرالدين أحمد البردواني من متأخّري علماء القوم: «كانت ولادته عليه السلام، في جوف الكعبة، بعدَ عام الفيل بثلاثين سنة، يومَ الجمعة في الثالث عشر من رجب»[٥]، مترجَماً من الفارسيّة.

وفي كتاب «آئينه تصوّف» لشاهد محمّد حسن الجشتي: «أنّه عليه السلام،

---

(١) انظر الرياض النضرة ٢: ١٠٤.

(٢) مدارج النبوّة ٢: ٥٣١ ط لول كشور ١٩١٤ م.

(٣) نسبة إلى ولاية تُعرف بذلك. (المؤلِّف)

(٤) مناقب مرتضوي: ٨٧ ط بومباي سنة ١٢٣١ هـ.

(٥) روائح المصطفى: ١٠ ط. كانبور سنة ١٣٠٢.

وُلِدَ في الكعبة، في الثامن عشر من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل، عندَ الضُحى، قبل مبعث النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بستّ سنين وستّة أيّام»[١]، مترجَماً من الهنديّة.

وفيه من الغرائب: تعيينُه يوم الولادة بالثامن عشر من رجب، ولعلّه يعزُّ على القائل من يُوافقه. وأغربُ منه تحديده الوقت بما قبل البعثة بستّ سنين وستّة أيّام، فإنّ من المتسالَم عليه أنّ مولدَه صلّى الله عليه وآله، في عام الفيل، وأنّ بعثته على رأس الأربعين من عمره الشريف، فيجب أن تكون ولادة الإمام عليه السلام ـ وهي بعد الثلاثين من عام الفيل ـ قبل المبعث بعشر سنين.

وفي «مفتاح النجا في مناقب آل العبا» لميرزا محمّد بن رستم، معتمدخان، الحارثي البدخشي، بعد تحديد شهر الولادة، ويومها من الأُسبوع، وسنتها بالجمعة في الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، وأنّها بمكّة في البيت الحرام: «وسمّتْهُ أُمّه (حَيْدَرة) وسمّاه النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم (عليّاً) فرضِيَ أبواهُ بذلك، ولم يُولَدْ في البيت الحرام أحدٌ سِواه، قبلَه ولا بعدَه، وهي فضيلةٌ خَصّه الله بها».

«وروى بعضهم أنّ (حكيم بن حزام) أيضاً ولد في البيت الحرام، والله أعلم»[٢].

وفي «كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب» للعلّامة الشيخ محمّد حبيب الله الشنقيطي المدرّس بالأزهر ـ بعد التزامه فيه بشدّة التحرّز من أحاديث الروافض المكذوبة، فيما زعمه، لأنّ الإمام عليه السلام في غِنًى عنها، لكثرة

(١) آئينه تصوّف: ٩ ط رامبور سنة ١٣١١.

(٢) مفتاح النجا في مناقب آل العبا: الورقة ٢٠ من المخطوطة.

ما ثبتَ في السُّنّة من أحاديث فضائله[١] ـ أرسلَ إرسالَ المسلَّم: «أنّ من مناقبه كرّم الله وجهه، أنّه وُلِدَ في داخل الكعبة، ولم يُعْرَفْ ذلك لأحد غيره، إلّا (حكيم بن حزام) رضي الله عنه»[٢].

ففي «شرح الشفا» للشيخ عليّ (القاري) بعدَ أن قال في (حكيم بن حزام): «ولا يُعرف أحدٌ وُلِدَ في الكعبة غيرُه، على الأشهر» ما نَصُّه: وفي «مستدرك الحاكم»: أنّ عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، أيضاً وُلِدَ في داخل الكعبة». منه بلفظه في صحيفة مائة وواحد وخمسين من الجزء الأوّل منه، بمطبعة الآستانة.

ليتَ (القاري) لم يسحبْ ذيلَ أمانته على كلمة الحاكم، الموجودة في «المستدرك» التي أسلفنا إثباتها عند إثبات تواتر هذا الحديث.

وليتَه ذكر قوله: «تواترت الأخبارُ أنّ فاطمة بنت أسدٍ وَلَدَتْ أميرالمؤمنين عليّ ابن أبي طالب في جوف الكعبة»[٣].

ليتَ! وهلْ ينفعُ شيئاً لَيْتُ[٤]؟ عذرته، فهو حينَ رمى القولَ على عواهنه في ولادة (حكيم بن حزام) بإسناده إلى الأشهر، المستخرَج من عُلبة مُخَيّلته، لم يكنْ تَسَعُهُ المصارحةُ بأنّ خلافَهُ ممّا تواترتْ به الأخبارُ، فلا أقلَّ من التكافؤ بأنْ يكونَ كلٌّ منهما مشهوراً، فكانَ الأحفظُ لسمعته والأَسْتَرُ لِمَيْنِهِ[٥] أنْ يمسحَ كلمةَ الإمام الحاكم التي رأيت، وكان من المحتمل القريب أن لا يُناقشه أحدٌ الحسابَ، لكن الحقيقة لابدّ وأن تُبْرِزَ نفسَها.

---

(١) انظر كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب: ٢٥.

(٢) كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب: ٣٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٨٣.

(٤) بيت لرؤبة بن العجّاج، كما في ديوانه ١: ٥٥، وبعده: «ليتَ شباباً بُوعَ فاشتريتُ».

(٥) المين: الكذب.

النصوص على مولده صلوات الله عليه بالكعبة

ابن شهر آشوب في «المناقب»: عن يزيد بن قَعْنَب، وجابر الأنصاريّ: أنّه كان راهبٌ يقال له: المثرم بن دعيب، قد عَبَدَ الله مائةً وتسعين سنة ولم يسأله حاجة.

فسألَ ربَّه أن يُريه وليّاً له، فبعثَ اللهُ بأبي طالب إليه، فسأله عن مكانه وقبيلته، فلمّا أجابه وَثَبَ إليه وقبّل رأسه وقال: «الحمد للّه الذي لم يُمِتْني حَتَّى أراني وَليّه»[1].

---

(١) يدلّ الحديثُ أنّ الراهب كان يعرفُ أباطالب وليّاً من أولياء الله قبلَ أن يراه، وليسَ ذلك ببعيدٍ من مقامه المنيع الواقع في حَلَقات الوصاية بينَ عيسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما جاء ذلك في المأثور، حتّى إنّ الراويَ بعدَ أن كان مفروغاً عندَه كونه حجّةَ عصره، سألَ الإمام عن أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم، هل كان محجوجاً به قبل أن يبعث؟

ثمّ لمّا بعثَ محمّدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم، كان هو عَلَم الدين الخافِق، وركنَه الوثيق، وكهفَه الحصين، وناصرَ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، الفذّ، وحِماه الوحيد، كما قلتُ فيه:

بِشَـــيخِ الأَبْـطَحينِ فَشـا الصَّـلاحُ ... وَ فـــي أَنْـــوارِهِ زَهَتِ البِـــطاحُ

بَـــــراهُ اللهُ للـــــتَّوْحِيدِ عَـــضْباً ... يَـــلِينُ بـــهِ مِـنَ الشِّـرْكِ الجـماحُ

وعَـــمُّ المُـصْطَفى لَـوْلاهُ أَضْـحَى ... حِـــمَى الإِسْـــلامِ نَـــهْباً يُسْـتَباحُ

نَـــضَا للـــدِّينِ مِـنْهُ صَـفِيحَ عَـزْمٍ ... عَـــنَتْ لِـمَضائِهِ الْقُـضُبُ الصِّـفاحُ

وأَشْـــرَعَ لِـــلهُدى بَأْســـاً مُـرِيعاً ... تُـــحَطَّمُ دُونَـــهُ السُّـــمْرُ الرِّمـاحُ

وأَصْـــحَرَ بِـالحَقِيقَةِ فـي قَـرِيضٍ ... عَـــلَيهِ الحَـــقُّ يَـطْفَحُ وَالصَّـلاحُ

⊂

ثمّ قال: «أَبْشِرْ يا هذا، إنّ الله ألهمني أنّ ولداً يخرجُ من صُلْبِكَ هو وليُّ الله، اسمه (عليٌّ) فإنْ أدركتَه فَأَقْرِئْهُ منّي السلام».

فقال عليه السلام: ما بُرهانه؟

قال: ما تُريد؟

قال: طعامٌ من الجنّة، في وقتي هذا.

فدعا الراهب بذلك، فما استتمّ دعاءه[1] حتّى أُتي بطبقٍ عليه من فاكهة الجنّة رطبٌ وعنبٌ ورمّانٌ.

➲ صَرِيخَةُ هاشِمٍ في الخَطْبِ لٰكِنْ ... تُـــزَمُّ لِـــنَيْلِهِ الإِبِـــلُ الطِّـــلاحُ
أَخُـو الشَّـرَفِ الصُّـراحِ أَقـامَ أَمْـراً ... حَـــداهُ لِـــمِثْلِهِ الشَّـرَفُ الصُّـراحُ
فَـــلا عـــابٌ يُـــدَنِّسُهُ ولٰكِـــنْ ... غَـــرائِـزُ مـا بَـرِحْنَ بِـهِ سِـجاحُ
فَـــعِلْمٌ زانَـــهُ خُـــلُقٌ كَـــرِيمٌ ... ودِيـــنٌ فِـــيهِ مَشْـــفُوعٌ سَـــمَاحُ
وَمِـــنْهُ الغَـــيْثُ إِمَّـا عَـمَّ جَـدْبٌ ... وَفـــيهِ الغَـــوْثُ إِن عَـمَّ الصِّـياحُ
مَـــناقِبُ أَعْـــيَتِ البُـــلَغاءَ مَـدْحاً ... وَتَـــنْفَدُ دُونَـــها الكَـــلِمُ الفِـصاحُ

* * *

وَصَـــفْوُ القَـــوْلِ أَنَّ أَبـــا عَـــلِيٍّ ... لَـــهُ الدِّيـــنُ الأَصِـــيلُ ولا بَـراحُ
ولٰكِـــنْ لابْـــنِهِ نَـــصَبُوا عَـــداءً ... وَمـــا عَـــنْ حَـيْدَرٍ فَـضْلٌ يُـزاحُ
فَـــنالُوا مِـــن أَبـيهِ وَمـا المَـعالي ... لِكُـــلِّ مُـــحاوِلٍ قَـــصْداً تُـــباحُ
وَضَـــوءُ البَـــدْرِ أَبْـلَجُ لا يُـوارَى ... وَإِن يَكُ حَـــوْلَهُ كَـــثُرَ النِّـــباحُ
«وَهَـــبْني قُـلْتُ: إِنَّ الصُّـبْحَ لَـيْلٌ» ... فَـهَل يَـخْفَى لِـذِي العَيْنِ الصَّباحُ؟
فَـــدَعْ بِـــمَتاهَةِ التَّـــضْلِيلِ قَـوْماً ... بِـــمُرْتَبَكِ الهَـــوى لُـــهُمُ التِـياحُ
فَـــذا شَـــيْخُ الأَبـاطِحِ فـي هُـداهُ ... تُـــصافِقُهُ الإِمـــامَةُ والنَّـــجاحُ
أَبُـــو الصِّـــيدِ الأَكـارِمِ مِـن لُـؤَيٍّ ... مَـــقادِيمٌ جَـــحاجِحَةٌ وِضـــاحُ
لَـــهُمْ كَأَبِـــيهِمُ إِن جـــالَ سَـــهْمٌ ... لِأَهْـــلِ الفَـــضْلِ فـــائِزَةٌ قِـداحُ

(المؤلّف)

(١) في المصدر: كلامه.

فتناولَ رمّانةً، فتحوّلتْ ماءً في صُلبه، فجامعَ فاطمة[١]، فحملت بعليٍّ، وارتجّت الأرضُ، وزلزلتْ بهم أيّاماً، وعَلَّت قريشٌ الأصنامَ إلى ذِروة أبي قُبيس فجعلَ يرتجّ ارتجاجاً، حتّى تَدَكْدَكَتْ بهم صُمّ الصخور، وتناثرتْ وتساقطتْ الآلهةُ على وُجوهها.

فصعدَ أبوطالب الجبلَ وقال: «أيُّها الناسُ، إنّ الله قد أحدثَ في هذه الليلة حادثةً، وخلقَ فيها خلقاً، إنْ لم تُطيعوه وتُقرّوا بِولايته، وتشهَدُوا بإمامته[٢]، لم يَسْكُنْ ما بكُم»، فأَقرّوا به. فرفعَ يدَه، وقال: «إلهي وسيّدي، أسألُك بالمحمّديّة المحمودة، وبالعلويّة العالية، وبالفاطميّة البيضاء، إلّا تفضّلتَ على تِهامة بالرأفة والرحمة».

فكانت العربُ تدعو بها في شدائدها في الجاهليّة، وهي لا تعلمُها.

فلمّا قربت ولادتُه أتتْ فاطمةُ إلى بيت الله، وقالت: «ربِّ إنّي مؤمنةٌ بك، وبما جاءَ من عندك من رُسُلٍ وكُتُبٍ، مصدّقةٌ بكلام جدّي إبراهيم، فبحقِّ الذي بنى هذا البيتَ، وبحقّ المولُود الذي في بطني، لمّا يسّرتَ عليَّ وِلادتي».

فانفتحَ البيتُ ودخلتْ فيه، فإذا هي بحوّاء، ومريم، وآسية، وأُمّ موسى، وغيرهنّ، فصنعنَ مثل ما صنعنَ برسول الله صلّى الله عليه وآله، وقتَ ولادته.

فلمّا وُلِدَ سجدَ على الأرض وهو يقولُ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّداً رسولُ الله، وأشهدَ أنّ عليّاً وصيُّ محمّدٍ[٣]، بمحمّد يختمُ الله النبوّةَ،

---

(١) هي فاطمة بنت أسد.

(٢) الظاهر أنّ الإ مام كانَ المتفاهم منه يوم ذاك. (المؤلّف)

(٣) يوعز سلام الله عليه بهذه الشهادة إلى أهمّيّة الإذعان بالولاية، ومبلغه من حقيقة الإيمان، حتّى إنّ

وبي تتمّ الوصيّةُ[١]، وأنا أميرُالمؤمنين».

ثمّ سَلَّم على النساء، وسألَ عن أحوالهنّ، وأشرقت السماءُ بضيائه. فخرجَ أبوطالب يقول: «أبشروا، فقد ظَهَرَ وليُّ الله، يختمُ به الوصيّين[٢]، وهو وصيُّ نبيّ ربِّ العالمين»[٣]، ثمّ أَخَذَ عليّاً فسلّم عليهِ عليه[٤]، فسأله[٥] عن النسوة، فذكر له.

ثمّ قال: «فالحق بالمثرم»، وخبّره بما رأيت، فإنّه في كهف كذا من جبل لُكام[٦].

فخرجَ حتّى أتاه، فوجدَه ميّتاً، جسداً ملفوفاً في مدرعةٍ، مُسَجًّى، فإذا هُناك

➲ نفس أميرالمؤمنين الذي هو حقيقته، ومنبثق أنواره، لا يدع الاعتراف بها في سياق الشهادتين. وهذا الحديث يؤكّد ما ورد من الأمر بالشهادة بالولاية عقيب الشهادة بالتوحيد والرسالة مطلقاً، ويتمسّك بإطلاقه حتّى في الأذان والإقامة، فيؤتى بين فصولهما بنيّة القربة المطلقة.
ليس من البدع كلامه عليه السلام حينئذٍ إلّا بعد ما علم من فضل الله عليه، وقد سبقته قصّة عيسى ويحيى، وهما دون أميرالمؤمنين في الفضل. (المؤلّف)

(١) التمام هو الكمال لا الختم، فلا يرادُ أنّه أوّل الأوصياء، فكيفَ يكون به تمام الوصيّة؟! (المؤلّف)

(٢) المراد به حلقات وصايات الأنبياء، فإنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله، خاتم الأنبياء، وبوصيّهِ تختمُ الوصاية. وإن كان هو في أوّل عقدها. (المؤلّف)

(٣) فيه شهادة أبي طالب بالنبوّة قبل البعثة، كشهاداته المتواترة عقيبها نظماً ونثراً. ولكن هنالك قلوباً عمياً طبعَ اللهُ عليها، تديف السُمّ في الدَسم:

وما ضَرّ مَجدَ أبي طالبٍ عَدُوّ لغى أو جَهُولٌ تعامىٰ

(المؤلّف)

(٤) هذا وأمثاله كالإرهاصات النبويّة، ممّا تؤكّد الحجّة لهما يوم صَدَعا بالأمر، وأظهرا الدعوةَ إلى الله. (المؤلّف)

(٥) يعني سأله أبوطالب. (المؤلّف)

(٦) جبل لكام، كغُراب ورمّان، يُسامت حماة وشيزر وأفامية، ويمتدّ شمالاً إلى صهيون والشغر وبكاس، وينتهي إلى مكّة، شرّفها الله تعالى. (المؤلّف)
انظر القاموس المحيط ٤: ١٧٧ مادّة «لكم». وفي المصدر: إكام.

حيّتان، فلمّا بصرتا به غَرُبتا في الكهف[١].

فدخل أبوطالب، فقال: «السلامُ عليك يا وليَّ الله ورحمة الله وبركاته»، فأحيى اللهُ المثرم، فقامَ يمسحُ وجهه، ويقول: «أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، وأنّ عليّاً وليُّ الله والإمام بعد نبيّ الله»[٢].

فقالَ أبوطالب: «أبشر، فإنّ عليّاً قد طَلَعَ إلى الأرض»، فسألَ عن ولادته فقصَّ عليه القصّة، فبكى «المثرم»، ثمّ سجدَ شُكراً، ثمّ تمطّى فقال: «غطّني بمدرعتي».

---

(١) فيه بُخوع الملأ الروحيّ لأبي طالب عليه السلام، وفيما بعدَه الكرامة الكبرى، إذ أحيى الله سبحانه له (المثرم) بعدَ وفاته. وفي الكلّ له ما لا يقفُ على حدّ من الفضل والشرف. وكراماته سلام الله عليه، كثيرةٌ، وموقفُه من الرفعة دونَه هامُ السُهى، فضائله مبثوثة في تضاعيف الكتب، والكتب المستقلّة لنظم جُمانها، ككتاب السيّد فخّار بن معد الموسوي وغيره، وللبرزنجي في ذلك كتاب، كالسيّد أحمد زيني دحلان مفتي مكّة، وبالأمس طبع كتاب «مواهب الواهب» للبارع الشيخ جعفر نقدي، وكتاب للعلّامة السيّد محمّد علي شرف الدين العاملي. إلى كثير غيرها. (المؤلّف)

(٢) إنّ تجسّم الأعمال يوم القيامة وفي البرزخ كتجسّم بعض الأيّام، وتجسّم القرآن، والموت ممّا تظافرت به الأنباء عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهل هو قسمها بأنفسها*؟ أو أنّ الله سبحانه يخلق بإزاء كلّ عمل صوراً وقوالب تؤنس العامل وتحرسه، أو تؤذيه وتؤلمه، إن خيراً فخير، أو شرّاً فشرّ، فيطلق أنّها أعماله من باب التوسّع الشائع؟ وجهان لا غضاضة بكلّ منهما. ربّما يتريّث في الإ ذعان بالأوّل بعض الرجرجة لاستحالة تقرّره فضلاً عن الأَعْراض غير القارّة، لكنّه لا يلبث بعد أن أمعن النظر في مجاري الطبيعة ومظاهرها المشهودة (كالحاكي) ونحوه إلّا وهو يجد ملتحداً من القول بإمكانه، فإذا كان لذلك مسرح في غيابة هذا الجُب الظلماني بأفكار محدودة، ومعارف لم تبلغ المدى، فما باله تتقلّص جلدة وجهه إذا أسند مثله إلى باري الطبيعة، وسنن نواميسها بطقوس هي فوق هذه الأعلام والصّوى. وللعقل تصوير ذلك ومجاريه، وما كان (أديسن) ببدع من الأُمم في اختراع (الحاكي). (المؤلّف)

* ربّما استأنس بعضهم لذلك بقوله صلّى الله عليه وآله: «تلك أعمالهم رُدّت إليهم»، لكنّه استرسل في القول إلى ما لا نرضاه ممّا لا يسعه نطاق البحث الآن. (المؤلّف)

فغطّاه، فإذا هو ميّتٌ كما كان.

فأقامَ أبوطالب ثلاثاً، وخرجت الحيّتان، وقالتا: «السلامُ عليك يا أبا طالب، الحق بوليِّ الله، فإنّك أحقُّ بصيانته وحفظه من غيرك».

فقال: من أنتما؟

قالتا: نحنُ عملُه، نذبُّ عنه الأذى إلى أن تقوم الساعةُ، فحينئذٍ يكون أحدُنا سائقَهُ، والآخرُ قائدَهُ إلى الجنّة.

فانصرفَ أبوطالب(١).

وهذا الحديث رواه الشيخ أبو عليّ محمّد بن أحمد بن عليّ الفتّال النيسابوريّ في «روضة الواعظين» عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله صلّى الله عليه وآله(٢).

والشيخ شاذان بن جبرئيل القُمّي في كتاب «الفضائل» عن الحسن بن أحمد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن محمّد بن إسماعيل الفارسي، عن عمرو بن روق الخطابي، عن الحجاج بن منهال، عن الحسن بن عمران، عن شاذان بن العلاء، عن عبدالعزيز بن عبدالصمد، عن سالم، عن خالد، عن أبي السرِيّ، عن جابر(٣).

ومؤلّف كتاب «جامع الأخبار» بالإسناد الصحيح، عن الصدوق، عن العطّار، عن أبيه، عن عبدالعزيز بن عبدالصمد، عن مُسلم بن خالد، عن جابر(٤).

وفي الرواية بهذه الأسانيد اختلافات في اللفظ.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) انظر روضة الواعظين: ٧٧ ـ ٨١.

(٣) انظر الفضائل، لشاذان بن جبرئيل القمي: ٥٤ ـ ٥٩.

(٤) انظر جامع الأخبار: ١٥.

حديثُ الولادة والشعراء

عرفتَ أنّ الحديث الشريف بلغَ من الشهرة والثبوت بحيث لا يسعُ أيّ متعنِّت إنكاره، ولذلك احتجّ به فريقٌ كبيرٌ من المحقّقين في كتب الإمامة، وأرسله إرسال المسلّمات جموعٌ من نياقد فنّ الحديث في باب الفضائل، وتبجَّحَ به زُرافاتٌ من حَمَلَة العلم ونُقّاده في مؤلّفاتهم، وهنالك لفيفٌ لا يُستهان بِعدّتهم، ولا يُغْمَزُ في شيء من تثبُّتهم وضَبْطِهم من صيارفة القول، وصاغةِ القَريض، وزُبناء الشِّعْر، بين عالم ضليعٍ، وأديبٍ بارع، وشاعر مبدعٍ، تصدَّوا لإثبات هذه الفضيلة فيما أفْرغوه في بُوتَقَة النظم، أو حاكوه على نَوْلِ[1] الحقيقة، فسارَ ذكرُها مع الرُّكْبان، وانتشرَ نَشْرُهُ مع مَهبّ الريح، كما مَرَّ عن الحِمْيَري، والسَّرخسي، والشَـفَهيني، والحـرّ العاملي، والأُفْتُوني، وغيرهم.

وإليك ذكر آخَرين منهم، وهم كما وَصَفْناه لكَ من المكانة الراسيةِ من العلم والأدب:

---

(١) النَّوْل: خشبة الحائك أو آلته التي ينسج عليها.

١ ـ قال العلّامةُ الكبير الورعُ الشيخ حسين نجف، المتوفّى ١٢٥١، من قصيدة علويّة مثبتةٍ في ديوانه المخطوط:

[من الخفيف]

جـــــعلَ اللهُ بـــــيتَه لعـــــليٍّ ... مَـــوْلِداً يـــا لَـــهُ عُـــلاً لا يُـضاهَىٰ
لم يُشـــــارِكْه فـــــي الوِلادة فـــيهِ ... سَـــــيِّدُ الرُّسْـــــلِ لا ولا أَنـــبياها
عَـــــلِمَ اللهُ شَـــــوْقَها لِـــعَلِيٍّ ... عـــلمه بـــالذي بـــهِ مِـــنْ هـــواهـــا
إذْ تَـــــمَنَّتْ لِـــــقاءَهُ وتـــمنّىٰ ... فأَراهـــــــا حَـــــبِيبَها ورآهـــا
مـــا ادّعـــىٰ مُـــدَّعٍ لذلك كَـــلّا ... مَن تَرى في الورىٰ يَـرُومُ ادّعـاها؟!
فـــاكْـتَسَتْ مكّـــةٌ بـــذاكَ افْـتخاراً ... وكـــذا المَشْـــعَران بـــعدَ مِـــناها
بَـــلْ بـــه الأرضُ قـــد عَـــلَتْ إذْ حَـوَتْهُ ... فَـــغَدَتْ أرضُـــها مَـطافَ سَـــماها
أَوَ مـــا تَـــنْظُرُ الكَـــواكبَ لَـــيلاً ... ونـــهاراً تَـطُوفُ حَـوْلَ حِـماها؟!
وإلى الحشـرِ فـي الطـواف عـليه ... وبِـــذاكَ الطَّـــواف دام بـــقاها[1]

(١) ديوان الشيخ حسين آل نجف: ٨٧ ـ ٨٨، بتحقيق الشيخ قيس العطّار.

٢ ـ وللمولى محمّد مسيح المعروف بـ«مَسِيحا» الفَسَويّ الشيرازي، المتوفّى سنة ١١٢٧، من قصيدة يمدح بها أميرَالمؤمنين عليه السلام:

[من البسيط]

ما كانَ رَبّاً ولكن ليسَ من بَشَرٍ ولَيْسَ يَشْغَلُهُ شأنٌ عن الشَّانِ
هو الذي كانَ بيتُ الله مولِدَهُ فطهّر البيتَ من أرجاسِ أوثانِ
هو الذي مِن رسولِ اللهِ كانَ لَهُ مقامُ هارون من مُوسى بنِ عِمْرانِ
هوالذي صارَ عرشُ الربِّ ذا شَنَفٍ[1] إذ صار قُرطيْهِ إبْناهُ الكريمانِ

وهو من أعاظم عُلماء الشيعة، جمعَ المعقول والمنقولَ، من تلمذة المحقّق الخوانساري، ترجَمهُ وأثنى عليه الشيخ علي الحزينُ في «تذكرته»[2]، والميرزا محمّد علي الهندي في «نجوم السماء»[3]، والعلّامة الأميني المعاصر في «الغدير في الكتاب والسنّة والأدب»[4].

(١) الشنف: الذي يلبس في أعلى الأُذن، والذي في أسفلها القُرط.

(٢) تذكرة الشعراء المعاصرين: للشيخ محمّد علي الشهير بعلي بن أبي طالب الحزين الزاهدي الكيلاني الإصفهاني المدفون ببنارس الهند في ١١٨١، ذكر فيه ترجمة نفسه وبعض مشايخه وجملة من معاصريه. انظر الذريعة ٤: ٣٨/ الرقم ١٣٨. والشيخ علي الحزين من تلامذة محمّد مسيح.

(٣) انظر نجوم السماء: ١٩٥ ـ ٢٠١.

(٤) انظر ترجمته في الغدير ١١: ٣٧٢.

٣ ـ وللعلّامة المدرّس السيّد نصرُ الله الحائري الشهيد سنة ١١٥٤، من قصيدة علويّة ما نَصُّهُ ـ ويوجد في ديوانه المخطوط[١] ـ:

[من السريع]

مَـنْ شُـرِّفَ البـيتُ بـميلاده وحِـــجْرُهُ والحَـجَرُ الأنـورُ

وقد صَفا عَيْشُ الصفا فيهِ والْـ ـمَرْوة أضحَتْ بالهَنا تَخْطُرُ[٢]

والرجلُ من أعاظم علماء الشيعة، له في المعاجم تراجمُ ضافيةُ الذيول، وثناءٌ بليغٌ، وتجد ترجمته المبسوطة في كتاب «شُهداء الفضيلة» للعلّامة المعاصر الأميني.

(١) طبع أخيراً سنة ١٣٧٣ في النجف الأشرف، وقدّم له سماحة الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء المتوفّى ١٣٧٣، ويحتوي على ٢٥٧ صفحة، بإشراف المرحوم الحاج الميرزا عبّاس الكرماني المتوفّى ١٩ صفر سنة ١٤٠٣ المصادف ١٩٨٢/١٢/٤ م.
وقد حقّقنا سنة وفاة السيّد نصر الله في (المختارات من الشعر).

(٢) البيتان في ديوانه: ١٢.

٤ ـ وقال حاملُ لواء الفضيلة والشرف، الشريفُ الرضي محمّد بن فَلاح الكاظمي في قصيدته الكرّاريّة، المُربية على أربعمائة بيت، المُقرَّظة من ثمانية عشر رجلاً من عُلماء عصره وأُدبائه نظماً ونثراً:

[من الكامل]

وَلَدَتْهُ فاطمةٌ ببيت اللهِ يا ... طُوبىٰ لِطاهرة أتتْ بِمُطَهَّرِ

ونشا بِحِجْر المصطفى طِفْلاً فأدْ ... دَبَهُ بآدابِ العَليِّ الأكْبَرِ

لولاهُ ما طافَ الحَجِيجُ بهِ وذا ... كَ الهَدْي لولا سَيْفُهُ لم يُنْحَرِ

قد كانَ أَوَّلَ طائفٍ فيهِ ومُعـ ... ـتَكِفٍ بهِ ومُحَلِّقٍ ومُقَصِّرِ

عَقُمَتْ فلمْ تَلِدِ الحرائرُ مثلَه ... بَلْ قد عَقُمْنَ فلمْ يَلِدْنَ كَقَنْبَرِ

٥ ـ وقال الشاعر المفلق الميرزا عبّاس الدامغاني المتخلّص بـ (نشاط) الهزارجريبي الدامغاني، المتوفّى سنة ١٢٦٢:

[مجزوء الدوبيت]

ای زادهٔ تو میان کعبه از مادرِ پاکْ جانِ کعبه
ای کعبه شَرف گرفته از تو نه تو شَرف از میان کعبه
ای بندهٔ خانه زاد ایزد وی خواجهٔ بندگان کعبه
ای قدوهٔ خاندان طه ای نخبهٔ دودمان کعبه
ای از شَرفِ ولادتِ تو طوقی که بر آستانِ کعبه

٦ ـ وقال البارعُ المفضالُ الشيخ حسينُ بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن محمّد التقي ابن بهاء الدين الفُتوني الهَمْداني العاملي الحائري في أُرجوزته المسمّاة بـ«الدَّوْحة المهديّة» في تواريخ أئمّة الهدى عليهم السلام، وفرغ منها سنة ١٢٧٨، وعن خَطّه نقلتُ:

[من الرجز]

وفي ضُحى الْجُمْعةِ قد تَوَلَّدا ... مُطَهَّراً مُكَرَّماً مُسَدَّدا
وكانَ ذا في كعبةِ الرَّحمنِ ... لسَبْعَةٍ خَلَوْنَ من شَعْبانِ
وقد رُويْ أنّ الإمامَ المُنْتَجَبْ ... مولِدُهُ ثالثَ عَشْرٍ مِن رَجَبْ
وقيلَ: في الثامِنِ مِنْهُ وُلِدا ... وذا ضَعيفٌ لم يَكُنْ مَعْتَمَدا
وقد رَوَوْا: في رَمَضانٍ مَوْلِدُهْ ... في النِّصفِ منهُ كانَ يُرْوَى سَنَدُهْ
مَولِدُه بعدَ ثَلاثِينَ سَنَهْ ... من مَوْلِدِ النبيّ يَقْفُو سُنَنَهْ

٧ ـ وللعلّامة السيّد محمّد تقي القزويني، من عُلماء عصر شيخ الطائفة الإمام الأنصاري، من أُرجوزةٍ له، قوله:

[من الرجز]

بـــعدَ النـــبيّ ســـيّدِ المَـــوالي بِـــنَصِّهِ هُـــوَ العَـــلِيُّ العـــالِيْ
هُـــوَ الذي مَـــوْلِدُهُ البـــيتُ وَفـــي حِجْرِ النبيّ المُصْطفىٰ قَد اصْطُفِيْ

٨ ـ ولسيّد فلاسفة الإسلام السيّد محمّد باقر بن محمّد الحسيني الاسترآبادي الشهير بـ«الداماد» المتوفّى سنة ١٠٤١ أبيات فارسيّة، ضمّنها قصّة الميلاد الشريف بكلّ صراحة، منها قوله:

[من الدوبيت]

كالدُّرِّ وُلِدْتَ يا تَمامَ الشَّرَفِ ... في الكعبةِ واتَّخَذْتَها كالصَّدَفِ
ما استقبلَها الوُجُوهُ يوماً إلَّا ... والكعبةُ وَجْهُها تِجاهَ النَّجَفِ

[من الدوبيت]

در مرحلهٔ علی نه چون است و نه چند ... در خانهٔ حق زاده بجانش سوگند
بی فرزندی که خانه زادی دارد ... شک نیست که باشدش بجای فرزند

وله قدّس سرّه:

[من الدوبيت]

در کعبهٔ «قُل تَعالَوا» از مام که زاد؟
از بازوی «باب حِطّه» خیبر که گشاد؟
بر ناقهٔ (لا یؤدّي عنّي) که نشست؟
بر دوش نبی پای گرامی که نهاد؟

٩ ـ وقال الشاعر الفارسي المفلق محمّد اليزدي الملقّب في شعره بـ«جيحون»، والمتوفّى حدود سنة ١٣١٨[١]:

از كنز نهائی است كـنون كـعبه مشـرّف
كز اوست عيان سرّ «فأحببتُ أن أُعرف»
زين كنز خفی طنز جلی زد بفلک ارض
كش خاک بشد پاک چو افلاک مشرّف
ذرّات بكـرّات چـو افـواج كـه از حـاج
بستند و گشادند پی طوف حـرم صَـف
عقل آمد و «لبّيک» زنان حـلقه بـدر زد
تـا چـون بـود احـباب ورا بـاز مكـلّف
شاهِ همه او بود چو او پـرده بـر افكـند
هر ذرّه برش بنده صفت گشت مـوقّف

(١) وطبع ديوانه سنة ١٣١٠ في بمباي. (المؤلّف)

١٠ ـ وقال الشاعر الفارسي المجيد المولى رضا ابن المولى محمّد الرشتي الملقّب في شعره بـ «محزون» في مثنويٍّ له:

باز خواهم دُر فشانی سَر کنم　　یاد از شیر خدا حیدر کُنم
چون خداوند رحیمش یاد شد　　کعبه یکجا مطلع الأنوار شد
از کریم لا یزالی شد کرم　　مادرش آورد بیرون از حرم
در بغل آن کعبهٔ مقصود را　　برد سوی خانه آن مولود را

١١ ـ وقال الحاج محمّد خان الفارسي الملقّب في شعره بـ «دشتي» من أُمراء العهد الناصري، المتولّد سنة ١٢٤٦ في ديوانه المطبوع، من بائيّة علويّة سمّاها «فصل الخطاب»:

كعبه مى‌بايد كه مُحرِم آيد اندر اين حرم
با سر و پاى برهنه گشته عريان از ثياب
صاحب اين خانه در آن خانه خود خانه خدا است
كان بنا از بهر مولودش خدا كرد انتخاب

١٢ ـ ولعلّامةِ فِـهْر ونـابغة مُـضَر، الحـجّة الظـاهرة، والآيـة البـاهرة، السـيّد إسماعيل[١] ابن عَمّ الإمام المُجدّد الشيرازيّ الأمير السيّد رضي قدّست أسرارهم، المتوفّى سنة ١٣٠٥، موشّحةٌ في مولد الإمام عليه السلام، يروقُني إيرادها هاهنا، وهي من القصائد السائرة، قال:

[من الرَّمل]

رَغِـــدَ العـــيشُ فـزِدْهُ رَغَـدا بسُـــلافٍ مـــنكَ تَشْـفي سَـقَمِي
طَرِبَ الصَّبُّ على وَصْلِ الحبيبْ وهَـنا العـيشُ عـلى بُـعدِ الرَّقـيبْ
وفِّني من أَكْـؤُسِ الراحِ النَّـصيبْ واسْـــقِنيها تَـــوْأَماً لا مُـــفْرَدا
فـــالهَنا كـــلُّ الهَـــنا فـــي التَّـــوْأَمِ

* * *

آتِـــني الصَّـــهْباءَ نـــاراً ذائِـــبهْ كـــــلَّلْتها قَـــبَساتٌ لاهِـــبَهْ

---

(١) هو العيلم العلم، نابغة العترة الطاهرة، حجة الإسلام، وآية الله الملك العـلّام، ابـن عـمّ سـيّدنا المجدّد الإمام الأعظم آية الله العظمى السيّد الشيرازي طاب ثراه، وصهره على شقيقته، وأفضل تلمذته باتّفاق منهم. فكان رحمه الله مقصداً لآمال بعد ابن عمّه، والمنحصر فيه الأمر إن عاش بعده. على ذلك انعقدت الضمائر، وكان ينص به الإمام المجدّد حتّى غلب عليه حكم المقادير فخالسه القضاء الحاتم في ١٠ شعبان سنه ١٣٠٥ عن ست وأربعين عاماً بعد عمره، فخسره العلم والعمل، خسره الأدب والكمال، خسرته الأمّة والآمال. ولو جـمع مـا قـيل فـيه مـدحاً ورثـاءً لفطاحل شعراء ذلك العصر النُّوري لجاء منه ديوان ضخم، كما أنّ فـضائله الجـمّة لو جـمعت لعادتْ كتاباً ممتعاً، وشعره الذهبي باللسانين: العربي والفارسي، يؤلَّف منه ديوان. خلفه على فضائله علماً وأدباً، ولده العلّامة حجّة الإسلام السيّد الميرزا عبد الهادي دام ظلّه، المولود عام وفاة أبيه. (المؤلّف). نقلاً عن مجلّة الرضوان الهنديّة لسنتها الثانية، العدد ٧، الصفحة ٢.

واسْـــقِنيها والنَّـدامَـىٰ قـاطِبَهْ فَـــلَعَمْرِي إِنَّـــها رِيُّ الصَّـدَىٰ
لِـــــفُؤادٍ بـــالتَّصَابِي مُـــضْرَمِ

* * *

ما أُحَيْلَى الرَّاحَ من كَـفِّ المِـلاحْ هِـيَ رَوْحٌ هِـيَ رَوْحٌ هِـيَ راحْ
فأَدِرْهـــا فـــي غُـــدُوٍّ ورَواحْ كـــذُكـاءٍ تـتجلّىٰ صَـرْخَدا[1]
رَصَّـــعَتْها حَـــبَبٌ كـــالأَنْجُمِ
حَـــبَّذا آنـــاءُ أُنْسٍ أَقْـــبَلَتْ أدركَتْ نَـفْسي بِـها مـا أَمَّـلَتْ
وَضَـعَتْ أُمُّ العُـلا مـا حَـمَلَتْ طـابَ أَصْـلاً وتَـعالَى مَـحْتِدا
مـــــالِكاً ثِـــقْلَ وِلاء الأُمَـــمِ

* * *

آنَسَتْ نَـفْسي مـن الكـعبةِ نُـورْ مِـثْلَ مـا آنَسَ مُـوسىٰ نـارَ طُـورْ
يومَ غَشَّـى المَـلأَ الأعـلىٰ سُـرُورْ قَـــرَعَ السَّـــمْعَ نـــداءُ كَـنِدا
شـاطئِ الوادِي طُـوَىٰ مِـنْ حَـرَمِ

* * *

ولدتْ شمسُ الضُّحىٰ بَدْرَ التَّمامْ فـانْجَلَتْ عَـنَّا ديـاجِيرُ الظَّـلامْ
نـادِ: يـا بُشـراكُـمُ هٰـذا غُـلامْ وَجْـــهُهُ فِـــلْقَةُ بَـدْرٍ يُـهتَدَىٰ
بِسَـــنا أَنـــوارِهِ فـــي الظُّـلَمِ

* * *

(١) صرخد: موضع ينسب إليه الشراب، واسمٌ للخمر.

هٰـــذه فـــاطمةٌ بِـــنْتُ أَسَـدْ أقبلَتْ تَـحمِلُ لاهُـوتَ الأَبَـدْ[١]
فـاسْجُدوا ذُلّاً لَـهُ فِـيمَنْ سَـجَدْ فَـلَهُ الأمـلاكُ خَـرَّتْ سُـجَّدا
إذْ تـــجلَّىٰ نُـــورُهُ فـــي آدَمِ

* * *

كُشِفَ السِّـتْرُ عـن الحَـقِّ المُـبِينْ وتَـجَلَّى وَجْـهُ ربِّ العـالَمِينْ[٢]

---

(١) (..لاهوت الأبد).

ممّا لا يخامرُه الشكُّ أنّ كلّ ما في عالم الوجود براهين إنّيّةٌ على إثبات الصانع جَلّت قدرتُه، ومن الضروريّ أنّ الدلالة المذكورة مقولةٌ بالتشكيك بينَ أجزاء العالم، فمِنْها ما هو أدلّ بلحاظ ما فيه من مَزايا وخُصوصيّات وعجائب من بدايع الصنع، فمهما كانَ الفردُ أكمل، فهو على وجود مبدعه أدلُّ.

وإنّ ممّا لا يختلفُ فيه اثنان: أنّ أميرَالمؤمنين عليه السلام كابن عمّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أكملُ أفراد البشر، وأفضلُ من تقمّص الوجود من نبيّ مرسل، أو ملك مُقرّب، أو غيرهما، فكلٌّ منهما أكبر الأدلّةِ على وُجود الباري سبحانه.

فليسَ إذاً من البِدْع أنّ فاطمةَ لمّا أتتْ وهيَ حاملٌ بابنها عليّ عليه السلام، فهي كانتْ تَزُفُّ إلى عالم الناسوتِ اللاهوتَ المثبت بذلك البرهان القاطع. (للمؤلّف في مجلّة الرضوان الهنديّة، لسنتها الثانية، عدد ٧)

(٢) (وتجلّى وَجْهُ ربّ العالمين).

تكرّر فيما يؤثر عن العترة الطاهرة عليهم السلام وصفُ أميرالمؤمنين عليه السلام بأنّه: عينُ الله الناظرة، ويدُه الباسطة، وأُذنه الواعية، ولسانهُ المعبّرُ عنه في بَرِيّته، وأنّه جنبهُ القويّ، ووجهُهُ المضيءُ.

ليسَ القصدُ منه إثبات الجوارح للّه سبحانَه، بل التوسُّع في التعبير بها عن أنواع من آثار القُدرة التي تصدُر في العالم البشريّ عن تلك الجوارح.

فأميرُالمؤمنين عليه السلام من أكبر مَظاهر قُدرة الله سبحانه، ربّما أنّه حلقة الاتّصال بينَ الخلق والمبدأ الأعلى، يصدُرُ عنه من آثار قدرته تعالى ما يُناسب أن يُنال باليد من عَطاء وبَطْش، أو

وَبَـدا مِـصْباحُ مِشْكـاةِ اليَـقِينْ وبَـدَتْ مُشرِقةً شَـمْسُ الهُـدَى
فـانْجلىٰ ليـلُ الظَّـلامِ المُـظْلِمِ

* * *

نُسِـخَ التَّأْبِـيدُ مـن نَـفْي تَـرَىٰ فأَرانـــا وجْـــهَهُ ربُّ الوَرىٰ
ليتَ مـوسىٰ كـانَ فِـينا فـيَرىٰ مـــا تَـــمنَّاهُ بِـــطُورٍ مُـجْهَدا
فـــانْثَنىٰ عـــنهُ بِكَـفَّيْ مُـعْدِمِ

* * *

هـلْ دَرَتْ أُمُّ العُـلا مـا وَضَـعَتْ أَمْ دَرَتْ ثَدْيُ الهُدىٰ ما أَرْضَعَتْ؟
أَمْ دَرَتْ كَـفُّ النُّـهىٰ مـا رَفَـعَتْ أَمْ دَرىٰ ربُّ الحِـجَى مـا وَلَـدا؟
جَـــلَّ مَـــعْناهُ فَـــلمَّا يُـــعْلَمِ

➲ يصدُر عن العين من الشهادة على الخلق والخبرة بأعمالهم، والإحاطة بعلم ما يرجعُ إليهم، أو تحيط به الأُذن من سماع دعوة الداعِي، وصَرْخة المُسْتَجِير، أو يُنَبِّئُ عنه اللسان من بيان الحقيقة، وبثّ العرفان، وإلقاء الحكمة، والتعليم بالأحكام، أو يتوجّه إليه فيما يتقبّلُ به الوجه من الاستماحة، وطلب العلم، والوفر، وخير الدنيا والآخرة، فهو عليه السلام وجهُ الله بهذا المعنى، كما في هذا الدَّوْر وما بعده.

وقد جاء في القرآن المجيد إطلاق اليد والوجه لنحوٍ ممّا ذكرناه، قال سبحانه: ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾، وقال: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾، إلى غيرهما.

وإطلاق هذه الألفاظ على المتزلّف إلى مَلِكٍ أو كبيرٍ برابطٍ قريب، شائعٌ دائر.

ونسخُ التأبيد في (نفي تَرى) إشارة إلى ما تخصّصه بالرؤية الحقيقيّة، وانحيازه عن رؤية مثل هذا الوجه التنزيلي، وتسميته نَسْخاً لتوهّم العموم بادئ بدء.

فولادتُه سلامُ الله عليه، وهو وجه الله التنزيليّ مرئيّاً ناسخ لذلك العموم التخيّلي.

وبهذا البيان تعرفُ المَغزى من قوله: (إذ هو الكائنُ للّه يداً) فيما يأتي. (للمؤلّف في مجلّة الرضوان الهنديّة، لسنتها الثانية، عدد ٧)

سَـــيّدٌ فـاقَ عُـلاً كُـلَّ الأنـامْ كـــانَ إذْ لا كـــائنٌ وَهْـوَ إمـامْ
شَـــرَّفَ اللهُ بـهِ البـيتَ الحَـرامْ حِـــينَ أَضْـحَى لِـعُلاهُ مَـوْلِدا
فَـــــوَطا تُـــــرْبَتَهُ بِـــالقَدَمِ

❊ ❊ ❊

إنْ يَكُـــنْ يُـجْعَلُ لِـلّهِ البَـنُونْ وتَـــعالَى اللهُ عَـــمَّا يَـصِفُونْ
فـوليدُ البَـيتِ أَحْـرىٰ أَنْ يَكُـونْ لِـــوَلِيِّ البَـــيْتِ حَـــقّاً وَلَـدا
لا عُـــزَيْرٌ لا ولا ابـــنُ مَـــرْيَمِ

❊ ❊ ❊

هُـوَ بـعدَ المُـصْطَفىٰ خَـيْرُ الوَرىٰ مِنْ ذُرَى العَرْشِ إلى تَحْتِ الثَّرىٰ
قـــد كَسَتْ عَـلْياؤُه أُمَّ القُـرىٰ عِـــزّةً تَـــحْمِي حِـماها أَبَـدا
حـيثُ لا يـدنُوهُ مَـنْ لم يُـحْرِمِ

❊ ❊ ❊

سَبَقَ الكونَ جَـميعاً فـي الوجـودْ وطَـوَىٰ عـالَمَ غَـيْبٍ وشُـهُودْ
كلُّ ما في الكونِ من يُمناه جُـودْ إذْ هُـــوَ الكـــائِنُ لِـــلّه يَـــدا
ويَـــــدُ اللهِ مُـــدِرُّ الأَنْـــعُمِ

❊ ❊ ❊

سَـيّدٌ حـازَتْ بـهِ الفَـضْلَ مُـضَرْ بِـفَخارٍ قَـدْ سَـما كُـلَّ البَشَـرْ
وجـهُهُ فـي فَـلَكِ العَـليا قَـمَرْ فـــبِهِ لا بِـــالنُّجُومِ يُـــهْتَدَىٰ
نَـــحْوَ مَـــغْناهُ لِـــنَيْلِ المَـغْنَمِ

❊ ❊ ❊

هُـــوَ بَـــدْرٌ وذراريـــهِ بُـدُورْ عَـقُمَتْ عـن مِـثْلِهِمْ أُمُّ الدُّهُـورْ
كـعبةُ الوُفّـادِ فـي كُـلِّ الشُّـهُورْ فـــازَ مَـنْ نَـحْوَ فِـناها وَفَـدا
بِـــــمَطافٍ مِـــنْهُ أو مُسْـــتَلَمِ

* * *

وَرِثُـوا العَـلْياءَ قِـدْماً مـن قُـصَيْ ونِـــزارٍ ثُـــمَّ فِـــهْرٍ ولُـؤَيْ[1]
لا يُـــبارَىٰ حَـيُّهم قَـطُّ بِـحَيْ وهُـــمُ أزكَـى البَـرايـا مَـحْتِدا
وإليـــهمْ كُـــلُّ فَـــخْرٍ يَـنْتَمِي

* * *

أَيُّها المُـرْجَىٰ لِقاهُ فـي المَـمَاتْ كُـلُّ مَـوْتٍ فـيهِ لُـقْياكَ حَـياةْ
ليتَ مـا عَـجَّلَ بـي مـا هُـوَ آتْ عَـلَّني أَلْـقىٰ حَـياتي فـي الرَّدىٰ
فـــائِزاً مـــنهُ بِأَوفَـــى النِّـــعَمِ

---

(١) (ونزار ثمّ فهرٍ ولُؤَيْ).
المراد وراثة الشرف القوميّ لا الشخصيّ، فلا يُنافي أنّ قُصَيّاً ومَن بعدَه حازوا الشَّرَفَ والفضلَ الشخصيّين من هذا المولود وصِنوه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكانا كالشرط المتأخّر لمجدهِما، فلا يتوهّم التقهقر في الترقّي بعدَ قوله: (سيّدٌ حازَتْ بـه..). (للمؤلّف في مجلّة الرضوان الهنديّة، لسنتها الثانية، عدد ٧)

١٣ ـ وقال العلّامة الحجّة الفقيه العارف الحاج الميرزا حبيب ابن العلّامة الحاج الميرزا هاشم [ابن الميرزا هداية الله] ابن الآية الباهرة السيّد الميرزا مهدي الشهيد الخراساني، أحد المهادي الأربعة، من تلمذة الوحيد المجدّد البهبهاني، من قصيدة ميلاديّة مثبتة في ديوانه المطبوع:

جشنِ ميلادِ شهنشاهِ زمين و زَمَن استْ
عيدِ مولودِ خداوندِ جهانْ بُوالحسن استْ
خُسروی كان شَرَفِ مولدِ او خانه و حق
قبلهٔ پير و جوانْ سجده‌گهِ مرد و زن است
خانه بی خانه خدا منزل اَغيار بود
كعبه بی او عجبی نيست كه بيت الوثن است
صنم از طاقِ حَرَمْ ريخت چو او سود قدمْ
زانكه دانست كه اين دست خدا بُتْ‌شكن است
اين صنم را كه بر اين در بجبين سود زمين
نه عجب ديدهٔ ارباب نظرْ گرشمن استْ
سود بر دُوش نبی دستِ خدا پای علی
لبْ بِبندمْ كه نه اين مرحله جای سخن است
گر خدا نيست بتحقيق و نی دوشِ نبی
برتر از عرش بصد پايه بنزد فطن است

وله في مقطوعة أُخرى علويّة:

ای که نه گر کِلک تو داری نـظامْ دفـــترِ ایـــجادْ مُـــنظّمْ نـبودْ
کعبه زِمیلادِ تو ایـن رتـبهْ یـافت ورنَـه بـه ایـن پـایه مُـعظّم نـبودْ

والناظم من أعاظم علماء الدين، وفي الطليعة من فقهاء عصره العرفاء، من تلمذة المجدّد الشيرازي، تجد ترجمته في «مطلع الشمس»[١] لصنيع الدولة، وفي «شهداء الفضيلة» و«وفيات الأعلام»[٢].

(١) مطلع الشمس: ٢٥٠.
(٢) طبع الكتاب أخيراً بتحقيق د. ثامر الخفاجي، لكنْ إلى علماء القرن الرابع. وانظر ترجمته في نقباء البشر: ٣٦٣.

١٤ ـ وللشاعر الفارسي المبدع الميرزا نصر الله، الملقّب في شعره بـ«الشهاب» من شعراء العهد القاجاري، من مقطوعة علويّة:

صـــفای مـــروه مـــولود حـــرم آب رخ زمـــزم

که ارکان قبله از حرمت حجر مسجود از اکرامش

تجد ذكر الرجل وشعره في «مجمع الفصحاء»[1] لرضا قلي خان هدايت.

(١) انظر مجمع الفصحاء ٢: ٢٢١.

١٥ ـ وقال علّامة المجاهدين سيّدنا الحجّة السيّد المصطفى بن الحسين الكاشاني[١] النجفي، دفين الكاظميّة، المتوفّى سنة ١٣٣٦، المترجَم في «نقباء البشر»[٢] و«الغدير»[٣] وغيرهما من قصيدة علويّة:

[من الخفيف]

أنتَ شَرَّفْتَ زمزماً والمُصَلَّىٰ بَلْ ورُكْنَ الحطيمِ والمُستجارا
حازَت الكعبةُ التي خَارَها اللّـ ـهُ بِميلادِكَ السعيدِ فَخَارا

(١) ولسيّدنا الكاشاني ترجمة في «الجوهر المنضّد» من هذه الموسوعة.
(٢) نقباء البشر: ٣٧٥.
(٣) ذكره في الغدير ٦: ٣٢، وقال: يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر.

١٦ ـ ولباقعة[١] الفضل والأدب، الميرزا محمّد تقي، التبريزي الشهير بحجّة الإسلام، والملقّب في شعره بـ «نيّر» صاحب كتاب «صحيفة الأبرار» وغيره، المتوفّى سنة ١٣١٢ من لامية علويّة:

[من الخفيف]

سِرْ حَنانيك في البلادِ وباحِثْ ... عن بُطُونِ الكِرامِ جِيلاً فَجِيلا[٢]
فانظرنْ هلْ ترىٰ لِتَيْمِ بن مرٍّ ... أو عَدِيّ يا سَعْدُ فيها مَحَلّا؟
«لا ومَن شَقَّ» جانِبَ البيتِ حتّىٰ ... دَخَلَتْ فيه أُمُّهُ وَهْيَ حُبْلىٰ
فتخلَّتْ عن أَسْجَحِ هاشميٍّ ... بُورِكَتْ حامِلاً وبُورِكَ حَمْلا
وسَما[٣] غارِبَ النَّبيّ فنحّىٰ ... عَنْهُ أصنامَهُمْ وحَسْبُكَ نُبْلا[٤]

وفي الديوان المذكور:

ای آنکه حریم کعبه کاشانهٔ توست
بطحا صدف گوهر یکدانهٔ توست
گر مولد تو بکعبه آمد چه عجبْ
ای نجل خلیل خانه خود خانهٔ توست[٥]

---

(١) الباقعة: الذكيّ العارف الذي لا يفوته شيء.
(٢) كذا.
(٣) ضَمَّنَ الفعل «سَمَا» معنى الفعل «عَلَا»، فَعَدّاهُ.
(٤) ديوان الميرزا محمّد تقي التبريزي: ٢٠ ـ ٢١، المطبوع سنة ١٣٤٦.
(٥) ترجمتها:
يا من كانت الكعبة عشَّكَ، وصدف البطحاء جوهرك الفريد.
إذا كان مولدك في الكعبة، فما العجب أيا نجل الخليل فإنّ بيته بيتك.

وإلى قوله: (لا ومن شقّ...) ألمحتُ بقولي من رائيّة علويّة، عند تعداد معاجزه صلوات الله عليه:

[من الوافر]

من البيت الحرامِ شَقَقْتَ حَمْلاً لأُمِّكَ يومَ مَوْلِدِكَ الجِدارا
فحلّتْ فاطمٌ منهُ مَقاماً لصِنْوِ محمّدٍ تَخِذَتْهُ دارا[1]

وإلى معنى شعره الفارسي السابق أُوعزُ بقولي من مقطوعةٍ في أهل البيت عليهم السلام:

[من الوافر]

وليسَ وِلادُهُ في البيت بِدْعاً فإبراهيمُ شادَ لَهُ دِعامَهْ
وهذا البيتُ بيتُ أبيهِ قِدْماً وفاطمةٌ بهِ وَضَعَتْ غُلامَهْ[2]

(١) الباقي في الديوان.
(٢) الباقي في الديوان.

١٧ ـ ولنابغة طبرستان الشيخ محمّد الصالح [المازندراني الحائري]، المولود سنة ١٢٩٧[١]، صاحب المؤلّفات الجمّة في المعقول والمنقول، وديوانيه العربي والفارسي، من علويّة:

[من الكامل]

بالبيتِ قدْ وَضَعَتْهُ فاطِمةٌ رَفْعاً لهُ قد شُرِّفَتْ وَضْعَا
للّهِ أُمٌّ أَرْضَعَتْ أَسَداً رَضْعَ النَّبيَّ عُلُومَهُ رَضْعَا[٢]

(١) والمتوفّى سنة ١٣٩١.
(٢) الباقي في الديوان.

١٨ ـ وقال المولى أهلي الشيرازي المتوفّى سنة ٩٤٢ بشيراز، من علويّة تحتوي ١٣٦ بيتاً، منها قوله:

كاشف علم الله آن گيتى نماى «لو كُشِف»
ديده را از هر دو كون از ديدهٔ «علم اليقين»
كعبه زان شد سجده‌گاه انبياء و اولياء
كامد آنجا در وجود آن كعبهٔ ارباب دين

١٩ ـ وقال المولى كاتبي المترجم في «مجالس المؤمنين»[١] للقاضي التستري قدّس سرّه، من علويّة مستهلّها:

بـــچشمِ عـــقلْ أقـاليمِ سـبعه گـنجِ زر است
ولی چـه از مگـری اژدهـای هـفت سـر است[٢]

ومنها:

زبـــالِ او طـــيران يـــافت جـــعفر طـــيّار
كـه هـمچو طـايرِ قـدسش هـزار زيـر پـر است
بـــدامـــن «حَـــجَر الأسـود» است مـولدِ او
چه جوهر است ندانم؟ كه مولدش حَجَر است[٣]

(١) انظر مجالس المؤمنين ٦: ٤١٧ ـ ٤٢٩.
(٢) مجالس المؤمنين ٦: ٤٢١.
(٣) مجالس المؤمنين ٦: ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

٢٠ ـ ولسراج الدين محمّد بن الحسن (عيش) القرشيّ التيميّ العَدَويّ الأموي اليماني، الدرشن خاني، ويعرف بالشيخ (فدا حسين) الهندي، من قصيدته العلويّة البالغة ١٤١١ بيتاً، المسمّاة بـ«النفحة القُدْسيّة»:

[من البسيط]

وُلِـدْتَ فـي البـيتِ والأيّـامُ مـظلمةٌ والجـوُّ مُـنْكَدِرُ الآفـاقِ مـن ضَـلَلِ
فكـنتَ كـالشَّمسِ فـي إبّـان مَـطْلَعِها بقائِمِ اليومِ زادَ الشَّمْس فـي طَـفَلِ[1]

وفي موضع آخر منها: أنّ (أَندر) إله الهنود، مُصَحَّفُ (حيدر)، وأنّه المذكور في الويدان واليرانات، قال:

فكلّ ذاك صـفاتُ (الأَنْـدرِ) عِـندَهُمُ وكـلُّ ذاكَ صـفاتٌ للـوَصِيِّ عَـلِيّ
قـتلتَ مـن قَـبْلُ ثُـعباناً بـمَهْدِكَ إذْ وُلِدْتَ في عُقرِ بيتِ الواحدِ الجَلَلِ[2]

(١) النفحة القدسيّة: ٦٨.

(٢) النفحة القدسيّة: ١٨٧.

٢١ ـ وقال الفاضل الأديب الشيخ محمود عبّاس العامليّ في قصيدته العلويّة الكبيرة المسمّاة بـ«الدُّرر السنيّة» المطبوعة المخمّسة:

[من الكامل]

فـوحقِّ آيـاتِ الكـتابِ المُـنْزَلِ ومُكَوّنِ الأكوانِ ذي المجدِ العَلِيْ
وبـحقّ هـادينا النـبيّ المـرسَلِ ما حازَ كلَّ المكرمات سِوَى عَلِيْ
وسـواهُ لا عـينٌ لَـدَيْهِ ولا أَثَـرْ

* * *

مَـن مـثلُه فـي بـيتِ بـارِئِهِ وُلِـدْ ذِي خَصْلَةٌ قد خُصّ فيها مُذْ وُجِدْ
أَمْعِنْ بها ـ يا صاحِ ـ فِكْراً واعْتَمِدْ وانظرْ لها النَّظَرَ الصحيحَ ولا تَحِدْ
من واضحِ المنْهاجِ وُقِّيتَ الضَـرَرْ

٢٢ ـ وقال باقعة العلم والأدب العلّامة السيّد رضا ابن العلّامة الحجّة السيّد محمّد الهندي النجفي، المتوفّى سنة ١٣٦٢:

[من السريع]

لمّا دَعاكَ اللهُ قِدْماً لِأَنْ تُوْلَدَ في البيتِ فَلَبَّيْتَهُ
شَكَرْتَهُ[١] بَيْنَ قُرَيْشٍ بِأَنْ طَهَّرْتَ مِن أَصنامِهِمْ بَيْتَهُ[٢]

(١) في الديوان: جزيته.
(٢) ديوانه: ٢٥.

٢٣ ـ وهناك بيتٌ فارسيّ قديمٌ استشهدَ به كثيرٌ من العلماء والمؤرّخين، ومن ذلك ما وجدتُه في مقالٍ كتبه بعضُ عُلمائنا جواباً عمّا كتبه إليه بعضُ أهل السُنّة. قال ـ بعد الحمد ما لفظه ـ: «والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنام، الذي حَمَلَ عليّاً عليه السلام، لكسر الأصنام في بيت الله الحرام، الذي شَرُفَ لكونهِ مولِداً له عليه السلام:

طواف خانهٔ كعبهْ از آن شد بر همه واجِبْ

كه آنجا در وجود آمدْ علىّ بن ابى طالب

وذكره المؤرّخ الحاج زينُ العابدين الشرواني في «بُستان السياحة»[١]، والقاضي الشهيد السعيد نور الله التستري في «إحقاق الحق»[٢] وغيرهما ـ منسوباً إلى العارف لطف الله النيسابوري، وذكره أيضاً صاحب «مناقب المعصومين»[٣].

(١) انظر بستان السياحة: ٥٥.

(٢) انظر إحقاق الحق: ١٩٨.

(٣) مناقب المعصومين، للشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي المشهدي المتوفّى سنة ١٢٦٨. انظر الذريعة ٢٢: ٣٣٤/ الرقم ٧٣٣٠.

٢٤ ـ وللمولى الرومي العارف الشهير صاحب «المثنوي» المتوفّى سنة ٦٧٢ من قصيدة يذكر فيها الأئمّة عليهم السلام:

ای شِحنهٔ دشتِ نجف از تو نجف دیده شَرَف

تو دُرّیُ و کعبه صَدَف ستان مـلامت مـی‌کشد

٢٥ ـ ويلمح إليه قول الجامي عبدالرحمن المتوفّى سنة ٨٩٨:

بسوی کعبه رود شیخ و من بسوی نجف

بحقّ کعبه که آنجا مـراست حـقّ بـطرف

تفاوتی کـه مـیان مـن است و او ایـنست

که مَن بسوی گُهر رفتم او بسویِ صَدَف

٢٦ ـ وللعلّامة المعاصر السيّد علي نقي النقوي الهندي اللكـهنوي[١] مـوشحةٌ ميلاديّة، يُهنّئ بها آية الله السيّد الميرزا علي آقا الشيرازي قدّس سرّه، بـعد مـدح الإمام عليه السلام، وذكر مولده الشريف، نُزيّن بها صفحاتِ هذه الرسالة:

[من الرّمل]

مَـنْ بَـدا فـازْدَهَرَ البـيتُ الحـرامْ وزَهَتْ مـــنهُ ليـــالي رَجَبِ؟

* * *

طَـــرِبَ الكـــونُ لِبِشْـــرٍ وَهَـــنا إذْ بـــدا الفَـــخْرُ بـنُورٍ وسَـنا
وأتـى الوحـيُ يُـنادي مُـعْلِنا: قـد أتـاكُـمْ حـجّةُ الله الإمـامْ
وَأَبُـو الغُـرِّ الهُـداةِ النُّـجُبِ

* * *

خَصَّهُ الرحمنُ بـالفضلِ الصُـراحْ ومَـزايـا أَشْـرَقَتْ غُـرّاً وِضـاحْ
وسَـما[٢] مـنزلُه هـامَ الضُّـراحْ فـــغدا مـــولِدُه خـــيرَ مَـقامْ
طأْطَأَتْ فـيهِ رُؤوسُ الشُّـهُبِ

* * *

إنّـــــه أوّلُ بـــيتٍ وُضِـــعا[٣] لِـلْورىٰ طُـرّاً فأَضْـحَوا خُـضَّعا
وعـلى الحـاضِرِ والبـادِي مَـعا حَـــجُّهُ أصـــبحَ فَـرْضاً ولِـزامْ

---

(١) ترجم في «سبائك التبر» من هذه الموسوعة، وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٤٠٨.

(٢) ضَمَّنَ «سما» معنى «علا» فعدّاه.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٩٦ من سورة آل عمران ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ**﴾.

طـاعةٌ تَـتْبَعَ أَقْـصَى القُـرَبِ

* * *

وهـوَ فـي القِـبْلة فـي كـلِّ صَـلاهْ ومَـــلاذٌ تُـرتَجىٰ فـيهِ النَّـجاهْ
وقـــد اسْـــتَخْلَصَهُ اللهُ حِـماهْ فـــلئِنْ يأتِ إليـــهِ مُسْـــتَهامْ
فـــي مُـلِمٍّ داعـياً يَسْـتَجَبِ

* * *

تـــلكُمُ فـــاطِمةٌ بـــنتُ أَسَـدْ أمّتِ البَـــيتَ بِكَـــرْبٍ وكَـمَدْ
ودَعَتْ خـالِقَها البـاري الصَّـمَدْ بـحشاً فـيهِ مـن الوَجْـد ضِـرامْ
قـد عَـلَتْهُ قَـبَساتُ اللَّـهَبِ

* * *

نـــادتِ: اللّـهمَّ ربَّ العـالَمينْ قاضيَ الحاجاتِ لِـلمُستَصْرِخِينْ
كـاشِفَ الضُّـرِّ مُـجِيبَ السـائلينْ إنّـني جِـئْتكَ مـن دُونِ الأنـامْ
أبتغي عِـنْدَكَ كَشْـفَ الكُـرَبِ

* * *

بـــينَما كـــانَتْ تُـناجي رَبَّـها وإلى الرّحـــمٰنِ تَشْكُـو كَـرْبَها
وإذا بـــالبِشْرِ غَشَّـــى قَـــلبَها مـن جِـدارِ البَـيْتِ إذْ لاحَ ابْـتِسامْ
عن سَنا ثَـغْرٍ لَـهُ ذِي شَـنَبِ[1]

* * *

فُـــتِقَ الزَّهْـرُ أَم انْشَـقَّ القَـمَرْ أَم عَـمُودُ الصُّـبْحِ بِـالليل انْـفَجَرْ

(١) الشَنَب: ماءٌ ورِقّة يجري على الثَّغر.

أَم أضـاءَ البَـرْقُ فـالكونُ ازْدَهَـرْ أَمْ بـدا فـي الأُفـقِ خَـرْقٌ وَالْـتِئامْ
فـغَدا بُـرهانُ مِـعْراجِ النَّـبِي

* * *

أَم أشـارَ البيتُ بِـالكفِّ ادْخُـلِيْ واطْـمَئِنِّي بـالإلٰهِ المُـفْضِلِ
فَـهُنا يُـولَدُ ذُو العَـليا عَـلِيْ مَنْ بِهِ يَـحْظَى حَـطِيمِيْ والمَـقامْ
ويَـنالُ الركْـنُ أعـلَى الرُّتَبِ

* * *

دَخَـلَتْ فـاطمُ فـارتدَّ الجِـدارْ مِثلَ مـا كـانَ ولم يُكْشَـفْ سِتارْ
إذْ تَجَلَّى النُّورُ وانجابَ السِّـرارْ[1] عـن سَـنا بَـدْرٍ بِـهِ يَـجْلُو الظـلامْ
والوَرىٰ تَنْجُو بِـهِ مـن عَـطَبِ

* * *

وُلِـدَ الطَّـاهِرُ ذاكَ ابـنُ جَـلا[2] مَـنْ سَـما العـرشَ جَـلالاً وعُـلا
فـلَهُ الأَمْـلاكُ تَـعْنُو ذُلُـلا وبِـهِ قـد بَشَّـرَ الرُّسْـل العِـظامْ
قَوْمَهُم في ما خلا مـن حُـقُبِ

* * *

عَـرَفَ اللهَ ولا أرضٌ ولا رُفِـعَتْ سَـبْعُ طِـباقٍ ظُـلَلا
فـلذا خَـرَّ سُـجُوداً وتَـلا كُـلَّ مـا جـاءَ إلى الرُسْـلِ الكِـرامْ

---

(١) انْجابَ: انكشف. والسِّرار: آخر ليلة من الشهر. والمراد هنا انكشاف الظلام.
(٢) ابن جلا: المنكشِف الواضح الجليّ، والمشهور المعروف.

قـبلَه مـن صُـحُفٍ أو كُـتُبِ

* * *

إنْ يَكُ البـيتُ مَـطافاً للأنـامْ فـعليٌّ قـد رَقَـى أعْـلَىٰ سَـنامْ
إذْ بِـهِ يَـطَّوَّفُ البـيتُ الحـرامْ وسَـعَى الرُّكْـنُ إليـه لاسْـتِلامْ
فـغَدا يَـزْهُو بِـهِ مِـن طَـرَبِ

* * *

لم يكنْ في البيتِ مولُودٌ سِواهْ إذْ تـعالَى عـن مَثِيلٍ فـي عُـلاهْ
أُوتِـيَ العِـلْمَ بِـتَعْلِيمِ الإلٰـهْ فـغَذاهُ دَرَّهُ قـبلَ الفِـطامْ
يَـرْتَوي مـنهُ بأَهـنا مَشْـرَبِ

* * *

صَـغُرَ الكـونُ عـلى[1] سُـؤْدَدِهِ وانْـتَمَى الوَحْـيُ إلى مَـحْتِدِهِ
بَشِّـرِ الشِّـيعةَ فـي مـولِدِهِ واقْصُدِ العـلّامةَ الحَـبْرَ الهُـمامْ[2]
مَـنْبَعَ العِـلْمِ مَـناطَ الأَدَبِ

* * *

آيـةُ اللهِ عـليٌّ المُـرْتَضىٰ لم يَـزَلْ للـدِّينِ سَـيْفاً مُـنتضىٰ

---

(١) «على» هنا بمعنى «عن»، وذلك كما في قول القُحيف العجلي:

إذا رضيت عَلَيَّ بنو قُشَيْرٍ لعَمْرُ الله أعجبني رضاها

انظر خزانة الأدب، للبغدادي ١٠: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) هو سيّدنا علّامة الهاشميّين، آية الله في العالمين، السيّد الميرزا علي آقا، الخلف الصالح لسيّد الطائفة الإمام المجدّد السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي، نزيل سامرّاء، المتوفّى سنة ١٣١٢. وُلِدَ سيّدنا الممدوح سنة ١٢٨٦، وتوفّي سنة ١٣٥٥، وكان أحد زعماء الدين، والأوحديّ من فقهاء المسلمين، خَلَفَ أباه في علمه وخلائقه وهديه وهداه وفضائله كلّها. (المؤلّف)

حُكْـمُهُ جـارٍ وعَـدْلٌ مـا قَـضَىٰ يُـرْشِدُ النَّـاسَ إلى دارِ السـلامْ
كـلَّهم مـن عَـجَمٍ أو عَـرَبِ

* * *

سيّدُ الأُسْـرةِ والنَّـدْبُ الشَّـرِيفْ لم يَـزَلْ حـامِيةَ الدِّيـنِ الحَـنِيفْ
جاهداً في نُصْرةِ الدِّيـنِ المُـنِيفْ شـيّدَ العِـلْمَ عـلى أقْـوىٰ دِعـامْ
وهَدى الناسَ لِـنَهْجِ المَـذْهَبِ

* * *

إنّ للـوُفّادِ فـي مَـغْنَىٰ حِـماهْ بـيتَ قُـدْسٍ يَـقْصِدُ النـائِي فِـناهْ
إبْـتِغاءً[1] فـيهِ مَـرْضَاةَ الإلهْ طـالِباً فـي قُـرْبِهِ أَقْـصىٰ مَـقامْ
بِـفُؤادِ المُـرتَجِي المُـرْتَقِبِ

* * *

عَيْلَمُ الأحكامِ قامُوسُ[2] الحِكَـمْ لم يَـزَلْ غـيثُ هُـداهُ مُـنْسَجِمْ
وبِـهِ شَـمْلُ المَـعالي مُـنْتَظِمْ دامَ فـي الكَـوْنِ إلى يَـوْمِ القِـيامْ
بِـهَنا بِشـرٍ وعَـيْشٍ مُـخْصِبِ

(١) قطع همزة الوصل ضرورة.

(٢) العَيْلم: البحر. والقاموس: قعر البحر أو وسطه ومعظمه.

٢٧ ـ ونشفعُ هذه القصيدةَ بثانيةٍ للسيّد العلّامة المذكور، ميلاديّة أيضاً، بارى بها قصيدةَ (إيليا أبي ماضِي) الإلحاديّة المُقَفّاة بـ «لَسْتُ أدري»، قالَ دامَ فضلُه:

[من الرمل]

طَـرِبَ الكـونُ مِـن البِشْـرِ وقـد عـمَّ السُّـرُورْ
وغـدَا القُـمْرِيُّ يَشْـدُو فـي ابـتسامٍ لِـلزُّهُورْ
وتهانَتْ سـاجِعاتٍ فـي ذُرى الأَيْكِ[١] الطُّيُورْ
لِـــمَ ذا البِشْـــر؟ وَمـــا هـــذا التَـــهاني؟
لستُ أدريْ

* * *

تلعبُ الريحُ وفـيها الدَوْحُ[٢] قـامَتْ راقِـصاتْ
وبـــها الأوراقُ تَـــزْهُو بـــالأكُـــفِّ الصـــافِقاتْ
ضـــارباً سَـجْعُ هَـزارِ[٣] الغُـصْن أوتـارَ الحـياةْ
مِـــمَ هـــذِي الدّوْحُ أضْـــحَتْ راقِـصاتْ؟
لستُ أدريْ

* * *

قد كَسىٰ وَجْهَ الثرى من سُنْدُسٍ وَشْـيُ الرَّبِـيعْ
فـتهادَى مـائِساً فـي حُـلَلِ الخِـصْبِ المَـرِيعْ

---

(١) الأَيْك: الشجر الكثير الملتف.
(٢) الدوح جمع دوحة: وهي الشجرة العظيمة المتّسعة.
(٣) الهزار: العندليب.

وغـــدا يَـــخْتالُ بـــالأرياشِ والشَأْن البَـدِيعْ
قـــائلاً: هَـــلْ أَحَـــدٌ يـــوجَدُ مِـــثْلِي؟
لستُ أدريْ

* * *

والنَّسيمُ الغَضُّ قـد يَـهْمِسُ فـي سَـمْع الأُقـاحْ
فَـــتُرى بـــاسمةَ الثَّـــغْر نَشـاطاً وارْتِـياحْ
وهَـزِيزُ الغُـصْن يُـبْدِي شأنَ زَهْـوٍ ومَـراحْ
مـــــا الذي قـــالتْ فَـــرَدَّتْ بـــابْتِسامْ؟
لستُ أدريْ

* * *

طـبّقَ الأرضَ لَـهيباً نـارُ مُـحْمَرِّ الشَّـقِيقْ[1]
فـغدا البُـلْبُلُ مُـرتاعَ الحَشـا خَـوْفَ الحَـرِيقْ
صارِخاً: هَلْ لِنجاتي عـن لَـظاها مـن طَـرِيقْ؟
هـــذه النـــارُ أَتَـــتْني كَـــيْفَ أُطْـــفِي؟
لستُ أدريْ

* * *

أشـرقَتْ طـلعةُ نُـورٍ عَـمَّتِ الكَـوْنَ ضِـياءا
لا أرىٰ بَـدْراً عـلَى الأُفْـقِ ولم أُبْـصِرْ ذُكـاءا[2]

(١) الشَّقيق: ورد أحمر.
(٢) ذكاءُ: اسم علم للشمس، غير منصرف.

وَتَـــفَحَّصْتُ فـــلمْ أُدْرِكْ هُـناك الكَـهْرباءا
فـــبماذا ضـــاءَ هـــذا الكَـــوْنُ نُـــوراً؟
لستُ أدريْ

* * *

كـانَ هـذا الرَّوْضُ قـبلَ اليـومِ رَهْـناً للـذُّبُولْ
ســاحِباتٌ فـوقَهُ[1] الأرواحُ قِـدْماً للـذُّيُولْ
تَعْصِفُ النَّكْباءَ فِـيهِ[2] دونَ أنـفاسِ البَـلِيلْ[3]
كـــيفَ عـــادَ اليـــومَ يَـزْهُو فـي شَـذاهْ؟
لستُ أدريْ

* * *

قـــمتُ أســتكْشِفُ عـنهُ سـائلاً هـذا وذاكْ
فـرأيتُ الكُـلَّ مِـثْلي فـي اضْـطرابٍ وارتِـباكْ
وإذا الآراءُ طُـــرّاً فـي اصـطِدامٍ واصْـطِكاكْ
وأخـــــيراً عَـــــمَّها العَـــجْزُ فـــقالتْ:
لستُ أدريْ

* * *

وإذا نَـــــبَّهَني عـــــاطفةُ الحُبِّ الدَّفِـــينْ
وتَـــظَنَّنتُ وظَـــنُّ الألمـعِيْ[4] عـينُ اليَـقينْ

(١) في الأصل: «فوقها»، والصواب ما أثبتناه لأنّ الضمير يعود للرَّوض.
(٢) في الأصل: «فيه»، والصواب ما أثبتناه لأنّ الضمير يعود للرَّوض.
(٣) البَليل: الريح الباردة مع ندى.
(٤) تسكين الياء من ضرائر الشِّعر.

أنّـــهُ مِـــيلاد مـــولانا أمـــيرِالمـــؤمنينْ
فَـــــدَعِ الجـــــاهلَ والقَـــوْلَ بأنّـــي
لستُ أدريْ

* * *

لم يكـنْ فـي كَـعْبةِ الرَّحْـمٰنِ مـولُودٌ سِـواهْ
إذ تَـعالى فـي البَـرايـا عـن مَـثِيلٍ فـي عُـلاهْ
وتـــولّى ذِكْـــرَهُ فـي مُـحْكَمِ الذِّكْـرِ الإلهْ
أَيَـــــقُولُ الغِـــرُّ فـــيهِ بَـــعْدَ هـــذا:
لستُ أدريْ

* * *

أَقْـــبَلَتْ فـــاطمةٌ حـــامِلَةً خـــيرَ جَـنِينْ
جـاءَ مَـخْلُوقاً بـنُور القُـدْسِ لا المـاءِ المَـهِينْ
وتَـرَدَّى مَـنْظَرَ اللّاهُـوتِ[1] بَـيْنَ العـالَمينْ
كـــيفَ قـــد أُودِعَ فـــي جَـنْبِ وَصَـدْرِ؟
لستُ أدريْ

* * *

أقـبلتْ تـدعُو وقـد جـاءَ بـها داءُ المَـخاضْ
نحو جِذْع النَّخْلِ مِن ألطافِ ذِياللُّطْفِ المُفاضْ

(١) لو قال: «الناسوت»، لكان أوفق.

فَــدَعَتْ خــالِقَها البــاري بأحشــاءٍ مِــراضْ
كيفَ ضَجَّتْ؟ كَيْفَ عَـجَّتْ؟ كـيف نـاحَتْ؟
لستُ أدريْ

* * *

لستُ أدري غــيرَ أنّ البــيتَ قـد رَدَّ الجـوابْ
بـابتسامٍ فـي جِـدارِ البيتِ أضـحى مِـنْهُ بـابْ
دَخَلَتْ فانجابَ فيهِ القِشْرُ عن مَحْضِ اللُّـبابْ
إنّــــما أَدْرِي بـــــهذا، غـــيرَ هـــذا
لستُ أدريْ

* * *

كَـيْفَ أدري وَهْـوَ سِـرٌّ فـيهِ قـد حـارَ العُـقُولْ
حادِثٌ في اليومِ لكنْ لم يَـزَلْ أصـلَ الأُصـولْ
مَــظْهَرٌ للّــهِ لكِــنْ لا اتّــحادٌ لا حُــلُولْ
غــــايةُ الإدراكِ أن أدْرِي بأنّــــيْ
لستُ أدريْ

* * *

وُلِـدَ الطُّـهْرُ عَـليٌّ مَـن تَسـامَى فـي عُـلاهْ
فــــاهتَدى فــــيهِ فَــرِيقٌ فــيهِ تــاهْ
ضَــــلَّ أقــوامٌ فَــظَنُّوا أنّــهُ حَــقّاً إلهْ
أَمْ جُــنُونُ العِشْــقِ هــذا لا يُــجارى؟
لستُ أدريْ

٢٨ ـ وله أيضاً دام ظلّه، في مولد سيّدنا الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وتُليتْ في حفلة ميلاديّة لآية الله السيّد الميرزا علي آقا الشيرازي سنة ١٣٤٨[١]:

[من الطويل]

أيـا كـعبةَ البَـيْتِ الحَـرامِ لَكِ البشـرُ ... فقدْ فـاقَ أَطْـباقَ السَّـماءِ بكِ القَـدْرُ

وقد فرضَ الرَّحْمٰن حَجّاً على الوَرَىٰ ... إليكِ سَواءٌ مـنهُمُ البَـدْوُ والحَـضْرُ[٢]

تَـخُبّ إليك النَّـاجياتُ[٣] بِـرَكْـبِها ... مُضَمَّرَةً يُـطْوَىٰ بـها السَّـهْلُ والوَعْـرُ

إذا أَشرقَتْ بالقُربِ من ذلك الحِـمَى ... تَـهُبُّ كـمِثْلِ الطَّـيْرِ عَـنَّ لَـها الوَكْـرُ

جُـــعِلْتِ مَـــطافاً للأنـــامِ وقِـبْلةً ... ومَأْوىً بـــه يَأوِي غَـنِيٌّ ومُـعْتَرُ[٤]

ومن عصر نُوحٍ بـانَ فَـضْلُكِ حِـينَما ... نَجَوْتِ من الطُّوفانِ يومَ طَغَى البَـحْرُ

---

(١) ذكر الأُستاذ الخاقاني في ترجمة السيّد محمّد صادق بحر العلوم من شعراء الغري ٩: ٢١٩: أنّ هذه القصيدة اشترك بها السيّد محمّد صادق بحر العلوم مع العلّامة الأُوردبادي، مع أنّ هذه القصيدة خالصةً للسيّد النقوي اللكهنوي، وأتبعها السيّد بحر العلوم بمدح السيّد الميرزا علي آقا الشيرازي من قوله: «هو الآية العظمى ومنتجع التُّقى»، كما هو في «سبائك التبر» من هذه الموسوعة، فراجع.

وكذلك اشتبه الخاقاني في نسبة القصيدة التي أوّلها (بَني الدين حتّى مَ هذا الفشل) إلى السيّد محمّد صادق بحر العلوم، وإنّما هي للعلّامة الأُوردبادي، راجع ترجمة الشيخ الأُوردبادي في شعراء الغري ١٠: ٩٥ ـ ١٠٤، وترجمة محمّد صادق بحر العلوم ٩: ٢٢٨ ـ ٢٣٠ لتقف على اشتباه الخاقاني.

(٢) الحَضَرُ: خلافُ البَدْوِ، وتسكين الضَّاد ضرورة.

(٣) النَّاجياتُ: جمع النَّاجية، وهي الناقة السريعة تنجو بمن ركبها.

(٤) مُعْتَر: مخففة من «مُعْتَرّ»، وهو الفقير السائل، قال تعالى في الآية ٣٦ من سورة الحج ﴿**وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ**﴾.

وَأَضْحى لأَمْرِ الله فِيكِ خَلِيلُهُ ... يُجَدِّدُ ما أَوْهَى بِحِدْثانِهِ[١] الدَّهْرُ

لِماذا دَعاكَ اللهُ بَيْتاً لنَفْسِهِ ... وَلَيْسَ لهُ جِسْمٌ يُحِيطُ بهِ قَدْرُ؟

أَحارَ عُقُولَ النَّاسِ فَهْيَ ذَواهِلٌ ... وَأَدْهشَ أَلْبابَ الوَرَى ذٰلكَ السِّرُّ

هَلُمَّ مَعِي يا صاحِ في رَجَبِ الهَنا ... إِلى البَيْتِ حَتَّى يَسْتَبِينَ لكَ الأَمْرُ

أَتَتْ فاطمُ[٢] بِنْتُ العُلا وَهْيَ حامِلٌ ... بخَيْرِ جَنِين ضَمَّهُ الجَنْبُ وَالصَّدْرُ

أَتَتْ تَسأَلُ الرَّحْمٰنَ تَيْسِير أَمْرِها ... إذا اشتَدَّ بَلْواها[٣] وَجَلَّ بِها العُسْرُ

فقالَتْ: أَلَا يا كاشِفَ الضُّرِّ والأَذَى ... ومَنْ بِيَدَيْ سُلْطانِهِ الخَلْقُ والأَمْرُ

دَهاني مِنَ الأَدْواءِ[٤] مالا أُطِيقُهُ ... وَقَدْ خَانَني فِيهِ التَّحَمُّلُ والصَّبْرُ

بِحقِّ الذي أَضْحَى لِبَيْتِكَ بانِياً ... وَعادَتْ لَهُ كالبَرْدِ[٥] مُوقَدَةٌ جَمْرُ

وحَقِّ جَنِينٍ في حَشايَ ضَمَمْتُهُ ... وأَخْفَى سَناهُ في جَوانِحِيَ السَّتْرُ

مِنَ الآنَ ضَاءَ الكَوْنُ من نُورِ وَجْهِهِ ... وَفاحَ بِهِ مِنْ قَبْلِ طَلْعَتِهِ البِشْرُ

أَنِ اقْضِ رَجائِي واسْتَجِبْ لِيَ دَعْوتِي ... وَفَرِّجْ ليَ الضَّرَّاءَ إِذْ مَسَّنِي الضُّرُّ[٦]

---

(١) حِدْثانُ الدَّهْرِ وحَدَثانُهُ: نوائبه.

(٢) هي فاطمة بنت أسد والدة أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) أراد بالبلوى بلوى الولادة وأَلَمَها.

(٤) الأَدْواء: جمعُ الدَّاء، وهو المرض.

(٥) في المخطوطة: «كالبرق»، وهي مصحفة عن المثبت. أي أنّ النار الموقدةُ الجمرُ عادت له برداً، إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٦٩ من سورة الأنبياء: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾.

(٦) قال تعالى في الآية ٨٣ من سورة الأنبياء: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾.

فَـــبَيْنا تُـــناجِي ربَّـــها بِـدُعائِها ... وَمِـلْءُ حَشـاها خَشْـيَةُ اللهِ والذُّعْـرُ
وَإِذْ بِـــجِدار البَـيْتِ مُـبْتَسِماً لهـا ... بِـثَغْرٍ لِـفَرْطِ البشْـرِ أَصْـبَحَ يَـفْتَرُّ
أذٰلِكَ رَوْضٌ قَـــدْ تَـــفَتَّقَ زَهْـــرُهُ ... أَمِ انْشَقَّ سِجْفُ[1] اللَّيْلِ وابْتَلَجَ الفَجْرُ؟
وُمُـوسَىٰ كَـلِيمُ اللهِ أَظْـهَرَ مُـعْجِزاً ... بِضَرْبِ عَـصاهُ البَـحْرَ فـانْفَلَقَ البَـحْرُ
وحِـينَ قَـدِ اسْـتَسْقَى الإِلٰـهَ لِـقَوْمِهِ ... رَمَى بِعَصاهُ الصَّخْرَ فـانْفَجَرَ الصَّـخْرُ
وأَحْـــمَدٌ المُـــخْتارُ طـاها نَـبِيُّنا ... أَشـارَ بكـفٍّ مِـنْهُ فـانْصَدَعَ البَـدْرُ[2]
فَـلا غَـرْوَ أَنْ شُـقَّ الجِـدارُ لِـفاطِمٍ ... وَفِـي طَـيِّها سِـرٌّ يَـحارُ بِـهِ الفِكْـرُ
وَأَوْسَـعَ بـيتُ الله بـالشَّوْقِ حِـجْرَهُ ... لِـيَحْضُنَ مَـوْلُودَ العُـلا ذٰلكَ الحِـجْرُ
بَـنَى البَـيْتَ إِبـراهـيمُ، هٰـذا وَلِيُّـهُ ... ووارِثُـهُ مِـنْ بَـعْدِهِ الْـمُرْتَضَى الطُّـهْرُ
بَـلِ البَـيْتُ بَـيْتُ اللهِ والنَّـفْسُ نَـفْسُهُ ... فَـحُقَّ لَـهُ فِـيهِ التَّـصَرُّفُ والأَمْـرُ
وَفَـتَّحَ بـارِي الخَـلْقِ بـاباً لِـفاطِمٍ ... تَـرَى أَرْضِـهِ عَـذْراءُ مُـنْهَجَةٌ بِكْـرُ[3]
فَـقَرَّتْ بِـهِ عَـيْناً وَقِـيلَ لهـا: ادْخُـلِي ... لِيُرْفَعَ عن لُبِّ الهُـدَى هـاهُنا القِشْـرُ
فَـــحَلَّتْ بِـبَيْتِ اللهِ ضَـيْفاً لِـرَبِّها ... وَللضَّيْفِ حَـقٌّ لازمٌ حِـينَما يَـعْرُو[4]
وَإِذْ دَخَـلَتْ فـي البَـيْتِ أُرْئِبَ فَـتْقُهُ ... وَعـادَ بِأَمْـرِ اللهِ فِـي كَسْـرِهِ الجَبْرُ
فَجاءَتْ لهـا حُـورُ الجِـنانِ خـوَادِمـاً ... وَجَاءَتْ مِنَ الأَفْـلاكِ أَمْـلاكُـها الغُـرُّ

---

(١) السِّجْفُ: السِّتْرُ.

(٢) إشارة إلى معجزة شقّ القمر لرسول الله صلّى الله عليه وآله.

(٣) العذراء: البِكْرُ لم تُمَسَّ قَطّ. والمُنْهَجُ: الواضحُ البَيِّن. وأراد أنّ الكعبة لم تفتح لأحد قَطّ ليولد فيها إلَّا لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) عَرَا فلانٌ فُلاناً: أتاه طالباً معروفه.

هُـناكَ بـدا نُـورٌ مِـنَ القُـدْسِ زاهِـرٌ أَنـارتْ بِـهِ الدُّنْـيا وَضـاءَ بِـهِ البَـدْرُ
وَأُولِدَ شَـخْصُ المُـرْتَضَىٰ فَـتَبَلَّجَتْ أَسِـرَّةُ وَجْـهِ الدِّيـنِ وَابْـتَسَمَ الثَّـغْرُ
غَدا الرُّكْـنُ يَسْـعَىٰ نَـحْوَهُ لاسْـتِلامِهِ وَطافَ بِـهِ البَـيْتُ المُـحَرَّمُ وَالحِـجْرُ
وَأَضْحَى وَلِيُّ اللهِ في البَيْتِ ساجِداً[١] وَذاكَ لِـما أَسْـداهُ خـالِقُهُ شُكْـرُ
تَـلا الصُّـحُفَ الأُولىٰ وَقُـرآنَ أَحْـمَدٍ فَماسَتْ لَـهُ فَـخْراً وَبـاهَىٰ بِـهِ الذِّكْـرُ

* * *

أَلَا مَـنْ يُـبارِي حَـيْدَراً بِـفضائِلٍ تَقاصَرَ[٢] عَنْ إِحْصائِها العَدُّ والحَصْرُ
فَـهَلْ غَـيْرُهُ بـالبَيْتِ كـانَ وِلادُهُ؟! وَذٰلِكَ فَـضْلٌ فِـي عَـلِيٍّ لَـهُ قَـصْرُ[٣]
رَواهُ رُواةُ العِـلْمِ فـي مُسْـنَداتِـهِمْ وَمِـنْ عُـلَماءِ القَـوْمِ مَـنْ لَـهُمُ خُـبْرُ
فَذٰلِكَ «مَسْعُودِيُّهُمْ» في «مُـرُوجِهِ»[٤] و«سِبْطُ ابنِ جَوْزِيٍّ»[٥] هُمامُهُمُ الحَبْرُ

---

(١) صَحَّت الروايات عن أهل العصمة عليهم السلام أنّ كُلّ معصوم يسقط من بطن أُمِّهِ ساجداً إلى الأرض، ووردت الروايات الكثيرة بذلك في خصوص أمير المؤمنين عليه السلام عند ولادته في الكعبة.

(٢) يصح أيضاً ضبطها: «تَقاصَرُ»، أي «يَتَقاصَرُ» بحذف إحدى التاءين.

(٣) أي أنّ هذه الفضيلة مقصورة على أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) المسعوديّ من علماء الشيعة، نَصّ بذلك علماؤُنا في الرجال، وكتاب (إثبات الوصيّة) له أوضح شاهد لتشيّعه، وكذلك كتاب (حدائق الأزهار) ورسالته في إثبات إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام. نعم في مُروج الذهب بعضُ التقيّة، وإن كان فيه ما لا يصدرُ إلّا عن شيعيّ في الإمامة وغيره، وهو الذي أوقع سيّدنا الناظم في الشبهة فعدَّه عاميّاً. نعم يُطلق المسعوديّ على جماعة من العامّة والخاصّة، لكن صاحب (المروج) هو من ذَكَرْتُهُ. (المؤلّف)

(٥) هو أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاغلي بن عبد الله البغدادي الحنفي، المعروف بـ«سبط ابن الجوزي»، مؤرّخ من الكتاب الوعّاظ، ولد ببغداد سنة ٥٨١ ونشأبها، وربّاه جَدُّه، وانتقل إلى

كذاكَ «مُعينُ الدينِ»[١] و«ابنُ المغازِلي»[٢] و«أَخْطَبُ خَـارَزْمٍ»[٣] عُـبابُهُمُ البَـحْرُ
وفي نَقْلِهِ «الجاميّ»[٤] من حُبِّ حيدرٍ أدارَ كُؤُوساً لَيْسَ يَـصْحُو لهـا سُكْـرُ
وتلكَ «فُصُولٌ لابن صَبَّاغَ»[٥] فُصِّلَتْ بِـها بَـيِّناتُ الحَـقِّ وازدهَـرَ الأَمْـرُ

➲ دمشق فاستوطنها وتوفّي فيها سنة ٦٥٤، له عدّة مؤلّفات من أشهرها «تذكرة خواص الأُمّة» و«مرآة الزمان». انظر الأعلام للزركلي ٨: ٢٤٦، والكنى والألقاب ٢: ٣٠٥.

(١) هو الخواجة معين الدين الجشتي الاجميري، المتوفّى سنة ٦٣٢. انظر الغدير ٦: ٢٨، وشرح إحقاق الحق ١٧: ٣٦٨.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن الطيب بن أبي يعلى الجُلّابي الواسطي الشافعي، المعروف بـ «ابن المغازلي»، من أهل واسط، سمع كثيراً وكتب بخطّه وحَصَّل، وخرّج التاريخ وجمع المجموعات، وكان عارفاً بالفقه والشروط، وكان مطّلعاً على كلّ علم من علوم الشريعة، له عدّة مؤلّفات، منها كتاب الذَّيل لتاريخ واسط، ومناقب الشافعي، ومنها كتاب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام. توفّي سنة ٤٨٣ ببغداد، وحُمل إلى واسط فدفن بها. انظر ذيل تاريخ بغداد، لابن النجّار ٤: ٤٩ ـ ٥٠/ الترجمة ٨٥٥، ومقدّمة كتاب مناقب علي بن أبي طالب بقلم آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي.

(٣) هو أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي، المولود سنة ٤٨٤، أصله من مكّة، وكان فقيهاً أديباً، أخذ العربيّة عن الزمخشري بخوارزم، وتولّى الخطابة بجامعها، وفيها قرأ على المطرّزي، ويعرف بـ «خطيب خوارزم» و«أخطب خوارزم»، له من الكتب مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة، ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وغيرهما، توفّي سنة ٥٦٨. انظر الأعلام للزركلي ٧: ٣٣٣، والكنى والألقاب ٢: ١٥.

(٤) هو المولى عبد الرحمن بن أحمد بن محمّد الدشتي الفارسي الصوفي النحوي الصرفي، يقال له: الجامي، لأنّه ولد ببلدة «جام» من بلاد ماوراء النهر سنة ٨١٧، له ديوان شعر ومؤلفات كثيرة منها كتاب «شواهد النبوّة». توفّي في هراة سنة ٨٩٨. انظر الكنى والألقاب ٢: ١٣٩، والأعلام للزركلي ٣: ٢٩٦، وكتاب علي وليد الكعبة للمؤلّف قدّس سرّه: ٩١.

(٥) هو نور الدين علي بن محمّد بن أحمد، المعروف بابن الصبَّاغ المالكي، فقيه مالكي من أهل مكّة مولداً ووفاة، أصله من سفاقس، له كتب ومؤلّفات، منها: «الفصول المهمّة لمعرفة الأئمّة»، ولد سنة ٧٨٤ وتوفّي سنة ٨٥٥. انظر الأعلام للزركلي ٥: ٨، والضوء اللّامع، للسخاوي ٥: ٢٨٣.

و«أَحْمَدٌ المَنْصُورُ»[١] نَصَّ بذكْرِهِ كذاكَ «وليُّ الله»[٢] و«الصالحُ»[٣] البَرُّ
وذلكَ «لُطْفُ الله»[٤] ثُمَّ «سَعِيدُهُمْ»[٥] كذا «لابنِ بُرْهانٍ»[٦] تَضَمَّنهُ سِفْرُ
«أَبُوسالِمَ القاضِي الكمالُ ابنُ طَلْحَةٍ»[٧] ومِن نَصِّ «شمس الدِّينِ»[٨] قَدْ طَلَعَ الفَجْرُ

(١) هو العلّامة أحمد بن منصور الكازروني، له كتاب مفتاح الفتوح في شرح كتاب المصابيح، أتمّه سنة ٧٠٧. انظر نفحات الأزهار ١٠: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) هو أبو عبد العزيز، أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، الملقّب شاه وليّ الله، فقيه حنفي من المحدّثين، من أهل دهلي بالهند، له عدّة مؤلّفات، منها كتاب إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء. ولد سنة ١١١٠ وتوفّي سنة ١١٧٦. انظر الأعلام للزركلي ١: ١٤٨.

(٣) هو الشيخ الفاضل محمّد صالح بن عبد الله الحسيني الترمذي الحنفي، المعروف بالكشفي، الذي كان من العلماء المبرزين، له كتاب «مناقب مرتضوي» مطبوع في بومبي، توفّي سنة ١٠٤٠. انظر نفحات الأزهار ٤: ٩٤، وشرح إحقاق الحق في عدّة موارد.

(٤) هو المولى العارف لطف الله النيشابوري الذي كان أديباً منشئاً شاعراً، متبحراً في العلوم العقليّة والنقليّة، المتوفّى بعد سنة ٨٨٠، حيث ذكر ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة في شعر له. انظر إحقاق الحق: ١٩٨، وانظر ترجمته في تراجم الرجال ١: ٤٥٤/ الترجمة رقم ٨٣٩.

(٥) هو العلّامة الفاضل سعيد الكجراني. انظر شرح إحقاق الحق ١٧: ٣٦٨.

(٦) هو نور الدين علي بن برهان الدين إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي، المعروف بـ«ابن برهان الحلبي»، مؤرّخ أديب، فقيه أصولي، أصله من حلب، ومولده ووفاته بمصر، ولد سنة ٩٧٥ وتوفّي سنة ١٠٤٤، له تصانيف كثيرة، أشهرها إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المعروف بالسيرة الحلبيّة. انظر الأعلام للزركلي ٤: ٢٥١، ومعجم المؤلفين، لكحالة ٧: ٣.

(٧) هو أبو سالم كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن القرشي العدوي الشافعيّ، وزير من الأدباء الكتّاب، ولد سنة ٥٨٢ في العمرية من قرى نصيبين، ورحل إلى نيسابور، وولي الوزارة بدمشق. ثمّ تركها وتزهّد، وتوفّي سنة ٦٥٢ هـ بحلب، له عدّة مؤلّفات، أشهرها كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول. انظر الأعلام للزركلي ٦: ١٧٥، والكنى والألقاب ١: ٣٤٣.

(٨) الظاهر أنّه شمس الدين يوسف بن قزاغلي، المعروف بسبط ابن الجوزي، وقد مرّ ذكره، فكأنّ

وصَرَّحَ «عَبْدُ الحَقِّ»[١] بالحَقِّ جاهِراً كذا «الكاشِفيُّ الواعِظُ»[٢] العَلَمُ الصَّدْرُ
وغَيْرُهُمُ مِمَّنْ يَضِيقُ بِذِكْرِهِمْ إذا ذُكِرُوا نَثْراً فكَيْفَ بِهِ شِعْرُ؟!
فَلا يَسْتَطِيعُ الشَّانِئُونَ جُحُودَهُ وَلا حاسِدٌ أَشْقَىٰ[٣] ولا جاهِلٌ غَمْرُ[٤]
فَكَيْفَ ابنُ «رُوْزْباهان»[٥] أَصبح مُنكِراً وَعِنْدَ ذَوِي العِرْفانِ ما قالَهُ نُكْرُ

➲ الأمر التبس على الشاعر. أو لعلّه شمس الدين أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد الجزري الدمشقي الشافعي، المولود سنة ٧٥١ والمتوفّى سنة ٨٣٣، ومن مؤلّفاته كتاب أسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب. انظر الأعلام للزركلي ٧: ٤٥.

(١) هو عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله الدَّهْلوي، من أهل دهلي بالهند، فقيه حنفي، كان محدّث عصره في الهند، جاور الحرمين الشريفين أربع سنوات، وأخذ عن علمائها، قيل بلغت مصنّفاته مائة مجلّد بالعربيّة والفارسيّة، منها كتاب مدارج النبوّة، ولد سنة ٩٥٩ وتوفّي سنة ١٠٥٢. انظر الأعلام للزركلي ٣: ٢٨٠، وإيضاح المكنون ٢: ٤٥٣.

(٢) هو كمال الدين الحسين بن علي الكاشفي الواعظ البيهقي السبزواري ويعرف بالواعظ الهروي، كان يُتَّهم في هراة وسائر بلاد ماوراء النهر بالتشيّع والرفض، وفي سبزوار وسائر بلاد الشيعة بالتسنن والتحنّف أو التشفّع، وخاصّة من جهة صحبته للأمير علي شير السّنّي، ومصاهرته مع المولى الجامي السّنّي، وأكثر تصانيفه مؤلّفة على طريقة أهل السنّة، توفّي سنة ٩١٠ بهراة. انظر رياض العلماء ٢: ١٨٦، وأعيان الشيعة ٦: ١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) أي شَقيّ، فقد تستعمل صيغة التفضيل والمبالغة لغير التفضيل والمبالغة، ومن ذلك قول الفرزدق كما في ديوانه ٢: ٣١٨:

إنّ الّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا بيتاً دعائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

أي، عزيزة وطويلة.

(٤) الغَمْرُ: الجاهل، والذي لم يجرّب الأُمُور.

(٥) هو فضل الله بن روزبهان بن فضل الله الخنجي الشيرازي الشافعي، كان محدّثاً صوفيّاً متعصِّباً شاعراً أديباً، له تآليف وتصانيف، أشهرها الردّ على كتاب «نهج الحق» للعلّامة الحلّي، وسمّاه «إبطال نهج الباطل»، توفّي سنة ٩٢٧. انظر شرح إحقاق الحق ١: ٧٣ ـ ٨٢.

وَزادَ بِـــطُنْبُورِ الغِـــوايَـــةِ نَـــغْمَةً[١] يَـــرِنُّ عَـلَى مِـزْمارِها البَـغْيُ والكُـفْرُ
قَدِ افْتَضَّ مِنْ بِكْرِ الأَكاذِيبِ عُـذْرَها وَمـــا مَـهْرُها إلَّا الخِـيانَةُ والغَـدْرُ
بأَنَّ «حَكِـيمَ بـنَ الحِـزامِ»[٢] بكَـعْبَةٍ تَوَلَّدَ[٣] في عَـهْدٍ تَـمادَى بِـهِ العَـصْرُ
وَذاكَ لَـــعَمْرُ الحَـقِّ كِـذْبٌ مُـزَوَّرٌ أُرِيـــدَ بـــه كَـتْمُ الحَـقِيقَةِ والسَّـتْرُ
فَهٰذِي صِحاحُ القَوْمِ مِن مُسْنَداتِـهِمْ وَلَـيْسَ بِـها مِـن ذاكَ رَسْـمٌ ولا ذِكْـرُ
وصَرَّحَ في «المُسْتَدْرَكِ الحِاكـمُ»[٤] الَّـذي عَـــنا دُونَـــهُ كُـلُّ الجَـهابِذةِ الغُـرُّ
بأَنْ لَمْ يَـصِحَّ النَّـقْلُ فِـيهِ، وَلَـمْ يَـثِقْ بِـصِحَّةِ ذاكَ القَـوْلِ مَـنْ لَـهُمُ خُـبْرُ
ومَـــهْمَا نُسَـــلِّمْ فـــالقَضِيَّةُ إنَّـــما أَتَتْ مِنْ مَزايا حارَ في فَهْمِها الفِكْـرُ
بِـصَدْعِ جِـدارِ البَـيْتِ بـاباً لِـفاطِمٍ بِهِ دَخَلَتْ في البَيْتِ إذْ جاءَها الأَمْـرُ
وَلَسْـنا نَـرَى فَـخْراً بـذاكَ لِـحَيْدَرٍ بَـلِ الكَـعْبَةُ العَـلْياءُ حَـلَّ بِـها الفَـخْرُ
هَلِ الدُّرُّ بـالأَصْدافِ يَكْسِبُ مَـفْخَراً أَمِ الفَخْرُ لِلأَصْدافِ حَيْثُ بها الدُّرُّ؟!
وَإِنَّ فُـــؤادَ المَـــرْءِ مَـفْخَرُ صَـدْرِهِ وَلَيْسَ فَخارُ القَلْبِ أَنْ ضَمَّهُ الصَّـدْرُ

---

(١) زاد في الطُّنْبُور نَغْمَة: مثل من أَمثال المولَّدين، يُضربُ لمن زاد على الجهالةِ جهالةً. انظر مجمع الأمثال ١: ٣٢٧.

(٢) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي، كان من قريش، عالماً بالأنساب، وكان من المنافقين، أسلم يوم الفتح، وكان من حاشية عثمان بن عفّان ومن المدافعين عنه، ولد في الجاهليّة، ومات سنة ٥٤، وزعم بعض الزاعمين أنّه ولد في الكعبة. انظر الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٩، والوافي بالوفيات ١٣: ٨١.

(٣) هذه من استعمالات المولَّدين، والصَّواب «وُلِدَ»، لكنّ الوزن لا يستقيم معها.

(٤) كتاب «المستدرك على الصحيحين»، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي، المعروف بالحاكم النيسابوري، والمتوفّى سنة ٤٠٥، وهو أشهر كُتُبه، وهو من أكابر حفّاظ الحديث والمصنّفين فيه. انظر الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٧.

عَـلِيٌّ وَصِـيُّ المُـصْطَفَى وَوَزِيـرُهُ وَوارِثُـهُ فـي الخَـلْقِ وَالأَخُ والصِّـهْرُ
هُـوَ المُـجْتَبَىٰ مِـنْ قَـبلِ خِـلْقَةِ آدَمٍ هُوَ المُرْتَضَىٰ مِن قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الذَّرُّ
وَهَلْ يَقْدِرُ الإِنْسانُ أَن يَـمْدَحَ الَّـذي يُـرَدِّدُ آيـاتِ الثَّـناءِ لَـهُ الذِّكْـرُ
فَـيا فَـرْحَةً عَـمَّ الأَنـامَ سُـرُورُها وَخَصَّ «عَلِيَّ المُرْتَضَىٰ» مِنْهُمُ البِشْرُ
عَـلَيْهِ سَـلامُ اللهِ مـا أَشْـرَقَ الوَرَىٰ بِشَمْسِ ضُحًى ضَوْءً وما أَسْفَرَ الفَجْرُ[1]

* * *

(١) الروض الأغن: ١٠٩ من هذه الموسوعة، وقد ألحقناها هنا لمناسبة الموضوع.

٢٩ ـ ولشيخنا الأُستاذ علم الهداية، والحجّة والآية، الحاج الشيخ محمّد الحسين الأصفهاني ـ المتوفّى سنة ١٣٦١ ـ قصيدة ميلاديّة فارسيّة، على طريقة الترجيع والبند المصطلح والمطّرد في الشعر الفارسي، تكاد تكون في حدّ الإعجاز من البلاغة، أذكرها على طولها:

گـوهری را از صـدف آورده طبعم در کنار
یـا کـه از خـاک نـجف تـابنده دُرّی آبـدار
بـرد از حدّ عـدم تـا «قـاب قـوسین» وجـود
رَفرَفِ طبع مـرا یک غـمزه زان «دُلدُل» سـوار
شـاهدِ بَـزمِ ولایت شـاه إقـلیم شُـهود
شـمعِ إیـوانِ هـدایت نَـیِّرِ گـیتی مـدار
صـورتِ زیـابی او یـا طـلعتِ «اللهُ نُـور»
مـعنی والای او یـا سِـرّ «لَـم تَـمْسَسْهُ نـار»
خطِّ دلجویش طِرازِ مُصحف کَونُ و مکـان
خـالِ هِـندویَش مـدارِ گـردش لیـلُ و نـهار
پـرتوی از نـور رُویَش طـور سـینای کـلیم
بـندهٔ درگـاه کُـویش صَـد سُـلیمان اقـتدار
مشـرقِ صُـبحِ اَزل خـورشیدِ عشـق «لم یَـزَل»
چـرخْ تـا شـام اَبـد در زیـر حُکـمش بـی‌قرار

در بَـرَش پـیر خِـرَد چـون کـودکی آمـوزگیر
بر دَرَش «عَقلِ مجرّد» همچو پیری خـاکسـار
شـاهبازِ اوجِ «اَو ادنـی» بـه هـنگام عُـروج
یکّـــه‌تاز عـــرصهٔ ایـجاد گـاهِ گـیر و دار
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امـین کـردگار
«لا فـــتی إلّا عـلي لا سـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

بـــاز جـــان مـــی‌پرورد ســـاز پـیامِ آشـنا
یـــا کـــه از طـورِ غَـری مـی‌آید آواز «أنـا»
مـی‌دمد صـبحِ ازل از کـوی عشـقِ «لَـمْ یَـزَل»
یـــا فُـــروزان شـمع روی شـاهدِ بَـزم «دَنـا»
جـلوهٔ شـمع طـریقت چشـمها را خـیره کـرد
یـا «سـنا بَـرقِ» حـقیقت مـی‌زند کُـوسِ فَنا
کـعبه را تـاجِ شـرف تـا اوج «اَو أدنـی» رسـید
یـافت چـون ازمـولِد مـیمون او «أقـصی المُـنی»
قـبلهٔ اهـلِ یـقین شـد خـطّیهٔ بـیت الحـرام
روضـهٔ خُـلْد بـرین شـد سـاحَت خِـیفُ و مِـنی
بیتِ معمور ار شَود ویران از این حَسرَت رواست
یـــا بـــیفتد گـــنبدِ دوّار «مِـن أعـلی البـنا»

از پـــیِ تـعظیم خَـم شـد گـوئیا پشت فـلک
فـرش را عـرشِ مُـعلّی گـفت تـبریک و هـنا
«یـا ولیـدَ البـیتِ» غـوغای نـصاری دَر مسیح
گـرچـه مـی‌زیبد تـو را لکـن «تـعالی ربُّـنا»
«مـفتقر» گـر مـی‌کند بـا یک زبـان مـدحتگری
مـی‌کند روح الامـین بـا صـد نـوا مـدح و ثـنا
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امین کـردگار
«لا فـتی إلّا عـلي لا سـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

کـعبه چـون کـوی سَبَق از سینهٔ سینا گـرفت
پـایه بـرتر از فـرازِ گـنبدِ مـینا گـرفت
خـانه بـی‌سالار و صـاحب بـود تـا مـیلاد شـاه
سَر به کیوان زد چه «ربّ البیت» در وی‌جا گرفت
تـا زِبُـرجِ کـعبه خُـورشید حـقیقت جـلوه کـرد
چرخ‌چارم سوخت‌از حسرت دل از دُنـیا گـرفت
کـعبه شـد چـون بـا مـقام «لي مـع الله» قـرین
از شـرافت هـمسری بـا بـزم «اَو أدنـی» گـرفت
خـاک بَـطحا زِیـن عـنایت آنـچنان شُـد سـربلند
رونـقِ عـزُّ و شـرف از مسـجد اقـصی گـرفت

کـــعبه شـــد تـــا مـرکز طـاوس گـلزار ازل
تـا ابـد زاغ و زَغَـنْ یکسـر ره صحرا گـرفت
خـلوتِ حـق شـد زِهَـر دیـو و دَدِ نـاپاک پـاک
در پـــناهِ اسـمِ اعـظم مـنزل و مأوی گـرفت
خـیر مـقدَم ای هُـمایون طـالع بـرج شَـرَف
مُلکِ هستی زیبُ و فـرزان طـلعتِ غـرّا گـرفت
نـغمهٔ دسـتان نـباشد در خـور ایـن داسـتان
شـــور جـــبریل امـین در عـالم بـالا گـرفت
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امین کـردگار
«لا فـــتی إلّا عـــلي لا ســـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

گـوهری شـد در درون کـعبه بـیرون از صَـدف
کـرد «بـیت الله» را بـا آن شَـرَف «بـیت الشَـرَف»
گوهری‌سنگین بها رخشان شد از «بـیت الحـرام»
کـــز ثُـریّا تـا ثـری را کـرد کـمتر از خَـزَف
کـــعبه شـــد از مـقدمِ اوقـافِ عـنقای قِـدَم
شـاهبازان طـریقت در کـنارش صَـف بِصَف
سـینهٔ سـینا مگـر از هـیبتش شـد چـاک چـاک
یـا شـنید از رأفـتش مـوسی نـدای «لا تَـخَف»

زاشـــتیاقش یـوسفِ صـدّیق در زنـدان غـم
در فـراقش پـیر کـنعان نـغمهٔ سـاز و اَسَـف
خـلعتِ خِـلّت شـد ارزانـی بـر انـدام خـلیل
کـرد بـنیاد حـرم چـون بـهر آن «نِـعمَ الخَـلَف»
کـعبه را شـد هـمسری بـا تُـربت پـاکِ غـری
مـبدأ انـدر کـعبه بـود و مـنتهی انـدر نَـجف
آسمان زد کوسِ شـادی دَر مـحیطِ «کُـن فکـان»
زُهـره سـاز نـغمهٔ تـبریک زد بـی چـنگ و دَف
هـر دو گـیتی را بشـادی کـرد فـردوس بـرین
نغمهٔ روح الامین بـا یک جـهان شـوق و شَـغَف
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امـین کـردگار
«لا فـتی إلّا عـلي لا سـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

آفـتاب عـالمِ لاهـوت از بـرجِ قِـدَم
کـرد گـیتی را چـه صـبح روشـن از سَـر تـا قَـدَم
کـعبه شـد مِشکـاةِ مـصباح جَـمالِ «لَـم یَـزَل»
بـیت «ربّ البـیت» را گـردید مَـجلای أتَـم
کـوکبِ درّی دَرِی بگشـود از فـیضِ وجـود
کـز فـروغش نـیست جـز نـامِ دروغـی از عَـدَم

کِلْکِ قدرت در درونِ کعبه نقشی را نگاشت
پایه‌اش را برد بَرْتَر از سَرِ لوحُ و قَلَم
کعبه گوئی کنز مخفی بود و گوهرزای شد
زین شرافت تا ابد گردید در عالم عَلَم
مکّه شد «أُمُّ القری» از مولدِ «أُمُّ الکتاب»
قبهٔ عرش برین زَد بوسه بر خاک عَدَم
شاه اقلیم «سَلُونی» تا قَدَم در کعبه زد
قبلهٔ حاجات گشت و مستجارُ و ملتزم
ازمروّت داد عنوانی صفا و مروه را
وَزْ فتوّت آبروئی یافت زمزم نیز هَم
منطقِ تقریر می‌گوید «لَقَد کَلَّ اللسان»
خامهٔ تحریر می‌نالد «لَقَدْ جَفَّ القلم»
گوش جان بگشا و بشنو از امین کردگار
«لا فتی إلّا علي لا سیف إلّا ذوالفقار»

* * *

گلشن خُلد برین شد عرصهٔ بیت الحرام
تا خرامان گشت در وی تازه سَروی خوشخرام
نو نهالی معتدل از بوستان «فَاستَقِم»
شاخهٔ طوبی بری از روضهٔ «دار السلام»

قـامتی در اسـتقامت چـون «صـراط مستقیم»
سَـرو آزادی بـقامت هـمچو مـیزانـی تـمام
قَـدّ و بـالای دل آرامش بـغایت دِلْسِـتَان
عـالَم از حسـنِ نـظامَش در کـمالِ انـتظام
شـمعِ بَـزمِ کـبریائی گـاه قـد افـراخـتن
نـخلهٔ طـور تـجلّای الهـی در کـلام
نـقطهٔ بـائیه بـود و در تـجلّی شـد الف
مـصحفِ کـونین را داد افـتتاح و اخـتتام
تـا قـیامت وصـف آن قـامت نگـنجد در بـیان
لیک مـی‌دانـم قـیامت مـی‌کند از وی قـیام
زان مـیان حـاشا اگـر آرم حـدیثی در مـیان
سرّ «خاص الخاص» کـی بـاشد روا در بـزمِ عـام
وصـفِ آن بـالا نـباشد کـار هـر بی‌پا و سَـر
مـن کـجا و مـدحت آن سـرور والا مـقام
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امـین کـردگار
«لا فـتی إلّا عـلي لا سـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

تـا دِرخشـان شـد درونِ کـعبه آن وجـه حَسَـن
«ثمّ وجهُ الله» روشن شد بـرون شـد شکُّ و ظـن

چونکه بودش خلوتِ «غیب الغیوبی» جایگاه
دید «بیت الله» را نیکو مثالی از وَطَن
کعبه شد طورِ حقیقت سینهٔ سینا شکافت
پور عمران کو که تا باز آیدش آواز «لن»
در محیط کعبه چندان موج زد دریای عشق
کز نهیبش گشت نُه فُلکِ فَلَک لنگر فِکَن
سِرِّ وحدَت از جبینش آنچنان شد آشکار
کَز در و دیوارِ بیت الله فراری شد وَثَن
نقشِ باطل چیست با آن صورتِ یزدان پرست
با وجود اسم اعظم کی بماند اهرِمَن
تا عَلَم زد بر فرازِ کعبه شاهِ مُلک و عشق
عالم توحید را یکباره روح آمد به تَن
شهریار «لا فَتی» تا زد قَدَم در آن سرا
حسنِ ایّام جوانی یافت این دهر کُهَن
تیشه بَر سَر کوفت از ناقابلی فرهادوار
مفتقر هرچند می‌گوید بشیر بی‌سخن
گوش جان بگشا و بشنو از امین کردگار
«لا فتی إلّا علي لا سیف إلّا ذوالفقار»

* * *

کعبه تا آن نقطهٔ بائیّه را در بر گرفت
در جهان گوی سَبَق از چار دَفتر برگرفت

در مـحیط کـعبه شـد تـا نـقطهٔ وحـدت مـدار
عـــالم ایـــجاد را آن نـقطه سـرتاسر گـرفت
نـــامهٔ هسـتی شـد از طـغرای نـامش نـاموار
طـــلعت زیـــبا از آن دیـــباچهٔ دفـتر گـرفت
تـا کـه زیـر پـای او را از دل و جـان بـوسه زد
آنـچه را در وَهـم نـاید کـعبه بـالاتر گـرفت
از قـدوم روح قـدسی از شـغف پـرواز کـرد
شـــاهباز سـدّ رَه را زیـر بـال و پـر گـرفت
شـد حـرم «دار الأمـان» در رقـص آمـد آسـمان
تا که «شعری» بـوسه از خـاکِ رَهِ مَشـعَر گـرفت
چشـمهٔ خـاور فـروغی دیـد از آن مـاه جـبین
نـار طـور از شـعلهٔ نـور جـمالش درگـرفت
عـقل فـعّال از دبسـتان جـمالش بـهره یـافت
چون خـداونـد سـخن جـا بـر سَـرِ مـنبر گـرفت
شَـــهسواری آمـــد انـدر عـرصهٔ مـیدان رَزم
کـز سـرانَ عـالم امکـان سَـر و افسـر گـرفت
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امـین کـردگار
«لا فـــتی إلّا عـــلي لا ســـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

کـــعبهٔ کـــوی حـقیقت قـبلهٔ اهـل وصـول
مســـتجار عُـلوی و سُـفلی و ارواح و عـقول
نســخهٔ اسـماء و سَـرْ لوح حـروفِ عـالیات
مـصدرِ افـعال و اوّل صـادر و اصـلُ الأُصـول
آنکه بودش «قاب قوسین» اولیـن قـوس صـعود
کـــعبه‌اش گـاه تـنزّل آخـرین قـوسِ نـزول
در رواقِ عـــزّتش اشـــراقـیان را راه نـیست
در حریم خلوتش عـقل است مـمنوع از دخـول
ریـــزه‌خوارِ خـوانِ او مـیکال بـا حـفظ ادب
حـــامل فـرمان او جـبریل بـا شـرط قـبول
قـطره‌ای از قـلزم جـودش مـحیطی بـی‌کران
عکســی از نـور جـمالش آفـتابی بـی اُفـول
حاکـم ارض و سـما بـی‌شبهه انـدر رتـق و فَـتق
واجبِ مـــمکن نـما بـی اتّـحاد و بـی‌حلول
خـــاتمِ درّ ولایت فـــاتح اقـــلیم عشـــق
هرکه این معنی نـمی‌دانـد ظَـلوم است و جَـهُول
دست «هـــو» ادراک کـوتاه است از دامـان او
پس چـه گـویم مـن «تـعالی شأنـه عـمّا نـقول»
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امـین کـردگار
«لا فـــتی إلّا عـــلي لا ســـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

شـــد سَـمَندِ یکّـه تـاز طـبع را زِتـو دو تـا
چـون قَـدَم زد دَر مـدیح شَـهسوار «لا فـتی»
خـامهٔ مشکـینِ مَـن چـون مـی‌نگارد ایـن رقـم
خون خورَد از رَشک و حسرت نـافهٔ مشکِ خـتا
گـر بگـیرم بـاج از تـاجِ کـیان نَـبْوَد عَـجَب
چـون سـرایـم نـغمه‌ای از تـاجدار «هَـل اَتـی»
ای سـروش غـیب پـیغامی زکـوی یـار مـن
جـان بِـلَب آمـد زحسـرت هسـتی «حتّی مـتی»
عـمر بگـذشت و نـدیدم روی خـوبی ای دریـغ
زنـــدگانی رفت بـــر بـــاد فـــنا «واحسـرتا»
روز مـن از شب سـیه‌تر کـو جـهان افـروز مـن
صـــبحم از شـــام غـریبان تـیره‌تر «واغـربتا»
در حـــضیض جـــهل افـــتادم زاوج مـعرفت
وز مـــیان شـــهر دانش در کـــنارِ روســـتا
عشـــق گُـفتا دَست زَن در دامـنِ شـیر خـدا
تـا رهـائی از نـهنگ طـبع چُـون پُـور «مـتی»
آنکـه در اقـلیم وَحـدت فـرد بـی‌مانند بـود
وآنکـه انـدر عـرصهٔ مـیدان نـبودش هـیچ تـا
گـوش جـان بگشـا و بشـنو از امـین کـردگار
«لا فـــتی إلّا عـــلي لا ســـیف إلّا ذوالفـقار»

* * *

٣٠ ـ وللسيّد عبّاس الحسيني الملقّب بـ «الجوهري» وتخلّصه الشعري (ذاكر) في ديوانه المطبوع سنة ١٣٣٥ المسمّى «خزائن الأشعار» في الخزينة الأُولى المسمّاة «جواهر الأسرار»:

زپشت پرده تا بی‌پرده یار من نمایان شد
زشرم روی او خورشید اندر پرده پنهان شد
ولادت یافت اندر کعبه آن مولود مسعودی
که ذات پاکِ او مرآت ذاتِ پاکِ یزدان شد
تجلّی کرد تا نور رُخَش اندر حریم حق
حَرَم حرمت گرفت و قبله‌گاهِ اهل ایمان شد
همان نوری که موسی دید اندر وادی ایمَن
مگر بار دگر در کعبه باز آن نور تابان شد
همانا کعبه آمد در شَرَف بالاتر از وادی
که آنجا نورِ او اینجا وجودِ او درخشان شد[1]

(١) جواهر الأسرار: ٦.

٣١ ـ وقال شيخُ أُدباء العصر ومأثرة فضلائه الشيخ محمّد بن الطاهر[١] السماوي النجفي:

[من المنسرح]

يـابنَ أبـي طـالبَ الذي حَـفِظَ الْـ إسـلامَ إذْ جـاءَ أَحْـمَدٌ شَـعْبَهْ
غـيرَ مُـبالٍ بـالمشركينَ وقَـدْ سَـدُّوا عـليهِ مـن وِرْدِهِ ثَـعْبَهْ[٢]
قـد وُلِـدَ المُصطفى فأُخْـمِدَتِ النَّـ ـارُ الَّـتي يَـعْبُدُونها رَغْـبَهْ[٣]
وأنتَ لمّـا وُلِـدْتَ فـي حـرمِ اللّـ ـهِ تـعالىٰ فـي البَيْتِ فـي الكَـعْبَهْ
صَـعِدْتَها تَكْسِـرُ البـقيّةَ مِـنْ مـا عَـبَدُوهُنّ شُـعبةً شُـعْبَهْ
سَـلَّمَكَ المُـصْطَفى فـيالِفَتًى أقـلَّ[٤] مَـتْنا مـحمَّدٍ كَـعْبَهْ
وَيـا لِـحُمْقِ المُكـايِلِيهِ بِـمَنْ لو شـاءَ أَلْـقَى عـليهِمُ قَـعْبَهْ[٥]

(١) ترجم في باب التراجم من «من هنا وهناك» من هذه الموسوعة. ولد سنة ١٢٩٣، وتوفّي سنة ١٣٧٠.

(٢) الثَّعْب: مسيل الماء.

(٣) أي يعبدونها رغبةً فيها.

(٤) أَقَلَّ الشيءَ: حَمَلَهُ.

(٥) المُكايلة: المُغالبة في الكَيْل. والقَعْب: القدح.

٣٢ ـ وللخطيب المِصْقَع الشاعر المُفْلِق الشيخ محمّد علي ابن الخطيب الأديب الشاعر الشيخ يعقوب، الحلّي، النجفي[١]، من مقصورته العلويّة المطبوعة:

[من الرجز]

له بـبَطْنِ البَـيْتِ خَـيْرُ مَـوْلِدِ نـالَ بـه البيتُ فَـخاراً وعُـلا
هُـــناك ســـمّتْهُ عَـلِيّاً أُمُّـهُ حيثُ من العَـلِيّ وافـاها النِـدا
ثـمّ تـولّى أمْـرَهُ الهـادي وكَـمْ أرضَـعَهُ لِسـانَهُ حـتّى اغْـتَذَى
يـحملُه طـفلاً عـلى عـاتِقِهِ يطوفُ فيه بِشِعابِ أمّ القُـرَى
كم قامَ بـالليلِ الطـويلِ سـاهِراً يَـهُزُّ فـيهِ مَـهْدَهُ طُـول الدُّجـى
يُـــؤْوِيهِ ليـــلاً ونـــهاراً عـــندَهُ حتّى نَشَا في حِجْرِ طاها وارْتَبىٰ
ربّـاهُ طِـفْلاً واصْـطَفاه يـافعاً لنَـصْرِهِ إذْ يَسْـتَجِيرُ فـي حِـرا
مُسْتَعْدِياً فـيهِ عـلى مَـنْ سـاءَهُ أيّامَ قد عَزَّ المُحامِي والحِـمَىٰ
يُـبْدِي إليـه مـن خَـفايا سِـرِّهِ حتّى حَوَىٰ من العُلُوم ما حَوَىٰ

(١) هو الشيخ محمّد علي ابن الشيخ يعقوب بن جعفر اليعقوبي، من العلماء الشعراء، وهو عـميد الرابطة الأدبيّة في النجف الأشرف، له ديوان شعر وعدّة مؤلّفات، من أشهرها «البابليات». ولد سنة ١٣١٣، وتوفّي سنة ١٣٨٥. انظر الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٩.

٣٣ ـ وقال الشريف الفاضل المرحوم الميرزا أبوالقاسم الحسيني الشيرازي[١] وقد أبدع في نظمه:

ای وحدت و کثرت همه از روی تو پیدا
از ذرّه و بیضا همه بر روی تو شیدا
عشقِ رُخِ تو از سَرِ هر ذرّه هویدا
یک قطره زِعلمِ تو صَد قَلزم صیدا
ای عنصر خاکی که به آن روح مجرّد

* * *

آن کعبه و آن کوفه که بس خلق شتابند
بر طوف حرم شان صف املاک بیابند
از مولد و از مرقد تو مدح نمایند
از حلم چو تو گوهر یکتای نزایند
زان است که عالم زتو گردیده مشیّد

* * *

(١) السيّد أبوالقاسم ابن السيّد محمّد رضا أخي السيّد حبيب والد آية الله السيّد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي المتوفّى سنة ١٣٨٠، والمترجم له هو صهر السيّد إسماعيل الشيرازي المتوفّى سنة ١٣٠٥.

مولود تو در کعبه چو بشگفت عـلم زد

گوئی که خداونـد در آن بـقعه قـدم زد

بر نـقشهٔ اصـنام جـهان نـقشِ عَـدَم زد

بــر صــفحهٔ نــورانـی اسـلام رَقَـم زد

تأیید جهان کـرد چـو خـود بـود مـؤیّد

٣٤ ـ وللفاضل حامل لواء العلم والأدب، الأُستاذ الشيخ جعفر النقدي[١] قصائد علويّة، نظم في غير واحد منها هذه الفضيلة الباهرة، فمن بائيّةٍ له قوله:

[من البسيط]

لا تعجبُوا إذ أتى في البَيْتِ مولِدُهُ فليسَ ذلكَ من عَلياهُ بالعَجَبِ
لأنّ فوقَ الثَّرىٰ من أَجْلِهِ رُفع الْـ ـبيتُ العَتِيقُ وفيهِ خُصَّ بالرُّتَبِ

ومن رائيّة له قوله:

[من الكامل]

زَهَرَتْ به أكنافُ مكَّةَ مُذْغَدا مِيلادُهُ في البَيْتِ ذِي الأستارِ
ما البيتُ شَرَّفَهُ ولكنْ شَرَّفَ الْـ ـبيتَ الحرامَ بساطِعِ الأنوارِ

ومن يائيّة له قوله:

[من البسيط]

من خَصَّ مولِدُهُ في بَيتِهِ شَرَفاً للبَيْتِ يومَ أقامَ البَيْتَ بانِيهِ
لذاكَ قِبْلَةَ مَن صَلّىٰ لخالِقِهِ غَدا ومَقْصدَ مَنْ للحجِّ يأتيهِ

(١) ترجم الشيخ جعفر النقدي في الديوان، حرف الباء. ولد سنة ١٣٠٣، وتوفّي سنة ١٣٧٠.

٣٥ ـ واقتصصتُ أثر القوم بنظمِ هذه الأبيات، وخَمّسها النطاسيّ المحنّك الميرزا محمّد[١] ابن الطبيب الحاذق الميرزا صادق ابن شيخ الأَواسي الميرزا باقر ابن الورع التقي الصالح المتطبّب الميرزا خليل الرازي النجفي، وإليك الأصل والتخميس:

[من الكامل]

قد كَلَّ عن فَضْل الوصيّ المَنْطِقُ مُذْ ضاقَ فيه غَرْبُها والمَشْرِقُ
ولذاكَ أَعْجَبُ إذْ يقولُ محقّقُ: «سَبَقَ الكرامَ فها هُمُ لم يَلْحَقُوا»
«في حَلْبةِ العَلْياء شَأْوَ كُمَيتِهِ»[٢]

* * *

فَمَنِ الكِرامُ بِجَنْبِ بَحْرٍ زاخِرِ طَفَحَتْ بهِ أمواجُهُ بمَفاخِرِ
ضاعَ القِياسُ لِناظِمٍ ولِناثِرِ «إذْ خَصَّهُ المَوْلَى بِفَضْلٍ باهِرِ»
«فيه يُمَيِّزُ حَيَّهُ من مَيْتِهِ»

* * *

وَلَدَتْهُ فاطمةٌ بِكَعْبَتِهِ ومُذْ وَلَدَتْه ظَنَّ به المُغالي يَوْمَ شَذْ
جَلَّ الإلهُ عنِ الشَّريكِ غَداةَ إذْ «لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وما إنْ يَتَّخِذْ»
«إلّا وكانَ وِلادُه[٣] في بَيْتِهِ»

---

(١) ترجم الأُستاذ الخليلي في «سبع الدُّجيل» من هذه الموسوعة.

(٢) الشأو: الأمد والهمّة. والكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر.

(٣) كان الأولى أن يقول: «وليدَهُ». وقد نظر في هذا البيت إلى قول الميرزا إسماعيل الشيرازي:
إن يكنْ يُجعل للّه البنونْ وتعالى اللهُ عمَّا يَصِفُونْ

❊ ❊ ❊

مـا كـان ابـنٌ مـثلَ مـا قَـدْ ظَـنَّهُ نَـفَرٌ بـلىٰ عَـبْدٌ يُـحاوِلُ مَـنَّهُ
يَـدْعُو إلى تَـوْحِيدِهِ لٰكِـنَّهُ «فـي البَيْتِ مَوْلِدُهُ يُـحقِّقُ أنّـهُ»
«دُونَ الأنـام ذُبـالَةٌ[1] فـي زَيْـتِهِ»

❊ ❊ ❊

وكتب الفاضل المخمِّس إلينا في ذيل نظمه هذين البيتين:

[من السريع]

خَـمَّسْتُ أبـياتكَ لٰكِـنَّني مُعتَرِفٌ أنّـي لَكُـمْ داعِـيَهْ
إنّـي تَـطَفَّلْتُ عَـلَيها وقـدْ تَشْفَعُ لي أخلاقُكَ السامِيَهْ

فكتبتُ تحتَهما هذين البيتين:

كَسَوْتَ أبـياتي جَـمالاً بِـهِ تَـرْفُلُ فـي أبـرادِهِ الضـافِيَهْ
وحَقَّ أنْ أَغْدو لَـهُ شـاكِـراً مـا خَـلَدَتْ آثـارُهُ البـاقِيَهْ

➲ فَوليدُ البيت أحرى أن يكونْ لوليِّ البـيت يُـدْعَى وَلَـدا
لا عُزيرٌ لا ولا ابنُ مَرْيَمِ

(١) الذُّبالة: الفتيلة التي تُسرج.

٣٦ ـ وقال العلّامة البارع السيّد مير علي ابن السيّد عبّاس ابن السيّد راضي أبو طبيخ النجفي[١]، من قصيدة يُخاطب بها أميرالمؤمنين عليه السلام، ويُعاتبه على المصائب الواردة:

[من المتقارب]

أَلَمْ تَكُ للّهِ أمضَى حُسامْ؟ أَلَمْ تَكُ في بَيْتِهِ تُولَدُ؟
يُنَوِّهُ باسمِكَ منهُ[٢] المَقامْ ويَعْنُو لَكَ الحَجَرُ الأسْعَدُ
ولَولاكَ لم يُهْدَ هذا الأنامْ ولَوْلاكَ لم يَسْتَقِمْ مَعْبَدُ
تَدُورُ بِكَ الحَرْبُ دَوْرَ الرَّحَىٰ فَتَثْبُتُ كَالقُطْبِ الماثِلِ[٣]

(١) ترجم في باب التراجم في «الجوهر المنضّد» من هذه الموسوعة.
(٢) الضمير يعود للبيت.
(٣) الرويّ مختلف هنا، والظاهر أنّه من خطأ الطباعة، وصوابه بأن يكون مثلاً: «فتثبت كالقُطْب إذ تُوقَدُ».

٣٧ ـ وقال العلّامة الكبير السيّد محسن الأمين العاملي، من مقصورة علويّة له[١]:

[من الكامل]

لكَ يا أميرَالمؤمنينَ مَناقبٌ ظهرتْ ظُهُورَ الشَّمس فيوَقْتِ الضُّحَىٰ
مشهورةٌ لا يُستطاعُ جُحُودُها فالناسُ مُذْعِنَةٌ بِها حتّى العِدا
نَصُّ «الغدير» كفاكَ فَضْلاً، إنّهُ لكَ في الرِّقابِ جَمِيعِها عَقْدُ الوِلا
هيَ مِن فضائِلكَ العظيمِ الشأنِ إحْـ ـدٰاها إلى أَمثالِها الفَضْلُ انْتهى
ووُلِدْتَ في البَيْتِ الحرامِ ولم يَكُنْ هذا لغيركَ مَنْ يكُونُ ومَنْ مَضَىٰ
يكفيكَ ما قد جاءَ في التَّطهيرِ أو في «قُلْ تعالَوْا» أو أتَى في «هَلْ أَتَىٰ»[٢]

(١) مترجم في «سبائِك التبر» من هذه الموسوعة.

(٢) ديوانه ١: ٧١. والآيتان من سورة آل عمران: ٦١، والإنسان: ١.

٣٨ ـ وقال الشيخ علي الملقّب بالشيخ الرئيس الخراساني ـ المتوفّى في حدود سنة ١٣٢٠ ـ في منظومته الموسومة بـ «تنبيه الخاطر في أحوال المسافر»[١] عند ذكر الإمام عليه السلام:

شاهی كه به خلق پيشوا بود نَفسِ نبی و رُخِ خدا بود
مرآتِ حقيقتِ نهان اوست سِرِّ همه مخفی و عيان اوست
دَر خانهٔ كعبه [چون كه] زاد است ما نازِ طوافِ او مراد است

(١) تنبيه الخاطر في أحوال المسافر: ٤.

٣٩ ـ وقال الشاعر الطائر الصيت، الميرزا محمّد علي التبريزي، الملقّب في شعره بـ (صائب) المعاصر للشاه سليمان الصفوي رحمه الله، الذي هبط «عبّاس آباد» من أعمال «أصفهان»، وسافر إلى الهند، ثمّ عرّج عليها، من قصيدة يمدح بها الكعبة، ويذكر مزاياها، مستهلّها:

ای سوادِ عنبرین قامت سودای زمین
مغزِ خاک از نکهتِ مشکین لباست یافته چین

إلى أن يقول في التخلّص إلى مدح الإمام عليه السلام:

هیچ تعریفی تو را زین به نمی‌دانم که شد
در تو پیدا گوهر پاک امیرالمؤمنین

ذكره في «الخزانة العامرة»[1] نابغةُ الهند غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلگرامي، المولود سنة ١١١٦.

(١) الخزانة العامرة: ٢٩١.

٤٠ ـ فذكر أنّه نَظَم أيضاً قصيدة يمدح بها البيت الحرام، ويتخلّص إلى مدح الإمام عليه السلام مستهلّها:

مرحبا ای کعبهٔ اشرف چه والا گوهری
قیمتی داری که قربان تو گردد مشتری

إلى أن قال في التخلّص:

مطلع خورشید خوانم مَن تو را الحق بجاست
از تو سر زد آفتاب [عالَم از آن] سروری
شاه مردان صفدر یزدان که دست تیغ او
کرد حک از صفحهٔ ایّام نقش کافری
نور سیمای هدی یعنی علی المرتضی
افتخار دورهٔ آدم زِروشن گوهری

وذكر القصيدة برمّتها في الصفحة: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

لكنّه بدّل هذا التخلّص ـ بعد ما وقف على تخلّص (الصائب)، وما في القصيدتين من توارد الخاطرين، حذار أن يُقْذَفَ بالسرقة ـ بقوله:

بر تو واجب شکر مولائی که دستِ قدرتش
بر زمین افکند از بالا اِلٰه آذری

٤١ ـ وقلتُ في مولد مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام ،مادحاً ومهنّئاً بها آية الله السيّد الميرزا علي آقا الشيرازي ، نذكرُ منها قدرَالحاجة :

[من المتقارب]

إِلَـيْكَ انْـتَهَتْ حَـلَقاتُ الشَّـرَفْ فَـزَمَّ[١] القَـرِيضُ إِلَـيْكَ وَخَـفْ
وَإِمّـا مَـدَحْتُ فَـفِيكَ المَـدِيحُ يُـزانُ لِـهٰذا عَـلَيْكَ وَقَـفْ
فَـجابَ القِـفارَ إِلَـى سَـيِّدٍ تَـهِشُّ إِلَـيْهِ رَوابِـي النَّـجَفْ
إِلَـى زُبْـدَةِ المَـخْضِ مِـن هـاشِمٍ وَمُـزْدَلَفِ الحَـيِّ وَالمُـعْتَكَفْ
وَسَـعْدِ العَشِـيرَةِ مِـنْ غـالِبٍ سَـناءاً فَـخاراً عُـلُوّاً شَـرَفْ
وَإِمّـا احْـتَبَى الدَّسْتَ جَـلَّى بِـهِ وَغُـرَّتُهُ البَدْرُ تَـجْلُو السَّـدَفْ[٢]
وَمِـن دَوْحِ عِـرْفانِهِ المُسْـتَنِيـ ـرِ بِـالدِّينِ عِـلْمٌ لَـنا مُـقْتَطَفْ
هُـوَ العَـبْقَرِيُّ لَـهُ بِـالنُّبُو غِ كُـلُّ المَـلا فـي العُـلُوِ اعْـتَرَفْ
هُـوَ البَـحْرُ لٰكِـنَّ مِـنْ مَـدِّهِ ـ وَلا جَـزْرَ فِـيهِ ـ الوَرَى تَـغْتَرِفْ
فَـدَعْ عَـنْكَ قَـوْلَ الشُّـعُوبِيِّ فِـيهِ فَـذِي إِحَـنٌ ضَـلَّ فِـيها السَّـلَفْ
فَكَـمْ نـالَ مِـن هـاشِمٍ عُـصْبَةٌ لأَحْـقادِها قَـدْ حَـداها الصَّـلَفْ
وَشَـمْسُ الحَـقِيقَةِ قَـدْ أَشْـرَقَتْ عَـلَى الحَـقِّ أَبْـلَجَ لا تَـنْكَسِفْ
وَحَسْبُ مُـداجِـيهِمُ سُـبَّةً وَعـاراً يُـعَقِّبُ أُفّـاً وَتُـفْ

(١) زَمَّ: شَدَّ الزِّمام.
(٢) السَّدَف: الظّلمة.

وَأَيْنَ اللَّصِيقُ وأَيْـنَ الصَّـمِيمُ[١]؟ وأَيْـنَ العَـرِيقُ وَنَـجْرٌ يُـلَفْ؟
هُـوَ المُـصْلِحُ الفَـذُّ يَـبْغِي الوِئـامَ إِذِ الأَمْـرُ بَـيْنَ الشُّـعُوبِ اخْـتَلَفْ
وَذِي كَـعْبَةُ العِـلْمِ فـي بَـيْتِهِ وَمِـنْ حَـوْلِهِ لِـلْوَرَى مُـزْدَلَفْ
وَجَـوْهَرَ عِـلْمٍ حَـوَى صَـدْرُهُ كَـذلِكَ يَـحْوِي اللَّآلِي الصَّـدَفْ
وَحَسْبُ زَعِـيمِ بَـنِي غـالِبٍ مَدِيحُ الكِتابِ وَذِكْـرَى الصُّـحُفْ
فَـدَعْ شِـبْلَ أَحْـمَدَ وَالمَكْـرُماتِ وَدُونَكَ شـانِئَهُ وَالتَّـرَفْ
صَـرِيخُ قُـرَيْشٍ فَـمَنْ غَـمَّهُ الـ ـخُطُوبُ لِـعَلْيا حِـماهُ دَلَـفْ
وَمُـنْتَصِفُ النَّـاسِ مِـنْ نَـفْسِهِ وَفـي بَـطْشِهِ لِـعِداهُ النَّـصَفْ
مَشَى في الثَّـرى وعَـلَى هـامَةِ الثُّـ ـرَيّا بَـنَى مِـن عُـلاهُ الغُـرَفْ[٢]
فَـما لِـلْوَرَى عَـنْهُمُ نُـدْحَةٌ[٣] وَفِـيهِمْ لِـواءُ النُّـبُوَّةِ رَفْ
فَـمُخْتَلَفُ النّاسِ فِـيهِمْ[٤] وَلِـلْـ ـمَلائِكِ فـي بَـيْتِهِمْ مُـخْتَلَفْ
إِلَـيْهِمْ وَعَـنْهُمْ وَإِلّا فَـلا حَـدِيثٌ يُـقالُ وَمَـدْحٌ يُـزَفْ
فَـنَهْضاً أَبـا حَسَـنٍ لِـلْهُدَى فَشَـعْبُكَ قَـد عـاثَ فِـيهِ الجَـنَفْ
لَـقَدْ ضَـرَبُوا فـي رُبَـى يَـثْرِبٍ لَكُـمْ ثَـبَجاً يَـوْمَ هُـدُّوا شَـرَفْ
ذُنـابَى تُـعاضُ عَـنِ الأَكْـرَمِينَ وَتـاجٌ يُسـامُ بِـنَعْلٍ وَخُـفْ

---

(١) أخذ هذا المعنى من قول أميرالمؤمنين عليه السلام في كتاب له أَرسله إلى معاوية: «ولكن ليس أُميّة كهاشم... ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق». نهج البلاغة ٣: ١٧/ الكتاب ١٧.

(٢) قال أميرالمؤمنين عليه السلام كما في الديوان منسوب إليه: ١٣٧:

فكُنْ رَجُلاً رِجلُهُ في الثّرى وهـامةُ هِـمَّتِهِ فـي الثُّـرَيّا

(٣) النُّدْحة: المُتَّسَع.

(٤) إشارة إلى نزول قوله تعالى في الآيات ١ ـ ٣ من سورة النبأ: ﴿**عَمَّ يَتَسَائَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾ في أميرالمؤمنين عليه السلام واختلافهم فيه.

وَقـــامَ الضَّـــلالُ عَـــلَى سُـــوقِهِ بِـــفارِسِ أَحْـــزابِـــهِ يَسْـــتَخِفْ
فَـــهُدَّتْ مَـعالِمُ مِـن سُـنَّةِ الـ ـهُدَى وَوَشِيجُ الكِتابِ انْتَصَفْ
وَهَـلْ يَشْـتَكِي الدِّيـنُ إِلَّا إِلَـيْكَ عُـــلُوجَ النَّـثِيلَةِ والمُـعْتَلَفْ[1]
فَأَضْـحَى[2] يُـهَنِّيكَ فـي فَـرْحَةٍ لَها زُخْرِفَتْ فـي الجِنانِ الغُـرَفْ
كَـــلِفْتَ بِـــدِينِ أَبِـيكَ النَّـبِيِّ وَقَـدْ هـامَ فِيكَ وَأَبْـدَى الكَـلَفْ
فَـبَتَّك شَكْـواهُ عِـنْدَ الكُـرُوبِ وَأَهْدَى[3] إِلَـيْكَ التَّـهانِي شَـغَفْ

* * *

لَـقَدْ شُـرِّفَ البَـيْتُ فـي مَـوْلِدٍ زَهَتْ بِسَـناهُ عِـراصُ النَّـجَفْ
بِـنَفْسِ الرَّسُـولِ وَزَوْجِ البَـتُولِ وَأَصْـلِ العُـقُولِ وَمَـغْنَى الشَّـرَفْ
وَبـــابِ مَـــدِينَةِ عِـلْمِ النَّـبِيِّ وَصـــارِمِ دَعْـــوَتِهِ وَالخَـــلَفْ
وَجـــاءَ مُـــطَهَّرُ بَـــيْتِ الإِلٰـهِ فَعَنْ مَـجْدِهِ كُـلَّ رِجْسٍ[4] قَـذَفْ
أَزاحَ عَـــنِ البَـــيْتِ أَوْثـــانَهُمْ وَأَزْهَـقَ مَـنْ عَـنْ هُـداهُ صَـدَفْ
وَكـــانَ الخَـــلِيلُ لَـــهُ رافِـعاً قَـــواعِـــدَه فَـلَهُ مـا رَصَـفْ
فَـلَيْسَ مِـنَ البِـدْعِ أَنْ أُسْـدِلت عَـلَى شِـبْلِهِ مِـنْهُ تِـلْكَ السُّـجُفْ
وَإِن قِسْتَ مَـــرْيَمَ مِـــنْ فـاطِمِ فَـعَنْ فـاطِمَ الفَـضْلُ لا يَـنْصَرِفْ
وَداخِـــلَةُ البَـــيْتِ فـي طَـلْقِها إِلَـــيْها تَـــرِفُّ العُـلَى وَتَـدِفْ

(١) يعني بهم غاصبي الخلافة وبني أُميّة، أخذاً من قول أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقيّة: «إلى أن قام ثالثُ القوم نافِجاً حِضْنَيْهِ بينَ نثيلِهِ ومُعتَلَفه». نهج البلاغة ١: ٣٥/ خ٣.

(٢) الضمير يعود للدِّين.

(٣) وأسدى ـ خل.

(٤) الرِّجْس هنا الأصنام، حيث قذفها أميرُالمؤمنين عليه السلام عن ظهر الكعبة.

فَـــبُشْراكُـــمُ شِـيْعَةَ المُـرْتَضَى فَـقَدْ جـاءَ مُـنْقِذُكُـمْ والكَـنَفْ[١]
سَيَحْمَدُ قَوْمِي السُّرَى فـي الصَّـبا حِ[٢] إِذْ لَيْسَ يُجْدِي الجَحُودَ الأَسَفْ
ويَـحْظَونَ بِـالبِشْرِ يَـوْمَ التَّـنادِ وَبِـالنَّارِ مَـنْ عَـنْ هُـداهُ عَـزَفْ
هُـوَ المُـرْتَضَى لَـمْ يَـحُزْ غَـيْرُهُ بُـرُودَ الخِـلافَةِ إِلّا اعْـتَسَفْ[٣]
لَـئِنْ حـاوَلُوا سَـتْرَ عَـلْيائِهِ فَـعَنْ أَمْـرِهِ نَـصَّ «خُـمٍّ» كَشَـفْ
أَبـانَ الوَلاءَ لَـهُ أَحْـمَدٌ وَشَـيْخُ عَـدِيٍّ بِـذاكَ اعْـتَرَفْ
لَـهُ الأَمْـرُ بِـالنَّصِّ تـاجٌ زَهـا عَـلَيْهِ وإِمّـا لِـنَعْلٍ خَـصَفْ[٤]
وَما شَرَفُ العَـرْشِ لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ بِشِـبْلَي عَـلِيٍّ عَـلَيْهِ شَـنَفْ
وَمَـنْ كُـفْوُ فـاطِمَ لَـوْلا الوَصِـيُّ بِذاكَ القَضاءُ جَـرَى ثُـمَّ جَـفْ[٥]
هُـوَ الهـاشِمِيُّ فَـلَيْسَ لَـهُ أَواصِـرُ مِـن عَـبْدِ شَـمْسٍ تُـلَفْ
لَـقَدْ ضَـلَّ فِـيهِ مُـحِبٌّ غَـلا وَقـالَ بِـعَلْيائِهِ مُسْـتَخِفْ
وَلي سَـنَنٌ بَـيْنَ هٰـذا وَذا تَـرَكْتُ الغُـلُوَّ وَجُـزْتُ العَسَـفْ
وَدِيـني عَـلِيٌّ وَلَـمْ أَكْـتَرِثْ وَحَـقَّ لِـمِثْلِيَ أَنْ لَـمْ يَـخَفْ

---

(١) الكَنَف: الظِّل، وما يَصُون ويحفظ.

(٢) أَخذاً من قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «عند الصّباح يحمد القوم السُّرَى». وهو مَثَلٌ يُضرب لمن يتعب ثمّ يجد ثمرة تعبه. انظر نهج البلاغة ٢: ٦١/ آخر الخطبة ١٦٠، ومجمع الأمثال ٢: ٣/ المثل ٢٣٨٢.

(٣) اعتَسَفَ: ظَلَمَ.

(٤) إشارة إلى حديث خاصف النَّعل.

(٥) أي أنّه قضاء حتم.

أَحُـوزُ بِـهِ شَـرَفاً فـي الحَـياةِ وَأَنْـجُو بِـمَقْدَمِهِ فـي الجَـدَفْ[١]

* * *

عَـذَرْتُ الجَـهُولَ بِـغُلْوائِـهِ[٢] وَإِن كـانَ فِـيما ارْتَآهُ انْـحَرَفْ
لَـقَدْ وَقَـفَ المُـرْتَضَى مُـوْقِفاً بِـذِرْوَتِهِ كُـلَّ فَـضْلٍ ثَـقِفْ
وَقَـدْ حـازَ شَـطْرَ صِـفاتِ الإِلٰـهِ فَما ذَنْبُ مَن ضَـلَّ فِـيما وَصَـفْ
أَمـاتَ وَأَحْـيَى العِـدَى وَالهُـدَى بِبَطْشٍ وَلِينٍ[٣] هُما في حَـنَفْ[٤]
وَأَغْـنَى وَأَقْـنَى بِسَـيْبِ يَـدٍ تَـمُدُّ البُـحُورَ وَجُـودٍ وَكَـفْ

* * *

لَـقَدْ عَـبَدَ اللهُ فـي مَـوْقِفٍ عَلَى اللَّاتِ فِيهِ ابـنُ تَـيْم عَكَـفْ
حَـمَى الدِّيـنَ مِـنْهُ حُسـامٌ نَـضا وَعِـلْمٌ غَـزِيرٌ وَرَأْيٌ حَـصِفْ[٥]
وَهٰـذا الضَّـلالُ بِكَـرَّاتِـهِ رَثَـاهُ الَّـذِي بِـرِداهُ الْـتَحَفْ
وَأَصْـبَحَ يَـرْزَحُ فـي ذِلَّـةٍ غَـداةَ بِأَسْـرِ الإِمـامِ رَسَـفْ
فَكَمْ غـاصَ فـي حَـوْمَةِ المُـلْتَقى فَـثَلَّمَ سَـيْفاً وَرُمْـحاً قَـصَفْ
وَأَوْهَـنَ ظَـهْراً وَأَوْهَـى يَـداً وَأَهْـوَى مَـناراً وأَخْـلَى كَـنَفْ
مَواقِفُ قَد خـاضَ فِـيها الغِـمارَ وَجـابَ القِـفارَ وَأَوْدَى بِـصَفْ
وَأَخْـمَدَ لِـلشِّرْكِ بُـرْكـانَهُ بِـماضٍ أَعـارَ شَـباهُ الرَّهَـفْ

---

(١) الجَدَفُ: الجَدَثُ، والفاءُ بدلٌ من الثّاء.
(٢) الغُلْواءُ: الغُلُوّ.
(٣) في البيت لفّ ونشر مرتّب، أي أمات العدى ببطش، وأحيى الهُدى بلينٍ.
(٤) الحَنَفُ: الاستقامة.
(٥) حَصُفَ حَصافَةً: كان جيِّدَ الرأي محكمَ العقل، فَهُوَ حَصِفٌ وَحَصِيفٌ.

«وَبَـدْرٌ» فَسَلْ فِيهِ عَنْ ضَيْغَمٍ إذا احْتَدَمَ الحَرْبُ[١] فِيها زَحَفْ
وَفِي «أُحُدٍ» يَوْمَ فَرَّ الجَمِيـ ـعُ كَرَّ الوَصِيُّ وَأَفْشَى التَّلَفْ
«حُنَيْنٌ» لِمَنْ فِيهِ قَرْعُ الصَّفاةِ[٢] وَصَدْعُ القَناةِ وَرَمْيُ القُحُفْ[٣]
وَسَلْ «خَنْدَقاً» إذ ثَوَى عِنْدَهُ هِزَبْرٌ الهَزاهِزِ لَمَّا خُطِفْ
وَسَلْ «خَيْبَراً» مَنْ دَحا بابَهُ وَفِيهِ لَفِيفَ اليَهُودِ اكْتَنَفْ[٤]
وَقَدْ أَجْلَتِ الحَرْبُ عَنْ مَرْحَبٍ صَرِيعاً يُقامُ عَلَيْهِ اللَّهَفْ
وَراحَ الوَصِيُّ وَفِي كَفِّهِ لِواءُ أَخِيهِ النَّبِيِّ يَرِفْ
فَإِن نازلَ القَرْنَ أَوْدَى بِهِ وَإِنْ قابَلَ الرّاسِياتِ نَسَفْ
بِعَزْمٍ لَهُ صاغَهُ مِقْضَبا بِمَتْنَيْهِ شَكْلُ المَنِيَّةِ شَفْ
وَجُنْدُ البَهِيمَةِ فَاسْتَحْفِهِمْ[٥] مَنِ اكْتَسَحَ القَوْمَ لَمَّا وَقَفْ؟
وَثَنَّى «بِصِفِّينَ» يَثْنِي[٦] الكُماةَ وَيَمْسَحُ بِالسَّيْفِ لا عَنْ سَرَفْ
«وَبِالنَّهْرِ» أَجْرَى الدِّما أَبْحُراً بِتَيّارِ بَأْسٍ طَمَى فَجَرَفْ
فَدَيْتُكَ يابْنَ أَبِي طالِبٍ لَقَدْ ضَلَّ مَنْ بِسِواكَ هَتَفْ
وَتُهْدَى إِلَيْكَ بُرُودُ الثَّنا ءِ ما هَزَّ فِيكَ المُوالي شَغَفْ
وَيا آيَةَ اللهِ دُمْ لِلْهَنا وَلِلْمَجْدِ تُومِي إِلَيْكَ الأَكُفْ[٧]

---

(١) الحَرْبُ مؤنّثة، وقد تُذَكَّر، وذلك حَمْلاً على معنى القتال.
(٢) الصَّفاة: الحجَر الصَّلد الضَّخم، يقال: فلان لا تُقْرَعُ له صَفاةٌ، أي لا يناله أحد بسوء.
(٣) القُحُفْ: جَمْع قَحْفة الرأس.
(٤) اكتَنَفَ فلانٌ فلاناً: أحاط به. ويمكن أن تضبط «لفيفُ» بالرفع، واكتَنَفَ بمعنى اتَّخَذَ كَنَفاً.
(٥) أي سَلْهُمْ.
(٦) يردي ـ خ ل.
(٧) الرياض الزاهرة: ١٢٨، دفتر الشعر من هذه الموسوعة: ٩٦.

٤٢ ـ وقال الشاعر المسيحي بولس سلامة، في ملحمته التاريخيّة الكبرى، المسمّاة بـ«عيد الغدير» أبياتاً ضمّنها ولادة الإمام عليه السلام، في الكعبة:

[من الخفيف]

سمعَ الليلُ في الظلامِ المديدِ هَمْسةً مثلَ أنّةِ المَفْؤُودِ[1]
مِن خَفِيِّ الآلامِ والكَبْتِ فيها ومِنَ البِشْرِ والرَّجاءِ السَّعِيدِ
حُرّةٌ لزَّها المَخاضُ فلاذَتْ بسِتارِ البَيْتِ العَتيقِ الوطِيدِ
كعبةِ اللهِ في الشَّدائدِ تُرْجَىٰ فَهْيَ جِسْرُ العَبيدِ لِلْمَعْبُودِ
لا نِساءٌ ولا قَوابلُ حَفَّتْ بابنةِ المَجْدِ والعُلا والجُودِ
يَذَرُ الفقرُ أشرفَ الناسِ فَرْداً والغنيُّ الخليعُ غيرُ فَريدِ
أَينما سارَ واكَبَتْهُ جِباهٌ وظُهُورٌ مَخْلُوقةٌ للسُّجُودِ
صَبَرَتْ فاطمٌ على الضَّيْمِ حتّىٰ لَهَثَ الليلُ لَهْثَةَ المَكْدُودِ
وإذا نَجْمَةٌ من الأُفقِ خَفَّتْ تَطْعَنُ الليلَ بالشُّعاع الجَدِيدِ
وتدانَتْ من الحَطِيمِ وقَرَّتْ وتَدَلَّتْ تَدَلِّيَ العُنْقُودِ
تَسْكُبُ الضَّوءَ في الأَثِيرِ دَفِيقاً فعلَى الأرضِ وابِلٌ من سُعُودِ
واستفاقَ الحَمامُ يَسْجَعُ سَجْعاً فَتَهِشُّ الأركانُ لِلتَغْرِيدِ
بَسَمَ المسجدُ الحرامُ حُبُوراً وتنادَتْ حِجارُهُ لِلنَّشِيدِ
كانَ فَجْرانِ ذلكَ اليومَ: فَجْرٌ لِنَهارٍ وآخَرٌ للوَلِيدِ
هالَتِ الأُمَّ صرخةٌ جالَ فِيها بعضُ شيءٍ من هَمْهَماتِ الأُسُودِ

(١) المَفْؤُود: الذي أُصيب فُؤاده بوجع.

دَعَتِ الشِّـــبْلَ حَـــيْدراً وتَـــمنَّتْ وأَكـــبَّتْ عـــلى الرَّجـــاءِ المَـدِيدِ
«أَسَـــداً» سَـــمَّتِ ابْـــنَها كأَبِـيها لِـــبْدَةُ الجَـــدِّ أُهْـــدِيَتْ لِـلْحَفِيدِ
بَـــلْ «عَـــلِيّاً» نَـدعُوهُ قـالَ أبـوهُ فـــاسْتَفَزَّ السَّـــماءَ للـــتأْكِـــيدِ
ذلكَ اســـمٌ تـــناقَلَتْهُ الفـــيافِي وَرَواهُ الجُـــلْمُودُ لِـــلجُلْمُودِ
يـهرَمُ الدَّهْـرُ وهـو كـالصُّبْح بـاقٍ كـــلَّ يـومٍ يَأْتـي بِـفَجْرٍ جَـدِيدِ

* * *

الولادةُ في الكعبة المعظَّمة[1]
فضيلة لعليّ عليه السلام خصَّه بها ربُّ البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

---

(١) وقفنا على بحث قيّم، وتحقيق رصين للأُستاذ الفاضل شاكر شبع عنوانه: «الولادةُ في الكعبة المعظَّمة فضيلة لعليّ عليه السلام خصّهُ بها ربُّ البيت». وقد نشر في مجلّة تراثنا (٢٦: ١١ ـ ٤٣)، وهي نشرة فصليّة تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. في مدينة قم المشرّفة.

وقد أوفى فيه على الغاية في بيان شرف تلك المنقبة التي انفرد بها مولانا أميرالمؤمنين، وإمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن مظاهر وفاء الأُستاذ الكاتب وإنصافه إشارته في مقدّمة البحث إلى جهود شيخنا المصنّف في طَرْق هذا الموضوع، وتسليط الأضواء عليه بما سيمرّ عليك نصّه.

ونحن في الوقت الذي نقدّر جهود الأُستاذ المذكور نقدّم إليه أزكى آيات الشكر والامتنان على كتابته ذلك الموضوع الشريف أوّلاً وبالذات، ولوفائه لشيخنا قدّس سرّه ثانياً وبالعرض.

ولأهمّيّة هذا البحث، ورصانة مداركه، ومناسبته لهذا الكتاب، ارتأينا إدراجه في ضمنه، والله الموفّق.

مهدي آل المجدّد الشيرازي

أمّا بعد، فقد حالفني الحظّ في مطالعة كتاب «عليٌّ وليد الكعبة» لسماحة الشيخ الحجّة الميرزا محمّد علي الغروي الأُوردبادي تغمّده الله برحمته، وسبرت غوره بقدر ما وسعني ذلك، فامتلأتْ نفسي إعجاباً به، وإكباراً له، ووجدتني مندفعاً لتسجيل كلمة تُعرب عن مبلغ ارتياحي وابتهاجي بهذا الأثر القيّم ومكانته.

ولم يَعْزُني شكٌّ في أنّه نفحةٌ من نفحات أميرالمؤمنين عليه السلام مَنَحَها المؤلّفَ فاستأثر بها، مُطْلِقاً العنانَ لسعة باعه وقوّة بيانه المفعم بعناصر التجويد والإبداع، مُوقِفاً الباحث على جليّة حديث الولادة الميمونة، مُظْهِراً في أثناء ذلك مبلغ عنائه في جمع موادّه.

ولشدّة ما استهواني موضوع الكتاب بدأت أجمع استدراكات له، تتميماً وتعضيداً. والذي حداني إلى ذلك ثقتي بأنّه قدّس سرّه لو أمدّ الله في عمره لصنع مثل ما صنعتُ، وبارك ليَ فيما كتبتُ، خاصّة أنّي اقتفيت في هذا التتميم أثره، وسلكت منهجَه.

وقد تجمّعت لديّ نصوصٌ كثيرة من مخطوط الكتب ومطبوعها، قديمها وحديثها، نادرها ونفيسها، ممّا كان الوصول إليه والحصول عليه في زمان الحجّة المؤلّف أمراً عسيراً، ومجموع ذلك يُغني لإثبات صحّة الحديث، والكشف عن اتّفاق أهل العلم والفضل عليه.

ولكن الذين ﴿**يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[1] لم تُطاوعهم نفوسهم لقبول فضائل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وهذه أوّلها بما فيها من

(١) النساء: ٥٤.

دلالات عميقة، فحاولوا تشويهها بشتّى الأساليب، تمريراً لسياسة معاوية في التصدّي لفضائل الإمام عليه السلام، تلك السياسة التي دبّرها وعمّمها في مرسوم سلطاني يقول فيه:

برئت الذمّة ممّن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته[١].

ثمّ كتب إلى عمّاله في جميع الآفاق:

إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقضٍ له في الصحابة، فإنّ هذا أحبُّ إليّ وأقرُّ لعيني، وأدحضُ لحجّة أبي تراب وشيعته[٢].

قال الراوي: فَرُويت أخبارٌ كثيرة في مناقب الصحابه مفتعلة لا حقيقة لها! فظهر حديثٌ كثيرٌ موضوع، وبهتان منتشر[٣]!

وبهذه الجرأة والصلافة ملأوا كتبهم بالأكاذيب الكثيرة، والفضائل المجعولة، والأحاديث الموضوعة.

وحيث لم يَطالُوا إنكارَ فضيلة المولد الشريف للإمام علي عليه السلام لوضوحه واشتهاره، بل تواتره والاتفاق عليه، عمدوا إلى وضع أُسلوب آخر لإخفاء أثرها، وهو ادّعاء مثل ذلك لشخص آخر هو الصحابي حكيم بن حزام، وروّجوا لهذه المزعومة حسب الإمكانات التي هيّأتها لهم السلطة وأعوانها.

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ١١: ٤٤ عن كتاب «الأحداث» لأبي الحسن علي بن محمّد المدائني.

(٢) المصدر السابق ١١: ٤٦.

(٣) المصدر السابق.

وهذه ليست أوّل خصوصيّة يحاولون سلبها عليّاً عليه السلام، بل هناك غيرها كثير، **منها**:

الحديث المتواتر المتّفق على صحّته: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[١].

وضعوا قباله حديثاً واهياً هو: «أنا مدينة العلم، وأبوبكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعليٌّ بابها».

وحديثاً آخر أشدَّ وهناً وأظهر وضعاً، هو «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، ومعاوية حلقتها!»[٢].

ومنها: الحديث المتواتر الثابت الآخر: «عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسى».

وضعوا قباله حديثاً يشهد متنه وسياقه بوضعه، فضلاً عن سنده، هو: «أبوبكر وعمر منّي بمنزلة هارون من موسى!»[٣].

ومنها: الحديث المتواتر الصحيح الآخر: «لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسولُه..».

وضعوا قباله حديثاً مثيراً للضحك والسخرية والاستغراب، هو: «لأُعطينّ هذا الكتاب رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله! قم يا عثمان بن أبي العاص»، فقام عثمان بن أبي العاص، فدفعه إليه!!»[٤]

ويكشف عن هذا التلاعب المكشوف، ويبيّن أنّه كان أمراً معروفاً ومألوفاً،

---

(١) انظر الغدير ٧: ١٩٧ ـ ١٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر الغدير ١٠: ٩٤.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ١: ٤٣٨ ح٧٨٨، عنه مجمع الزوائد ٩: ٣٧١.

قول الزهري في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد بن حنبل في «فضائل الصحابة»، قال:

حدّثنا عبدالرزّاق، قال: أنا معمّر، قال: سألتُ الزهري: من كان كاتب الكتاب يوم الحديبيّة؟

فضحك وقال: هو عليٌّ، ولو سألت هؤلاء ـ يعني بني أُميّة ـ قالوا: عثمان[١].

واستعراض باقي الأمثلة يُخْرِجُنا عن موضوع البحث الرئيسي، وإنّما أردنا الاستدلال على منهج أُولئك في سلب الخصوصيّة، وجرأتهم على وضع الأحاديث الواهية قبال الأحاديث السليمة.

هذا رغم ميل بعض العلماء إلى أنّ ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ليست فضيلة ولا مكرمة، وإنّما كانت اتّفاقاً ولم تكن قصداً، كما ارتأى ذلك الصفوري وغيره[٢].

وأغرق بعضهم نزعاً في الضَّلال، ورمى القول على عواهنه، متحدّياً ما أثبته مَهَرَة الفنّ وأئمّة النقل، وأخبت كبار العلماء والمؤرّخين بصحّته، ولم يكترث بأسانيده المتضافرة، وطرقه المتّصلة المعتمدة عند كلّ مؤالف ومُخالف، فقال:

«إنّ حكيم بن حزام وُلِدَ في جوف الكعبة، ولا يُعْرَف ذلك لغيره، وأمّا ما روي أنّ عليّاً وُلِدَ فيها فضعيفٌ عند العلماء»[٣].

وقد أجاد الحجّة الأُردوبادي في الردّ عليه، وتفنيد مزاعمه، فراجع أواخر باب «حديث الولادة والمؤرّخون».

---

(١) فضائل الصحابة ٢: ٥٩١ ح١٠٠٢ طبع مكّة.

(٢) انظر نزهة المجالس ٢: ٢٠٤.

(٣) إنسان العيون ١: ٢٢٧.

ولكن نجد رغم ذلك أنّ محاولتهم فيما يخصّ فضيلة المولد الشريف في الكعبة المعظّمة باءت بالفشل[١]، فلو رجعنا إلى مصادر الحديث لوجدنا خلالها ـ مع إثبات تلك الفضيلة للإمام علي عليه السلام على اليقين والجزم ـ أنّ من المؤلّفين والعلماء والرواة من أعلن أنّ هذه الفضيلة مختصّة بالإمام عليه السلام لم يشركه فيها أحد قبله ولا بعده، مصرّحين بذلك بعبارات شتّى تدلُّ على حصر هذه الفضيلة للإمام عليه السلام بضرس قاطع.

وإليك نصوصها:

«لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحلّه في التعظيم».

رواها الحافظ أبو عبدالله محمّد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨) عن الحاكم أبي عبدالله النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥)[٢].

وقالها أيضاً:

ـ الشيخ أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي، الشيخ المفيد (ت ٤١٣)[٣].

ـ الحافظ يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي، المعروف بابن البطريق (٥٣٣ ـ ٦٠٠)[٤].

---

(١) قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٤: ٢٦٩: «كلّما أرادوا ـ يعني بنو أُميّة ـ إخمادها وهدّدوا من حَدَّثَ بمناقبه لا تزداد إلّا انتشاراً».

(٢) كفاية الطالب: ٤٠٧.

(٣) الإرشاد: ٩.

(٤) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٤.

ـ الشيخ الثبت أبو علي محمّد بن الحسن الواعظ الشهيد النيسابوري، المعروف بابن الفتّال، من علماء القرن السادس[١].

ـ الشيخ الوزير بهاء الدين أبوالحسن عليّ بن عيسى الأربلّي (ت ٦٩٣)[٢].

ـ الإمام جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٦)[٣].

ـ السيّد المحدّث جلال الدين عبدالله بن شرفشاه الحسيني، المتوفّى نيّف وثمانمائة من الهجرة[٤].

ـ الشيخ المحدّث الحسن بن أبي الحسن الديلمي، من أعلام القرن الثامن الهجري[٥].

ـ الشيخ المؤرّخ النسّابة جمال الدين أحمد بن علي الحسني، المعروف بابن عِنَبة (ت ٨٢٨)[٦].

ـ العلّامة المحدّث السيّد وليّ الله بن نعمة الله الحسيني الرضوي، من أعلام القرن التاسع الهجري[٧].

---

(١) روضة الواعظين: ٧٦.

(٢) كشف الغمّة ١: ٥٩.

(٣) نهج الحق وكشف الصدق: ٢٣٢.

(٤) منهج الشيعة في فضائل وصيّ خاتم الشريعة: ٧، نسخة مكتبة آية الله الكلبايكاني المؤرّخة سنة ١٢٦٥.

(٥) إرشاد القلوب: ٢١١.

(٦) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٥٨.

(٧) كنز المطالب وبحر المناقب: ٤١، نسخة المدرسة الفيضيّة المؤرّخة ٩٨٩.

ـ العالم اللُّغوي الشيخ فخر الدين الطريحي (٩٧٩ ـ ١٠٨٧)[١].

ـ العلّامة محمود بن محمّد بن علي الشيخاني القادري الشافعي المدني، من أعلام القرن الحادي عشر[٢].

* * *

«ولد بمكّة في البيت الحرام، ولم يولد قطّ في بيت الله تعالى مولود سواه لا قبله ولا بعده، وهذه فضيلة خصّه الله تعالى بها، إجلالاً لمحلّه ومنزلته، وإعلاءً لقدره».

قالها:

ـ أمين الإسلام الشيخ المفسِّر أبوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨)[٣].

ـ الحافظ محمّد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي، من أكابر علماء العامّة في القرن الثاني عشر[٤].

* * *

«ولد بداخل البيت الحرام، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحدٌ سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له، وإعلاءً لمرتبته، وإظهاراً لتكرمته».

قالها:

ـ الحافظ نورالدين علي بن محمّد بن الصبّاغ المكّي المالكي (٧٨٤ ـ ٨٥٥)[٥].

---

(١) جامع المقال: ١٨٧.

(٢) الصراط السوي: ١٥٢، نسخة المكتبة الناصريّة في لكهنو بالهند، والتي يظهر أنّها بخطّ المؤلّف.

(٣) إعلام الورى: ١٥٣، تاج المواليد: ١٢.

(٤) مفتاح النجا في مناقب آل العبا ـ مخطوط. نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ١١٥.

(٥) الفصول المهمّة: ٣٠.

وحكاها عنه:

ـ الفقيه المؤرّخ نور الدين علي بن عبدالله الشافعي السمهودي (٨٤٤ ـ ٩١١) في «جواهر العقدين في فضل الشرفين العلم الجليّ والنسب العليّ».

ـ الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ ـ ١٠٤٤) في «إنسان العيون»[١].

ـ الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، من علماء القرن الثالث عشر[٢].

* * *

«ولد في البيت الحرام، ولا نعلم مولوداً في الكعبة غيره».

قالها نقيب الطالبيّين الأديب الفقيه أبوالحسن محمّد بن الحسين الموسوي، المعروف بالشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦)[٣].

* * *

«ولدته ـ أُمّه ـ في الكعبة، ولا نظير له في هذه الفضيلة».

قالها علم الهدى ذوالمجدين علي بن الحسين الموسوي، المعروف بالشريف المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦)[٤].

* * *

«لم يولد في الكعبة إلّا عليّ».

قالها:

---

(١) عنهما عليٌّ وليد الكعبة: ١١٩، ط الثانية.

(٢) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار: ١٥٦.

(٣) خصائص الأئمّة: ٤.

(٤) شرح قصيدة السيّد الحميري المذهبة: ٥١، طبعة مصر سنة ١٣١٣.

ـ الحافظ الفقيه محمّد بن علي القفّال الشاشي الشافعي (ت ٣٦٥)[١].

ـ شيخ الإسلام الحافظ المحدِّث إبراهيم بن محمّد الجويني الشافعي (٦٤٤ ـ ٧٣٠)[٢].

* * *

«ولدت ـ فاطمة بنت أسد ـ عليّاً عليه السلام في الكعبة، وما ولد قبله أحدٌ فيها».

نصّ على ذلك السيّد الشريف النسّابة نجم الدين أبوالحسن عليّ بن محمّد العلوي العمري، من علماء القرن الخامس الهجري[٣].

* * *

«لقد وُلِد عليه السلام في بيت الله الحرام، ولم يولَد فيه أحدٌ غيره قطّ».

قالها الشيخ الفقيه أبوالحسين سعيد بن هبة الله، المعروف بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣)[٤].

* * *

«مولده عليه السلام في الكعبة المعظّمة، ولم يولد بها سواه».

قالها العلّامة عمر بن محمّد بن عبدالواحد[٥].

* * *

---

(١) فضائل أميرالمؤمنين: مخطوط، عنه إحقاق الحق ٧: ٤٨٩.

(٢) فرائد السمطين ١: ٤٢٥.

(٣) المجدي في أنساب الطالبيّين: ١١.

(٤) الخرائج والجرائح ٢: ٨٨٨.

(٥) النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم: ١٦، مخطوطة مكتبة آيا صوفيا ـ تركيا. وقد طبع الكتاب أخيراً بتحقيق سامي الغريري: ١٢٩.

«... فالولد الطاهر، من النسل الطاهر، وُلِدَ في الموضع الطاهر، فأين توجد هذه الكرامة لغيره؟!

فأشرف البقاع: الحرم، وأشرف الحرم: المسجد، وأشرف بقاع المسجد: الكعبة، ولم يولد فيه مولودٌ سواه.

فالمولود فيه يكون في غاية الشرف، فليس المولود في سيّد الأيّام (يوم الجمعة) في الشهر الحرام، في البيت الحرام سوى أميرالمؤمنين عليه السلام».

قالها الحافظ المؤرّخ أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨) بعد أن ذكر عدّة أحاديث في ولادة عليّ عليه السلام في الكعبة[١].

* * *

«وُلِد في الكعبة بالحرم الشريف، فكان شرف مكّة، وأصل بكّة، لامتيازه بولادته في ذلك المقام المنيف، فلم يسبقه أحد ولا يلحقه أحد بهذه الكرامة».

قالها المحدّث الجليل السيّد حيدر بن علي الحسيني الآملي من علماء القرن الثامن الهجري[٢].

* * *

«كانت ولادته بالكعبة المشرّفة، وهو أوّل من وُلِد بها، بل لم يُعْلَم أنّ غيره وُلِدَ بها».

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٧٥.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول: ١٨٩.

قالها العلّامة صفي الدين أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير الحضرمي الشافعي، من أعلام القرن الحادي عشر[١].

* * *

«وُلِد عليه السلام بمكّة داخل الكعبة على الرخامة الحمراء، ولم ينقل ولادة أحدٍ قبله ولا بعده في الكعبة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

قالها كلٌّ من:

ـ العالم المحدّث الفقيه السيّد تاج الدين بن علي بن أحمد الحسيني العاملي، من علماء القرن الحادي عشر[٢].

ـ العالم الفاضل محمّد بن رضا القمّي، من علماء القرن الحادي عشر[٣].

* * *

«ولادة معدن الكرامة في جوف الكعبة، ولم يولَد أحدٌ فيها غيره، وقد خصّة الله تعالى بهذه الفضيلة، وشرّف الكعبة بهذا الشرف».

قالها العلّامة الفاضل محمّد مبين بن محبِّ الله بن أحمد اللكهنوي الأنصاري الحنفي (ت ١٢٢٥)[٤].

* * *

(١) وسيلة المآل: ٢٨٢، نسخة مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامّة، المؤرّخة ١٢٨٠.

(٢) التتمّة في تواريخ الأئمّة، الفصل الثالث، مخطوط.

(٣) كاشف الغمّة: ٤٢٢، نسخة المؤلّف المخطوطة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى، برقم ٢٠٠٠.

(٤) وسيلة النجاة: ٦٠، طبعة كلشن فيض ـ لكهنو.

«ولادته في مكّة المكرّمة في جوف بيت الله الحرام، ولم يُولد أحدٌ غيره في هذا المكان المقدّس».

قالها العلّامة الشيخ محمّد صدّيق خان الحسيني البخاري القنوجي (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧)[١].

* * *

«كانت ولادته عليه السلام في جوف الكعبة، ولم تتح هذه السعادة لأيّ أحدٍ منذ بدء الخليقة إلى الغاية؛ وإنّ لصحّة هذا الخبر بين المؤرّخين المتحفّظين على الفضائل صيتاً لا تشوبه شبهة، وتجاوز عن أن يصحبه الشكّ والترديد».

قالها المؤرّخ الشهير محمّد بن خاوند شاه بن محمود (ت ٩٠٣)[٢].

* * *

«من المتّفق عليه أنّ غيره صلوات الله عليه لم يولد هناك».

قالها المؤرّخ العالم زين العابدين الشيرواني، من علماء القرن الثاني عشر[٣].

* * *

أمّا الشعراء، وخاصّة العلماء منهم، فقد زيّنوا شعرهم بقصائد في بيان فضائله ومناقبه عليه السلام المرويّة بالطرق الصحيحة المصحّحة المتواترة، تخليداً لذكراه، وأداءً لبعض حقّه، وأثبتوا فيها خصوصيّة ولادته في الكعبة المعظّمة.

منهم: العالم الأديب أبو الحسن علاء الدين علي بن الحسين الحلّيّ، من

(١) تكريم المؤمنين بتقويم مناقب الخلفاء الراشدين: ٩٩، طبعة الهند سنة ١٢٠٧.

(٢) روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى، الجزء الثاني.

(٣) بستان السياحة: ٥٤٣، الطبعة الثانية.

العلماء الشعراء في القرن الثامن الهجري، يقول في قصيدة داليّة طويلة:

[من الكامل]

أم هل تَرَى في العالَمِينَ بأَسْرِهِمْ بَشَراً سواهُ ببيت مكّة يُولدُ
في ليلةٍ جبريلُ جاء بها مع الـ ـمَلإِ المقدّس حولَهُ يتعبَّدُ
فلَقَدْ سما مَجْداً عليٌّ كما عَلا شَرَفاً بـه دُونَ البِقاعِ المسجدُ[1]

ومنهم: العالم المتكلّم المحدِّث الفقيه المولى محمّد طاهر بن محمّد حسين القمّي، صاحب المؤلّفات القيّمة النافعة، المتوفّى سنة ١٠٩٨، في لاميّته البديعة التي مطلعها:

[من البسيط]

سلامَةُ القَلْبِ نَحَّتْني عن الزَّلَلِ وشُعْلةُ العِلمِ دَلَّتني على العَمَلِ

إلى أن يقول:

طُوبى لهُ كانَ بيتُ اللهِ مَوْلِدَهُ كمِثلِ مولِدِهِ ما كانَ للرُّسُلِ[2]

ومنهم: الفقيه المحدّث الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤) صاحب «وسائل الشيعة»، قال في أُرجوزة له في تواريخ المعصومين عليهم السلام:

[من الرجز]

مولِدُهُ بمكّةٍ قد عُرِفا في داخل الكعبة زيدَتْ شَرَفا
على رُخامةٍ هناكَ حَمْرا معروفَةٍ زادَتْ بذاكَ قَدْرا

(١) تجد القصيدة كاملة في الغدير ٦: ٣٥٦ ـ ٣٦٤.
(٢) الغدير ١١: ٣٢٠.

فـــــيا لَـــها مـــزيَّةً عَـــليَّةْ تـــخفضُ كُـــلَّ رُتْـــبَةٍ عَـليَّةْ
مـــا نـــالَها قَـطُّ نـبيٌّ مـرسَلُ ولا وصـــــيٌّ آخِـــــرٌ وأَوَّلُ

ثمّ شرع بنظم حديث يزيد بن قعنب المشهور[١].

ومنهم: الشيخ الفقيه حسين نجف التبريزي النجفي (١١٥٩ ـ ١٢٥١)، حيث يقول في قصيدته الهائيّة:

[من الخفيف]

جَـــــعَلَ اللهُ بـــيتَهُ لعـــليٍّ مـولِداً يـا لَـهُ عُـلاً لا يُضاهَى
لم يُشـــاركْهُ فـــي الولادَةِ فـيه ســيِّدُ الرُّسْـل لا ولا أنـبياها[٢]

ومنهم: العلّامة السيّد علي نقي النقوي الهندي اللكهنوي في موشّحة ميلاديّة طويلة، منها قوله:

[من الرَّمل]

لم يكُنْ في البيتِ مولودٌ سواهْ إذ تـعالى عـن مَثيلٍ فـي عُـلاهْ
أُوتـــي العـــلمَ بـتعليم الإلٰـهْ فَـــــغذاهُ دَرَّهُ قـــبلَ الفِـــطامْ
يَرْتوي منهُ بأَهْنا مَشرَبِ[٣]

ومنهم: آية الله السيّد محسن الأمين (١٢٨٤ ـ ١٣٧١) صاحب الموسوعة القيّمة «أعيان الشيعة»، حيث ذكر في أوّل باب سيرة أميرالمؤمنين عليه السلام، فصلاً في مولده، من موسوعته الآنفة الذكر:

---

(١) علي وليد الكعبة: ٣٦.

(٢) نقلها الشيخ الأوردبادي في «علي وليد الكعبة»: ٦٩ عن ديوان الشيخ المخطوط. وهي في ديوانه المطبوع بتحقيق الشيخ قيس العطّار: ٨٧ ـ ٨٨.

(٣) تجدها كاملة في «علي وليد الكعبة»: ٨٥ ـ ٨٨، والغدير ٦: ٣٣ ـ ٣٥.

[من الطويل]

وُلِـــدتَ بـــبيتِ اللهِ وهـــيَ فـــضيلةٌ خُصِصْتَ بها إذ فيك أمـثالُها كُثْرُ[١]

وله أيضاً من مقصورةٍ:

[من الكامل]

ووُلِدْتَ في البيتِ الحـرامِ ولم يَكُـنْ هذا لغيرِكَ من يكونُ ومن مَـضَى[٢]

ومنهم: السيّد حسن بن محمود الأمـين (١٢٩٩ ـ ١٣٦٨) فـي قـصيدة بـائيّة طويلة:

[من البسيط]

وُلدت في البيت بيت الله فارتفعتْ أركانُه بكَ فـوقَ السَّـبعةِ الحُـجُبِ

وتـــلكَ مـــنزلةٌ لم يُـؤْتَها بَشَـرٌ بلى ومرتبةٌ طـالَتْ عـلى الرُّتَبِ[٣]

ومنهم: الفاضل الأديب الشيخ محمود عبّاس العـاملي فـي قـصيدته العـلويّة المسمّاة بـ«الدرر السنيّة»:

[من الكامل]

مَـنْ مـثلُهُ فـي بـيتِ بـارِئِهِ وُلِـدْ ذي خَصْلَةٌ قد خُصَّ فيها مُذْ وُجِدْ

أَمْعِنْ بها يـا صـاحِ فِكْـراً واعـتَمِدْ وانظُرْ لها النَّظَرَ الصَّحيحَ ولا تَـحِدْ

من واضِحِ المِنْهاجِ وُقِّيتُ الضَّرَرْ[٤]

---

(١) أعيان الشيعة ١: ٣٢٣.

(٢) علي وليد الكعبة: ١٠٨.

(٣) أعيان الشيعة ٥: ٢٨٥، دائرة المعارف الشيعيّة ١: ١٥٣.

(٤) عليّ وليد الكعبة: ٨٣.

والشعر في خصوصيّة ولادة عليّ عليه السلام في الكعبة كثير، التقطتُ منه هنا ما هو أروع إلى السمع وأوقع في القلب.

بعد هذه المقدّمة لابُدّ من خوض غمار حديث ولادة حكيم في الكعبة، هذه المزعمة الزائفة، والرواية المجعولة، وإخضاعها لشيء من البحث والتحقيق والتمحيص، لكشف زيفها وبيان وضعها، إذ فيها الكثير ممّا يوجب الشكّ والريب في سلامتها وصحّتها، وبراءة ساحة رواتها.

وأوّل من نُسِبَت إليه وحُكِيَت عنه، وأقدمهم:

هشام بن محمّد بن السائب الكلبي: النسّابة المعروف، صاحب التآليف التي نيّفت على المائة والخمسين، والمتوفّى سنة أربع أو ستّ ومائتين، وقيل: الأوّل أصحّ.

والكلبي ممّن تكالب بعض علماء الجرح والتعديل من العامّة على تضعيفه وترك ما رواه، وعدم الاحتجاج به.

قال الدارقطني وغيره: متروك الحديث(١).

وقال يحيى بن معين: غير ثقة(٢).

وقال السمعاني: «يروي العجائب والأخبار التي لا أُصول لها.. أخباره في الأُغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها»(٣).

وهذه الاتّهامات ضدّ الكلبي ليس لها وزن عندنا، لأنّها ناشئة عن تعصّب طائفي، ومنقوضة بما يخالفها من آراء حسنة في الرجل تدلّ على خبرته وأمانته.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠: ١٠١، لسان الميزان ٦: ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأنساب ٥: ٨٦.

إلّا أنّا نشكّك في صحّة نسبة ذلك القول إليه، وفي صدق الحكاية عنه.

والمتّهم في التقوّل عليه هو راويه السكّري، فقد نسب إلى الكلبي أنّه قال في «جمهرة النسب»:

«وحكيم بن حزام بن خويلد عاش عشرين ومائة سنة، وكانت أُمّه ولدته في الكعبة»[١].

وكتاب الجمهرة من أشهر كتبه، عدّه كبار المؤرّخين من مصنّفاته، وذكروا أنّ محمّد بن سعد كاتب الواقدي ومصنّف كتاب «الطبقات» الكبير رواه عنه مع سائر مصنّفاته.

ولكنّ النسخة التي بأيدينا من كتاب «الجمهرة» هي برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّري (٢١٢ ـ ٢٧٥)، عن أبي جعفر محمّد بن حبيب بن أُميّة البغدادي (ت ٢٤٥)، عن الكلبي.

وهذا خلاف ما أثبته المؤرّخون كابن النديم والحموي وغيرهما[٢].

وكان لهذا الاختلاف أثرٌ كبير، ودور مؤثّر في متن الكتاب الأصلي.

فقد عمد السكّري إلى دسّ بعض آرائه وأقواله ومروياته في متن «الجمهرة»، مصدّراً بعضها بـ«قال أبو سعيد» مُهْمِلاً البعض الآخر، كما قام بتحريف بعض الجُمل والكلمات، أو تبديلها بما يتلاءم وآراءه الفكريّة والمذهبيّة.

وكان هذا ديدن السكّري في ما يرويه من مصنّفات غيره، وهكذا صنع بكتاب «المحبّر» لأُستاذه وشيخه أبي جعفر محمّد بن حبيب.

---

(١) جمهرة النسب ١: ٣٥٣.

(٢) انظر الفهرست: ١٤٣، معجم الأُدباء ١٩: ٢٩١.

وقد تنبّه لهذا الأمر محقّقا كتابي «الجمهرة» و«المحبّر».

قال الدكتور ناجي حسن محقّق «الجمهرة» في مقدّمة التحقيق:

«لقد وصلتنا جمهرة النسب لابن الكلبي برواية أبي سعيد السكّري، عن محمّد ابن حبيب، عن ابن الكلبي، ومع ذلك ظهرت فيها إضافات واضحة، وزيادات، وتعليقات بيّنة، لم ترد في أصل الجمهرة، بل أضافها الرواة والنسّاخ.

ولا يستبعد أن يكون أبو سعيد السكّري هو نفسه الذي قام بهذا العمل، حين وجد لديه فيضاً من الأخبار ذات الصلة بالأنساب»[١].

بعد هذا كلّه فليس من المستبعد، ولا المستحيل، أن تكون جملة «وكانت أُمّه ولدته في جوف الكعبة» في ذيل كلمة الكلبي المتقدِّمة من تلك الإضافات، والزيادات، والتعليقات البيّنة، المحسوبة «فيضاً من الأخبار ذات الصلة بالأنساب».

فإنْ كانت هذه الزيادة مبهمة بعض الشيء أو مُشَكّكاً في أنّها من «الجمهرة»، فهي واضحة، مكشوفة، جليّة في «المحبّر».

ففي فصل الندماء من قريش:

«وكان الحارث بن هشام بن المغيرة نديماً لحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ـ وحكيم هذا ولد في الكعبة، وذلك أنّ أُمّه دخلت الكعبة وهي حامِلٌ به، فضربها المخاض فيها، فولدته هناك ـ أسلما جميعاً»[٢].

فالعبارة التي بين شارحتين قد أحدثت فاصلة بين صدر الكلام وذيله، إذ المراد بقوله «أسلما جميعاً»: الحارث وحكيم، كما يدلُّ عليه قوله المتقدّم في أوّل

(١) جمهرة النسب: ١٠.

(٢) المحبّر: ١٧٦.

الفصل المذكور: «وكان حمزة بن عبدالمطّلب نديماً لعبدالله بن السائب المخزومي، أسلما جميعاً»(١).

على أنّ هذا الفصل هو في الندماء من قريش، وليس في ذكر أحوالهم وأحوال أُمّهاتهم وتاريخ ولاداتهم وكيفيّاتها.

أضف إلى هذا أنّ عناوين الفصول والأبواب في «المحبّر» انتُخِبت بدقّة لتتلاءم مع محتوياتها، كما يلاحظ بشكل جليّ أنّها خالية من الحشو وذكر الأُمور الفرعيّة، اللّهمّ إلّا في بعض الموارد التي هي من إضافات السكّري.

ففي فصل أسلاف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«وسالفه صلّى الله عليه: سعيد بن الأخنس ـ قال أبو سعيد السكّري: سعيد هذا هو الذي قال النبي صلّى الله عليه: أبعده الله، فإنّه كان يبغض قريشاً ـ ابن شريق ابن وهب..»(٢).

وما أشبه قوله «سعيد هذا» بقوله «حكيم هذا».

وما أشبه الفاصلة بين «بن الأخنس.. بن شريق» بالفاصلة الحادثة في الفقرة موضع البحث، وكلّ ما في الأمر تصديرها بـ«قال أبو سعيد السكّري» هنا، وتركها سائبة مهملة هناك.

لم يكتف السكّري بهذا، بل أضاف في بعض الموارد جملاً وروايات تتماشى مع اعتقاداته المذهبيّة.

---

(١) المصدر نفسه: ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٥.

أذكر منها ما في أواسط فصل «ذكر سرايا رسول الله صلّى الله عليه وآله وجيوشه»:

«وفيها غزوة عمرو بن العاص السهمي على ذات السلاسل، ومعه أبوبكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح في جيشه، وكان استمدّ، فأمدّه النبي صلّى الله عليه وآله بجيش فيهم أبوبكر وعمر، ورئيس الجيش أبو عبيدة بن الجرّاح.

قال أبو سعيد: فشكا أبوبكر وعمر رحمهما الله إلى النبي صلّى الله عليه عمرو ابن العاص، فقال لهما: لا يتأمّر عليكما أحدٌ بعدي، وهذا توكيد لخلافة أبي بكر وعمر رحمهما الله»[١].

ولستُ في صدد الخوض في بحوث الخلافة والإمامة، ومن هو أحقُّ بها من غيره، أو الولوج في مدح صحّة حديث «لا يتأمّر عليكما أحد بعدي» وعدمه، فهذا أمر أشبعه علماؤنا بحثاً وتفصيلاً، ولكن أوردتُ هذا المثال لبيان تلاعب السكّري في متون الكتب، وهدفه من ذلك وغايته.

يقول محقّق كتاب «المحبّر» في كلمة الختام:

«وأظنّ أنّه ـ أي ابن حبيب ـ كان يميل إلى الشيعيّة، فإنّه لا يذكر أبداً أُمّ المؤمنين عائشة، وسيّدنا أبابكر الصدّيق، وسيّدنا عمر إلّا بكلمة «رحمه الله» مع أنّه دائماً يذكر أُمّ المؤمنين خديجة وسيّدنا عليّاً بكلمة «رضي الله عنه» رضي الله عنهم أجمعين.

وأيضاً قد أثبت جميع ما يعاب به الرجل في سيّدنا عمر، مثل أنّه كان أحول[٢].

---

(١) المصدر نفسه ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) انظر المحبّر: ٣٠٣.

أو كان قد ضَرَبَ ـ قبل أن يسلم ـ جاريته ضرباً مبرّحاً على قبولها الإسلام[١]، ربّنا ﴿ **لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[٢]!

فمن أجل ذلك، فيما أحسب، أنّ راويه أبا سعيد السكّري يضيف أحياناً إلى متن الكتاب ما يؤيّد رأي أهل السنّة والجماعة في أمر الخلافة»[٣].

وقد تحامل كثيراً على ابن حبيب لوصفه عمر بأنّه أحول، وهو أمرٌ خلقي وليس عيباً كما ادّعى.

أو إثباته لبعض الحقائق التاريخيّة الثابتة المرويّة في جلِّ كتب السيرة والتاريخ كضرب عمر جاريته لأنّها سلكت طريق الحقّ وأسلمت، حتّى إنّه عدّها من الغِلِّ جهلاً وتعصّباً.

ويأليته أمعن في مسألة تلاعب السكّري المكشوف بمتن «المحبّر»، وإضافاته الواضحة إليه، حتّى يراها عين اليقين، لكنّه تساهل وقال «فيما أحسب» فكان من الذين ﴿ **ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾[٤].

* * *

فإن قيل: لا يهمّ عدم ذكر الكلبي وابن حبيب لخبر ولادة حكيم بن حزام في الكعبة، في أصل كتابيهما، وأنّها ممّا أضافه السكّري فيما بعد باعتباره الراوي الأوّل لهما، وثبوت نسبة هذه الزيادات إليه: لأنّنا نروي عن أئمّة الجرح والتعديل عندنا توثيقه.

---

(١) انظر المحبّر: ١٨٤.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) المصدر نفسه: ٥٠٩.

(٤) التوبة: ٤٥.

فقد قال فيه الخطيب البغدادي: كان ثقة ديّناً صادقاً[١].

وقال ياقوت الحموي: الراوية الثقة المكثر[٢].

فما زاده السّكّري في متن الكتابين نعدُّهُ صحيحاً مقبولاً.

قيل لهم: إنّ ما أثبتناه من التلاعب السافر للسكّري في نصوص الكتب ومتونها، ينافي إطلاقكم صفة «ثقة» عليه، لأنّ الوثاقة هي الأمانة، والثقة: الأمين، يقال: وَثِقْتُ بفلان ثِقَةً إذا ائتمنته[٣].

وقد بيّنّا أنّه لم يكن أميناً في رواية الكتابين، لخيانته للأمانة العلميّة المتّبعة في الاحتفاظ بالنصوص على ما هي عليه ونقضه قواعد الرواية، ففتح بذلك باباً للتلاعب المُعْلَن بالكتب والآثار، لم يُغْلَق إلى عصرنا هذا.

على أنّا لو سلّمنا أنّه كان ثقة كما تدّعون، فروايته هذه مردودة لأكثر من سبب.

منها: الإرسال؛

والذي عليه جلّ العلماء وأجلّتهم أنّه ضعيف، مردود، لا يحتجّ به.

قال النووي في «التقريب»: «ثمّ المرسَل حديث ضعيف عند جماهير المحدِّثين، وكثير من الفقهاء وأصحاب الأُصول»[٤].

وقال مسلم في مقدّمة «صحيحه»: «والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجّة»[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ٧: ٢٩٦.

(٢) معجم الأُدباء ٨: ٩٤.

(٣) انظر الصحاح ٤: ١٥٦٢، لسان العرب ١٠: ٣٧١.

(٤) التقريب: ٦٦.

(٥) صحيح مسلم ١: ٣٠.

وقال ابن الصلاح في «مقدّمته»: «ثمّ اعلم أنّ حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلّا أن يصحّ مخرجه بمجيئه من وجه آخر»[١].

وقال النووي: «ودليلنا في ردِّ العمل به أنّه إذا كانت رواية المجهول المسمّى لا تُقْبَل لجهالة حاله، فرواية المرسل أوْلى، لأنّ المرويّ عنه محذوف، مجهول العين والحال».

وقال ابن أبي حاتم في كتاب «المراسيل»: «سمعتُ أبي وأبا زرعة يقولان، لا يُحْتَجُّ بالمراسيل، ولا تقوم الحجّة إلّا بالأسانيد الصحاح المتّصلة»[٢].

أمّا معنى المُرسل فهو أن يكون في طريق الخبر راوٍ مُلْتَبس العين، إمّا بأن لا يُذْكَر، أو أن يُذْكَر على نحو الإبهام[٣].

وعرّفه أبوالعبّاس القُرطبي، من أئمّة المالكيّة قائلاً: «المرسَل عند الأُصوليّين والفقهاء عبارة عن الخبر الذي يكون في سنده انقطاع، بأن يُحدِّث واحد منهم عمّن لم يلقه، ولا أخذ عنه»[٤].

ورواية السكّري، حتّى لو فرضنا أنّها رواية الكلبي وابن حبيب، هي من المراسيل، وليست من المسند الذي هو عند أهل الحديث ما اتّصل إسناده من راويه إلى منتهاه[٥].

والمعروف أنّ الكلبي وابن حبيب والسكّري وغيرهم ممّن سيأتي ذكرهم

---

(١) مقدّمة ابن الصلاح: ١٣٦.

(٢) المراسيل: ١٥.

(٣) جامع التحصيل في أحكام المراسيل: ٢٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) مقدّمة ابن الصلاح: ١١٩.

قد عاشوا ونبغوا في القرن الثالث للهجرة وما بعده، فمن الذي حدّثهم بولادة حكيم في الكعبة، مع أنّها كانت قبل الإسلام بستّين سنة، كما أرّخ ذلك بعض المؤرّخين[١]؟!

ومنها: الشذوذ ومخالفة المشهور.

والحديث الشاذّ هو الحديث الذي يتفرّد به ثقة من الثقات وليس للحديث أصلٌ متابع لذلك الثقة[٢].

روى الحاكم أبو عبدالله النيسابوري وغيرهم بإسنادهم إلى يونس بن عبدالأعلى، قال: قال لي الشافعي: ليس الشاذّ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يرويه غيره، هذا ليس بشاذّ؛ إنّما الشاذّ أن يروي الثقة حديثاً يخالف فيه الناس، هذا الشاذّ من الحديث[٣].

زاد ابن الصلاح في مقدّمته: «فخرج من ذلك أنّ الشاذّ المردود قسمان:

أحدهما: الحديث الفَرْد المخالف.

والثاني: الفرد الذي ليس في راويه من الثقة والضبط ما وقع جابراً لما يوجبه التفرّد والشذوذ من النكارة والضعف»[٤].

ونحو هذا التقسيم قسّم ابن الصلاح الحديث المنكر[٥].

---

(١) انظر تاريخ البخاري الكبير ٣: ١١ رقم ٤٢.

(٢) معرفة علوم الحديث: ١١٩.

(٣) المصدر السابق، ومقدّمة ابن الصلاح: ١٧٣.

(٤) مقدّمة ابن الصلاح: ١٧٩.

(٥) انظر مقدّمة ابن الصلاح: ٨٧٤.

وقد أمر أحمد بن حنبل ابنه أن يحذف حديث «يهلك أُمّتي هذا الحيّ من قريش» لمخالفته المشهور.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: «قال أبي في مرضه الذي مات فيه: اضرب على هذا الحديث، فإنّه خلاف الأحاديث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم».

تعقّبه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب «خصائص المسند» قائلاً: «وهذا مع ثقة رجال إسناده، حين شذّ لفظه عن الأحاديث المشاهير أمر بالضرب عليه»[١].

ونقل ابن الجوزي عن بعضهم أنّه قال: «إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأُصول، فاعلم أنّه موضوع»[٢].

ولا شبهة في أنّ ما تفرّدت به هذه الآحاد من زعمهم أنّ ولادة حكيم كانت في الكعبة هو خبر شاذّ، منكر، موضوع، خالفوا فيه المنقول، وناقضوا الأُصول، إذ لم تتوفّر فيهم وفي خبرهم ما يدفع شذوذه ونكارته ووضعه.

وقد مرّ عليك قول شهاب الدين الآلوسي وغيره من الأعلام: إنّ حديث ولادة علي عليه السلام في الكعبة «أمرٌ مشهور في الدنيا، ولم يشتهر وضع غيره ـ كرّم الله وجهه ـ كما اشتهر وضعه، بل لم تتّفق الكلمة عليه».

والتأكيدُ عليه في مصادر الحديث المعتبرة ـ وكلمات مَهَرَة الفنّ، وحَمَلَة العلم، وأهل السير، وأصحاب التاريخ، وصاغة الشعر ـ لا يدع مجالاً لشيء إلّا الإذعان بأنّه الصحيح الشائع الذائع المستفيض، السائر ذكره مع الركبان، الدائر بين الناس،

---

(١) مسند أحمد ٢: ٣٠١، فتح الملك العليّ: ١٢٦.

(٢) فتح الملك العليّ: ١٢٢.

المقبول عند الأُمّة، المشهور بين القاصي والداني، شهرة لازمها تواتر الأسانيد التي لم يخل سند منها من محدِّث ثقة، وناقد خبير، وعالم باحث، ومؤرّخ ثبت، وإمام من أئمّة الفريقين وأساطينهم، لا يستهان بعددهم، ولا يطعن في روايتهم، ولا يغمز في شيء من أمانتهم، كابن إسحاق المطّلبي، وابن زكرة الأزدي، والقفّال الشاشي، والشيخ ابن بابويه الصدوق، والشيخ المفيد، والحاكم النيسابوري، والشريف الرضي، والسيّد المرتضى علم الهدى، والكراجكي، وشيخ الطائفة الطوسي، وابن أبي الغنائم العمري النسّابة، وابن أبي الفوارس، وابن المغازلي، وعماد الدين الطبري، وسبط ابن الجوزي، والحافظ الكنجي، والسيّد ابن طاووس، وشيخ الإسلام الجويني، وابن الصبّاغ المالكي، و... و...

فلا شكّ إذن في أنّه من الأحاديث «المشهورة التي يعرفها أهل العلم، وقلّما يخفى ذلك عليهم، وهو المشهور الذي يستوي في معرفتها الخاصّ والعامّ»[١].

* * *

وروى ولادة حكيم في الكعبة الزبير بن بكّار (١٧٢ ـ ٢٥٦) في كتابه «جمهرة نسب قريش».

قال: «حدّثني مصعب بن عثمان، قال: دخلت أُمّ حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش، وهي حامل مُتمٌّ بحكيم بن حزام، فضربها المخاض في الكعبة، فأُتيت بنطع حيث أعجلها الوِلاد، فولدت حكيم بن حزام في الكعبة على النطع»[٢].

---

(١) معرفة علوم الحديث: ٩٣.

(٢) جمهرة نسب قريش ١: ٣٥٣.

وليست هذه الرواية بأحسن حالاً من سابقتيها، ففيها:

أوّلاً: الزبير، وهو ضعيف عند بعضهم. قال عنه الحافظ أحمد بن علي السليماني في كتاب «الضعفاء»: منكر الحديث[١].

وذكره في عداد من يضع الحديث. وقال مرّةً: منكر الحديث[٢].

واعتذر عنه ابن حجر العسقلاني بأنّ السليماني «لعلّه استنكر إكثاره عن الضعفاء، مثل محمّد بن الحسن بن زبالة، وعمر بن أبي بكر المؤمّلي، وعامر بن صالح الزبيري وغيرهم، فإنّ في كتاب النسب عن هؤلاء أشياء كثيرة منكرة»[٣].

وثانياً: رغم البحث الجاد فيما وقع بيدي من معاجم رجاليّة لم أعثر على مدحٍ أو توثيق لمصعب بن عثمان، هذا الذي روى هذه الحادثة، سوى نسبه وهو: مصعب بن عثمان بن عروة بن الزبير بن العوّام[٤]، فلا أقلّ من أنّ حاله مجهول، إنْ لم يكن من أُولئك الضعفاء الذين أكثر ابن بكّار في الرواية عنهم في «الجمهرة» أشياء منكرة كثيرة، خاصّة أنّه كان الواسطة بين عامر بن صالح وبينه.

وشيخه هذا ـ عامر ـ كان كذّاباً، ليس بثقة، عامّةُ حديثه مسروق، يروي الموضوعات، لا يحلُّ كَتْبُ حديثه إلّا على التعجّب، ولعلّه ورَّث تلميذه شيئاً من ذلك[٥].

ثالثاً: أنّ مصعب بن عثمان هذا لم يذكر سنداً لهذه الرواية، ولا صرّح باسم من

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢: ٣١٤، تهذيب التهذيب ٣: ٣١٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٦٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٣: ٣١٣.

(٤) التبيين في أنساب القرشيّين: ٢٦٦.

(٥) انظر تهذيب الكمال ١٤: ٤٦، سير أعلام النبلاء ٤: ٤٢٩.

حكاها له، ولا أشار إلى المصدر الذي استقاها منه، وأقلُّ ما يمكننا القول: إنّها كسابقتيها مُرسلة، منكرة، شاذّة، ضعيفة.

ومن العجب أنّ بعض المؤلّفين أوردوا رواية الزبير هذه في مؤلّفاتهم يرسلونها إرسال المسلّمات، ويوردونها مستدلّين بها محتجّين، وكأنّها من الأحاديث المسندة الصحيحة المتواترة الثابتة التي لا تقبل الجدل، ولا تخضع للنقاش!!

فقد أخرجها عن الزبير:

جمال الدين أبوالفرج ابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧) في كتابه «صفة الصفوة»[١].

جمال الدين أبوالحجّاج يوسف المزّي (٦٥٤ ـ ٧٤٢) في كتابه «تهذيب الكمال»[٢].

شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨) في كتابه «سير أعلام النبلاء»[٣].

شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢) في كتابه «الإصابة»[٤].

وقد تعوّدنا من هؤلاء الأربعة ـ خصوصاً ـ محاولاتهم الدائبة للتستّر على فضائل عليّ وأهل بيته عليهم السلام وكتمانها، وتضعيفها مهما كثرت طرقها وتواترت أسانيدها، وأفرطوا في ذلك حتّى اشتهروا به.

كما تعوّدنا منهم الإخبات بصحّة الفضائل الموضوعة، والكرامات المختلقة، والأحاديث الضعيفة الواهية المرويّة في من كان على رأيهم، ويذهب مذهبهم،

---

(١) صفة الصفوة ١: ٧٢٥.

(٢) تهذيب الكمال ٧: ١٧٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣: ٤٦.

(٤) الإصابة ٢: ٣٢.

ويوافق هواهم وزيغ قلوبهم ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[١].

* * *

ورواها الحاكم أبوعبد الله النيسابوري (٣٢١ـ٤٠٥) في «المستدرك» بطريقين:

الأوّل: «سمعتُ أبا الفضل الحسن بن يعقوب، يقول: سمعت أبا أحمد محمّد ابن عبدالوهّاب يقول: سمعت عليّ بن عثّام العامري، يقول:

ولد حكيم بن حزام في جوف الكعبة، دخلت أُمّه الكعبة فمخضت فيها، فولدت في البيت»[٢].

وابن عثّام هذا هو أبوالحسن الكلابي الكوفي، توفّي سنة ٢٢٨، وتحرّف اسمه في مطبوعة المستدرك إلى غنام.

قال عنه الحاكم في تاريخه: «أديب فقيه.. أكثر ما أُخذ عنه الحكايات والزهديّات، والتفسير، والجرح والتعديل»[٣].

وروايته المتقدّمة لا تقوم بها الحجّة عند أهل العلم بالحديث، تدخل في باب الحكايات، وهو أنسب باب لها ولمثيلاتها من المرسلات الواهية والأحاديث المختلقة.

ولعلّ الذهبي قد تنبّه إلى ما فيها من الوهن والضعف فحذفها من مختصره

---

(١) الجاثية: ٢٣.

(٢) المستدرك ٣: ٤٨٢.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٧٠.

ولم ينبس عنها ببنت شفة، ولو صحّت بوجه من الوجوه لم يحذفها، إذ استنفد ما لديه من حقد وعلم مقلوب في تجريح وتضعيف وتقبيح وسبّ لرواة مناقب عليّ وأهل بيته عليهم السلام.

الثاني: «أخبرنا أبوبكر محمّد بن أحمد بن بالويه، ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، ثنا مصعب بن عبدالله، فذكر نسب حكيم بن حزام وزاد فيه:

وأُمّه فاختة بنت زهير بن أسد بن عبدالعزّى، وكانت ولدت حكيماً في الكعبة، وهي حامل، فضربها المخاض وهي في جوف الكعبة، فولدت فيها، فحملت في نطع وغسل ما كان تحتها من الثياب عند حوض زمزم، ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة أحد!

قال الحاكم: وهِمَ مصعب في الحرف الأخير، فقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة»[1].

وياليت شعري هل أصاب في الحرف الأوّل، كي ينبّه الحاكم إلى وهمه في الأخير؟!

أم حسب أنّ هذه المزعمة المرسلة والمقطوعة السند قد وصلت إليه بـ«الأسانيد المنقولة إلينا بنقل العدل عن العدل، وهي كرامة من الله لهذه الأُمّة خصّهم بها دون سائر الأُمم»[2]؟

ومن هؤلاء العدول الذين أهمل الزبيري ذكرهم؟!

---

(١) المستدرك ٣: ٤٨٣.

(٢) المستدرك ١: ٢.

ونقل الذهبي هذه السفسطة في تلخيصه، مؤيّداً ـ على غير عادته ـ رأي الحاكم في وهم مصعب الزبيري، وقد تكلّم الحجّة الأُوردبادي على رواية مصعب هذه في عدّة موارد، ونبّه إلى ما فيها من نقاط الضعف، فراجع[١].

* * *

ورواها أبو الوليد محمّد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي في «أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار»، وقال:

حدّثني محمّد بن يحيى، حدّثنا عبدالعزيز بن عمران، عن عبدالله بن أبي سليمان، عن أبيه: أنّ فاختة ابنة زهير بن الحارث بن أسد بن عبدالعزّى ـ وهي أُمّ حكيم بن حزام ـ دخلت الكعبة وهي حامل، فأدركها المخاض فيها، فولدت حكيماً في الكعبة، فحُملتْ في نطع وأُخذ ما تحت مثبرها[٢]، فغُسِلَ عند حوض زمزم، وأُخِذتْ ثيابُها التي ولدت فيها فجُعِلَتْ لَقًى[٣][٤].

وللباحث أن يتساءل عن الأزرقيّ هذا:

ـ من هو؟!

ـ ما قيمة أخباره وأحاديثه عند علماء الحديث وأئمّة الجرح والتعديل؟!

ـ من هؤلاء الرجال الذين روى عنهم هذا الحديث؟!

الأزْرقي، هو: محمّد بن عبدالله بن أحمد بن محمّد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغسّاني المكّي، عرّفه ابن النديم بأنّه «أحد الأخباريّين وأصحاب السير،

---

(١) عليٌّ وليد الكعبة: ١ ـ ٣ و ١٢٥.

(٢) المَثْبِرُ: الموضع الذي فيه المرأة من الأرض. (الصحاح ـ ثبر ٢: ٦٠٤)

(٣) اللّقى ـ بالفتح ـ الشيء المُلْقى لهوانِه. (الصحاح ـ لقى ٦: ٢٤٨٤)

(٤) أخبار مكّة ١: ١٧٤.

وله من الكتب كتاب مكّة وأخبارها وجبالها وأوديتها، كتابٌ كبيرٌ»[١].

هذا هو كُلُّ ما ذكر عنه، وليس فيه تصريح يستفاد منه حُسن الرجل أو وثاقته، ويبدو أنّ ابن النديم قد تفرّد بترجمته، حيث أهملها علماء الرجال والمتخصّصون الأقدمون، وإنّما ذكروه ضمناً في ترجمة جدّه أحمد ـ المتوفّى سنة ٢١٢، أو ٢١٧، أو ٢٢٢ ـ المعدود في مشايخ البُخاري، وأبي حاتم محمّد بن إدريس الرازي، ومحمّد بن سعد كاتب الواقدي.

فقال المِزّي في تهذيب الكمال: أحمد بن محمّد.. جدُّ أبي الوليد محمّد بن عبدالله الأزْرقي صاحب تاريخ مكّة[٢].

ثمّ عدّ الرواة عنه ومنهم: ابن ابنه أبو الوليد محمّد بن عبدالله الأزرقي[٣].

وذَكَرهُ وكتابه هذا شمس الدين السخاوي (المتوفّى سنة ٩٠٢) في «الإعلان بالتوبيخ لِمَن ذمّ التاريخ» وقال: كان في المائة الثالثة[٤].

ولعلّه استنتج ذلك من كتاب الأزرقي نفسه، حيث أرّخ فيه لحادثة وقعت في سنة عشرين ومائتين[٥]، أو من معرفته بطبقة جدّه وعصره.

في النتيجة يتبيّن لنا أنّه ليس في المصادر التي ترجمت للأزرقي، أو ذكرته، ما يُشجِّع، أو يساعد، على قبول أخباره عموماً، وحديثه الشاذّ هذا خصوصاً.

---

(١) الفهرست: ١٦٢.

(٢) تهذيب الكمال ١: ٤٨٠.

(٣) تهذيب الكمال ١: ٤٨١.

(٤) الإعلان بالتوبيخ: ١٣٢.

(٥) أخبار مكّة ٢: ١٠٣. وانظر بشأنه كشف الظنون ١: ٣٠٦ و٢: ١٦٨٤، هدية العارفين ٢: ١١، معجم المؤلّفين ١٠: ١٩٨، الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٢، وفيها اختلاف كثير في تحديد عصره!

أمّا شيخه الحافظ أبو عبدالله محمّد بن أبي عمر العدني، فقد ذكره عبدالرحمن ابن أبي حاتم الرازي في كتابه «الجرح والتعديل» وقال:

سألت أبي عنه فقال: كان رجلاً صالحاً، وكانت به غفلة، رأيت عنده حديثاً موضوعاً[١].

وقال البخاري: مات بمكّة لإحدى عشرة بقيت من ذي الحجّة سنة ثلاث وأربعين ومائتين[٢].

والملاحظ أنّ جلّ روايته في «أخبار مكّة» عن شيخيه: محمّد بن عمر الواقدي المتّفق على ضعفه وترك حديثه[٣].

وعبدالعزيز بن عمران.

وهو: عبدالعزيز بن عمران بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني الأعرج، المعروف بابن أبي ثابت.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عبدالعزيز بن عمران فقال: ما كتبتُ عنه شيئاً.

وقال البخاري: لا يكتب حديثه، منكر الحديث.

وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، إنّما كان صاحب شعر.

وقال عليّ بن الحسين بن حِبّان: وجدتُ في كتاب أخي بخطّ يده: أبو زكريّا

---

(١) الجرح والتعديل ٨: ١٢٤، تذكرة الحفّاظ ٢: ٥٠١، سير أعلام النبلاء ١٢: ٩٦.

(٢) التاريخ الكبير ١: ٢٦٥، التاريخ الصغير ٢: ٣٤٨.

(٣) انظر أخبار مكّة (موارد كثيرة)، الجرح والتعديل ٩: ٤٥٤، سير أعلام النبلاء ٨: ٢٠.

ابن أبي ثابت الأعرج المديني قد رأيته هاهنا ببغداد، كان يشتم الناس ويطعن في أحسابهم، ليس حديثه بشيء.

وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، ضعيف الحديث، منكر الحديث جدّاً.

وقال محمّد بن يحيى الذهلي النيسابوري: عَلَيَّ بَدَنَةٌ إنْ حدّثتُ عن عبدالعزيز ابن عمران حديثاً.

وقال ابن حِبّان: يروي المناكير عن المشاهير.

وقال الرازي: امتنع أبو زرعة من قراءة حديثه؛ وترك الرواية عنه[١].

إنّ اتّفاق هؤلاء الأعلام على ضعف عبدالعزيز بن عمران وترك حديثه، واشتهاره بالكذب، ورواية المناكير، وسوء الخلق و...، أغناني عن اللجوء إلى التدقيق والبحث في بقيّة السند.

إنّ مصنّفاً مجهول الحال كالأزرقي وراوياً كالأعرج، لا يصحُّ الاعتماد عليهما في إثبات حادثة شاذّة كهذه، وسندٌ هذا مبدؤه ومنتهاه، محكوم عليه بالإهمال والإعراض التامّين، ولا يصحُّ للباحث الجادّ أن يستند إليه بأيّ وجه، وفق ما قرّره علماء الدراية.

قال الحافظ يحيى بن سعيد القطّان ـ الذي وصفه الذهبي بأميرالمؤمنين في الحديث[٢]! ـ: «لا تنظروا إلى الحديث، ولكن انظروا إلى الإسناد، فإنْ صحَّ الإسناد، وإلّا فلا تغترّوا بالحديث إذا لم يصحّ الإسنادُ»[٣].

---

(١) راجع: التاريخ الكبير ٦: ٢٩، التاريخ الصغير ٢: ٢٣٤، الجرح والتعديل ٥: ٣٩٠ و٣٩١، تاريخ بغداد ١٠: ٤٤١، تهذيب التهذيب ٦: ٣٥١، ميزان الاعتدال ٢: ٦٣٢، وغيرها.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٩: ١٧٥.

(٣) تهذيب الكمال ١: ١٦٥، سير أعلام النبلاء ٩: ١٨٨.

وقال الحافظ عبدالله بن المبارك: «ليس جودَةُ الحديث قُرب الإسناد؛ جودةُ الحديث صِحّةُ الرجال»[١].

وقد عرفت فيما تقدّم أنّ رواية الأزرقي هذا لم تصحّ إسناداً ولا رجالاً على أقلّ تقدير.

* * *

تُشكّل الروايات والنصوص المتقدّمة المصدر الرئيسي والمرجع الأساسي المهم لهذه المزعمة الواهية.

والقاسم المشترك بينها جميعاً هو الإرسال، والشذوذ، ومخالفة ما هو مشهور، والنكارة، والتحريف، والتلاعب في بعض مصادرها، وضعف بعض رواتها، وعلّة واحدة من هذه العلل يُسقط الاعتماد عليها، ويُوجب نبذها جانباً فكيف بها مجتمعة؟!

وتبيّن من خلال البحث في تواريخ رواتها أنّها ظهرت في القرن الثالث الهجري، وأنّها ممّا تعمّد وضعه وتدرّج نحته في الأزمنة المتأخّرة، وما أكثرها.

يقول يحيى بن معين مُشيراً إلى كثرتها: «كتبنا عن الكذّابين، وسَجَرْنا به التنّور، وأخرجنا به خبزاً نضيجاً»[٢].

والعجب أنّ أكثر هذه الأحاديث وجلّها قد وضعها «أهل الخير والزهد»!

قال يحيى بن سعيد القطّان: «لم نرَ الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث»[٣].

---

(١) تهذيب الكمال ١: ١٦٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ١٨٤، سير أعلام النبلاء ١١: ٨٣ عن تاريخ الأبّار.

(٣) صحيح مسلم ١: ١٧، تاريخ بغداد ٢: ٩٨.

وقال: «لم نرَ أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث»[١].

وقال: «ما رأيت الكذب في أحدٍ أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد»[٢].

من أجل هذا ـ وغيره ـ ينبغي لنا ألّا نمنح هذا التاريخ ثقتنا واعتمادنا، بل يجب غربلته وإزالة شوائبه بإخضاع نصوصه وأخباره لدراسة علميّة، حيادية، مستوعبة وشاملة لجميع جوانبه، مع الاهتمام بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، فلا فائدة من تصنيف الأخبار إلى تافه وقيّم، إلّا بعد البحث والدراسة. فالتافهُ ما أثبت التحقيقُ تفاهته وزيفه وضعف قواعده وتضعضع دعائمه؛ والقيّمُ ما أثبت التمحيص أصالته، وظهرت براهينه، ولاحت دلائله، وصمد عند النقد.

وفي الختام أحمدُ الله سبحانه لما خصّني به من لطف القيام بهذا العمل المتواضع، آملاً أن يروق أهل الفضل والتحقيق، متوكّلاً على الفرد الصمد، متوسّلاً بحجزة وليد الكعبة، مستمدّاً العون من ساحة قُدسه.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[٣] **﴿وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾**[٤] **﴿أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾**[٥].

* * *

(١) صحيح مسلم ١: ١٨.

(٢) اللآلئ المصنوعة.. فتح الملك العليّ: ٩٢. وللتوسّع راجع الغدير ٥: ٢٧٥ ـ ٢٩٦.

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) النمل: ٥٩.

(٥) البقرة: ١٥٧.

المحتويات

مقدّمة الطبعة الأولى ٥

مقدّمة الطبعة الثانية ٩

مقدّمة الطبعة الثالثة ١٥

حديثُ المولد الشريف وتواتره ١٨

حديثُ الولادة الشريفة مشهورٌ بين الأُمّة ٣٥

نبأ الولادة والمحدّثون ٦٦

حديث الولادة والنسّابون ٨١

حديث الولادة والمؤرّخون ٨٣

حديثُ الولادة مجمَعٌ عليه ١٠٠

النصوص على مولده صلوات الله عليه بالكعبة ١١٧

حديثُ الولادة والشعراء ١٢٣

الولادةُ في الكعبة المعظَّمة فضيلة لعليّ عليه السلام خصَّه بها ربُّ البيت ٢٠٦

Mawsoạt Al-Ạla'mah Al-Aurdabadi

The Scholar Al-Aurdaba'di's Encyclopedia

Volume VI

Ạli (A.S.) Walid Al-Ka'ba

Ali (p.b.u.h.) Was Born in the Kaaba

Author

The scholar Sheikh Moḥammad Ạli Al-Gharawi Al-Aurdaba'di

1312-1380 A.H.

Collected and verified by the author's grandson

As-Sayyid Mahdi A'l Al-Mujadid Ash-Shirazi

Consideration and Examination of

The Heritage Revival Centre in the

House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine